الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي
في القرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي

في القرآن الكريم

رسالة تقدم بها الطالب

السيد مرتضى عبد الأمير جمال الدين

إلى مجلس كلية الشريعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية / لندن

بأشراف العلامة الأستاذ الدكتور

عبد الأمير زاهد

اسم الكتاب: الاصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم ـ رسالة تقدم بها الطالب السيد مرتضى عبد الأمير جمال الدين إلى مجلس كلية الشريعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية / لندن

الاخراج الفني: محمد عامر محمد

عدد النسخ: ١٠٠٠

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطبعة الاولى: ١٤٣٧هـ ٢٠١٥م

المقدّمة ..

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبن الطاهرين وصحبه المنتجبين .

يهدف هذا البحث إلى اكتشاف الأصول المنتجة والقواعد الضابطة للتفسير الموضوعي الذي ظهر مصطلحاً علمياً في القرن الرابع عشر الهجري، وأخذ يجذب إليه الباحثين، إلا أن التجربة الفعلية لممارسته سبقت التأصيل المنهجي والمعرفي لهذا النوع من التفسير – ولعل هذا هو ديدن نشأة العلوم وتحولاتها – فإننا نلاحظ على سبيل المثال، أن النتاج الفقهي بدأ قبل التأصيل الفقهي (أصول الفقه) ولهذا قيل أن أصول الفقه ترعرع في أحضان الفقه. ثم قطع أشواطاً كبيرة وعميقة، حتى لا تجد إلا نادراً أن مجتهداً من المجتهدين لا يكتب بحثاً أصولياً يُبين مبناهُ الإستنباطي. إلا أننا نجد في مجال التفسير نقصاً واضحاً في تأصيل المنهج، إذ لم نجد إلا نادراً أن مفسراً من المفسرين قبل أن يمارس التجربة التفسيرية يضع في بداية تفسيره مقدمات منهجية [١] (أصول وقواعد) لا يخرج عنها في تفسيره، وإن وجدت فهي معلومات عامة تخص بعض علوم القرآن، ونقاط جزئية استخدمت في مجالات قليلة لا ترقى إلى تحصيل قاعدة كلية.

---

(١) لو عملنا إحصائية لكل تفاسير المسلمين لا نجازف القول: أن تسعين بالمئة من التفاسير لا توجد فيها مقدماتمنهجية.

[(١)] مع أننا لو رصدنا تاريخ التراث الإسلامي نجد أن التفسير هو أول انطلاقة إسلامية في الحقل المعرفي بيد أنه لم يُكتب في مناهجِه إلا نادراً، وأما مَنْ كَتَبَ في علوم القرآن – التي هي مفاهيم معرفية مهمة – فإنه لم يُفسر القرآن، والذي فَسَر القرآن لم يكتب في علوم القرآن التي فيها مجال للاجتهاد والأخذ والرد. ولعل في هذه مفارقة تحتاج إلى تحليل لأن المفروض أن جهد المفسرين يجب أن يتركز حول محورين أساسيين [(٢)] هما:

١- بناء المفاهيم المعرفية.

٢- صياغة النظريات الاستنباطية.

لكن هذا لا يعني إهمال بعض التجارب الواعدة، بيد أنها لا تشكل ظاهرة علمية واضحة كما في (أصول الفقه)، ولهذا نجد أن المفسر يكاد يكون متحرراً من الإلتزام بقاعدة معينة وتراهُ يتبنى نظريات لعلها متضاربة أحياناً وذلك نتيجة الانتقائية في رصد المفاهيم لنتائج من سبقهُ مما يصعب على الناقد والمنظِّر أن يميز المنهج الذي سار عليه هذا المفسر أو ذاك إلا بوصفٍ عام من أن هذا المفسر منهجُه أثري، وذاك منهجُه عقلي وهكذا...

لكن الأبحاث في العصر الحديث فيما يبدو متجهةٌ نحو (مقولة المنهج)[(٣)] في الدراسات القرآنية.

---

(١) راجع على سبيل المثال مقدمة تفسير الطبري والبرهان والصافي والآء الرحمن... الخ.

(٢) راجع مقالة (دور المنهج في عملية التفسير) لمحمد مصطفوي، مجلة الحياة الطيبة، عدد (٨) السنة الثالثة، شتاء سنة ١٤٢٢هـ، ص١٤٠.

(٣) راجع مثلًا. مجلة (قضايا إسلامية) العدد الثاني ١٤١٦هـ-١٩٩٥م الخاص بـ(مناهج المفسرين)، والعدد السابع ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م الخاص بـ(التفسيرُ المفسرون).

ويمكن رصد ثلاثة طرق:

١- من الباحثين مَن رصد المنهج لمفسرٍ معين ليجعلهُ مقدمة للطبعة الحديثة لهذا التفسير[١].

٢- ومنهم مَن حاول أن يقرأ منهجاً معيناً - كالمنهج الأثري أو المنهج العقلي مثلاً - قراءةً وصفيةً تلاحق الأسلوب والمنهج المتبع في مجموعة من التفاسير ذات الطابع المعين من البداية إلى النهاية ليُسجل ملاحظاتهِ[٢].

٣- منهم من يحاول أن يقرأ قراءةً نقدية من جهة، يؤصل المنهج التفسيري المعين من جهةٍ أخرى وفق المعطيات المعرفية، وهذا ما الجأ الباحث إلى دراسة ضوابط التفسير الموضوعي. محاولين رصد جذورِه في عصر النشأة والتأسيس والتصنيف، منظرين لتعريفه ومنهجِه (أصول وقواعد وضوابط) ناقدين لبعض الممارسات في هذا الحقل. لأنني أظن أنه مع ما كتب في التفسير الموضوعي.

فإنها تبقى بحوثاً وصفيةً، وإن كُتب في مناهجهِ فهي مقدمات أو مقالات لا ترقى إلى صورة كاملة. ولهذه الأسباب أخترت هذا الموضوع راسماً في مخيلتي خطة البحث والتي تتكون من ثلاثة في كل فصلٍ ثلاثة بحوث وكل بحثٍ يحتوي على مطالب:

---

(١) راجع مقدمة تفسير الثعالبي مثلًا.

(٢) راجع المنهج الأثري، رسالة ماجستير لهدى أبو طبرة، التفسير الموضوعي رسالة ماجستير لحكمت الخفاجي منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي.

الفصل الأول: بحث وصفيٌ متكامل يتكون من ثلاثة بحوث، راصداً في

المبحث الأول: ثلاث مصطلحات مهمة متداخلة (التفسير، التأويل، التنزيل)

المبحث الثاني: تتبعتُ جذور التفسير الموضوعي خلال عصر النشأة والتأسيس والتصنيف،

المبحث الثالث: نصبت ميزاناً للتفسير الموضوعي محاولاً نقد وتحليل من سبقني في وصف هذا النوع من التفسير مقترحاً تعريفاً له حسب ظني وعساني أن أكون موفقاً.

أما في الفصل الثاني: فقد قسمتُه إلى ثلاثة مباحث أيضاً داخلاً في صلب الموضوع وغرضِهِ

المبحث الأول: وهو رصد القواعد والمناهج المستخدمة في هذا النوع من التفسير متخطياً الدرجة الأولى من السلم المعرفي. فبدأت التنظير العلمي للأشباه والنظائر وإكتشاف العلاقة بينها وبين الإشتراك والترادف والتضاد.

المبحث الثاني: حاولت إكتشاف الآلية المستخدمة في الأشباه والنظائر من (سلطة السياق، وإستقراء التماثل).

المبحث الثالث: رافداً ذلك كلهُ بنماذج عملية مطبقاً هذه الآلية على ما وصلنا من تراث يخص الأشباه والنظائر، وفق المنهج التحليلي مستدركاً لهذه الوجوه القرآنية وفق نفس الآلية.

أما الفصل الثالث: (أنواع التشكيل بين الأشباه والنظائر (إيجاد النسبة) بينهما).

المبحث الأول: عدة مباحث (العام والخاص)، (المطلق المقيد)، (المجمل المفصل)، (المبهم والمبين).

المبحث الثاني: وفيه مطلبان. المطلب الأول بعض القواعد المساعدة للتفسير الموضوعي

(المنقطع والمعطوف)،(قاعدة الجري)، (قاعدة الإبدال).

المطلب الثاني: قواعد النظم والتأليف:

(اختيار الموضوع)، (الحد والمطلع)،(الموضوع المركزي)، (تتبع النظائر بهدف التفسير).

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية من التراث

* مدة الحمل شرعاً

* حرمة الخمر

* إطاعة ولاة الأمر القائمين بدين الله

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية مستنبطة من القرآن

* سنة الاصطفاء الإلهي في القرآن




الفَصلُ الأوّلُ

مفاهيم التفسير عرض وتحليل




المبحث الأول

مقدمات معرفية

المطلب الأول – الحاجة إلى علم التفسير:

يُعد تفسير القرآن الكريم من أكثر العلوم التي اعتنى بها المسلمون قديماً وحديثاً مما يعكس شدة حاجة المسلمين لذلك، مع أن القرآن عربي ونزل في بيئةٍ عربية، فلماذا هذه الضرورة الملحة ؟

نحاول الإجابة عن ذلك عبر النقاط الآتية:

١- إن العرب في عصر نزول القرآن عاى الرغم من انهم قادرون على الفهم العرفي للقرآن، بيد أنهم في كثير من الأحيان كانوا يحتاجون إلى التفسير النبوي للنص.

٢- إن القرآن نزل بلغةٍ حيوية كثر فيها المشترك والترادف والظواهر اللغوية الأخرى كالمفاهيم الشرعية التي لم تكن معروفة كمصطلح شرعي، وعليه فإن اللفظ الواحد يحتمل معاني كثيرة، لذلك فنحتاج إلى ضوابط لغوية وأصولية لتحديد المراد من النص.

٣- عرض النص القرآني أغلب أصول (نظرية التكليف) التي تتفاوت درجة الإلزام فيها بين الترك والفعل، أو على مستوى التطبيق – كما حصل لعدي وهو من

جيل نزول القرآن الذي التبس عليه الأمر في فهم الآية ﴿كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [١] فربط في رجلِه خيطاً أبيضاً وآخر أسود [٢].

٤- وجود جملة من الأمور الغيبية التي تحتاج إلى فك رموزها واستظهار معانيها كـ(البرزخ، والصراط والميزان واللوح والقلم والعرش والكرسي والنفخ، والحروف المقطعة في القرآن). فهذه كلها كانت مثاراً للإستيضاح.

٥- في القرآن الكريم هناك استعمال قرآني لمفاهيم أُطلق عليها (المصطلح القرآني) [٣] ربما كانت جديدة على الوسط الأدبي والعلمي آنذاك: (كالمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والعام والخاص) فلابد من إيضاحها.

٦- أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وقد حوى لهجات العرب المختلفة فأحتيج إلى فهم بعض مفرداته.

٧- ومن ناحية أسلوبه البلاغي الذي يعتمد على تعدد المدلولات والتي منها ما هو بيِّن ومنها ما هو أقلّ بياناً، ومنها أساليب الإستعارة والتشبيه لا سيما في الأمثال، وكذلك الإسناد والحذف والإيجاز والإطناب ما يتفاوت فيه الفهم الإنساني لاسيما لغير المتخصصين. كل ذلك يحتاج إلى بيان وفهم[٤]. ذلك إن النصوص الأدبية –

---

(١) البقرة/ ١٨٧.

(٢) أخرجهُ البخاري ٨/ ٣١ في كتاب التفسير باب – كلو واشربوا، وأخرجهُ مسلم في كتاب الصيام ٢/ ٧٦٦ كتاب الصيام باب ٢٣ ج١٠٩٠.

(٣) راجع: المصطلح القرآني، د. عبد الأمير زاهد، قضايا لغوية قرآنية، الفصل السادس أسس المصطلح القرآني/ ١٥٥-١٨٣.

(٤) د. محمد حسين الصغير، مجاز القرآن، دار الشؤون الثقافية العامة ط١ / ١٩٩٤.

شعرية كانت أو نثرية – لها من تداعيات المعاني ما يجعل للفكر الإنساني مسرحاً للوجوه المتعددة فيها، فتحتاج إلى تفسير فكيف بالقرآن الكريم وهو أقدس وأرقى النصوص المصوغة بأرفع أساليب البيان.

٨- على رأي المدرسة النقدية الكلاسيكية (التقليدية)، فإن إرادة المعنى بيد صاحب النص فقد لا يكتشف القارئ أو السامع المعنى المراد إلا بصورة جزئية ولكن صاحب النص لو كشف المراد أو أوحى لأحد المقربين بمراده لكان أكثر نفعاً وهذا ما حصل للقرآن الكريم حسب إحتجاجات المدرسة التفسيرية الأثرية التي تؤمن بأن الله جعل الرسول ﷺ مرجعاً للقرآن وعطف عليه أولي الأمر قال تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (١) منعاً للإختلاف والتفسير بالرأي على غير الضوابط والأصول المنهجية.

٩- ولكون القرآن دستور المسلمين الرباني الخاتم للشرائع فإن الحاجة الملحة لمواكبة تطور الزمني المليء بالمواضيع المستحدثة يحتم علينا إستنباط ما يكتنزهُ القرآن من حلولٍ لمشاكل عصرية لا سيما وأننا نعتقد بخلود القرآن وبيانه الشامل الدائم قال تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢) لأن القرآن الكريم يمتلك عناصر الخلود الأربعة (العنصر البشري، العنصر الزماني، العنصر المكاني، العنصر الموضوعي) (٣) وهذه العناصر متحركة ومتفاعلة مع بعضها والعقل البشري قادر على وفق ما تسلح به من أدوات على آستمطار الموقف من النص القرآني كناتج

---

(١) النساء / ٨٣.

(٢) النحل / ٨٩.

(٣) داود العطار، علوم القرآن، ٥٢-٥٤.

للمعادلة بين (النص، الواقع) [١] ولذلك فإن الحاجة إلى التفسير حاجة متنامية وكلما ابتعدنا عن عنصر النص تتنامى المستجدات، وتظهر الحاجة إلى الغوص في أعماق النص لاستجلاء الموقف.

١٠- إن الحاجة الملحة للغور في أعماق النص القرآني في هذا النص حثت الباحثين على ابتكار مناهج تفسيرية – أوصلها أحد الباحثين إلى عشرة مناهج – [٢] كل ذلك التنوع ساعد على عمليات الحفر المعرفي في داخل المجال الدلالي لاستنباط الحقائق وفقاً لمتطلبات العصر ومن هذه المناهج المهمة والفعالة (المنهج الموضوعي).

كلُ ما تقدم جواب شافٍ وكافٍ لمسألة حاجتنا لتفسير النص القرآني.

المطلب الثاني – التفسير والتأويل والتنزيل:

١- **التفسير**: يتداول الدارسون ثلاثة إصطلاحات قرآنية كثر النقاش حولها، وتجاذب الحديث فيها علماء اللغة والقرآن والأصول. وتداخلت الآراء فيها إلى درجة يصعب الإختيار بينها. ولا نجد ميزاناً ضابطاً لهذه الأقوال إلا بالرجوع إلى ركيزتين: القرآن نفسهُ، واصطلاح عصر النص (النبي وآلهِ وصحبه) وقد وجدنا تطابقاً إصطلاحيا. وسوف نعرض بإختصار ما عرضوا لنخرج من هذا المخاض بنتيجة واقعية.

فالتفسير (لغةً): فيه ثلاثة إتجاهات: إما من الفسر أو من التفسرة أو مقلوب الجذر وهو السفر. فأما (الفسر): فهو الإبانة (البيان) والكشف، وهذا ما يراهُ ابن منظور

---

(١) د. عبد الأمير زاهد، إشكالية التأويل، بحث منشور في مجلة السدير، العدد ٤، السنة الثانية ٣، النجف الأشرف.

(٢) د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة للتفسير، ص١٢٧.

والفيروز آبادي والفراهيدي [١]. وقيل مأخوذ من (التفسرة): وهي الماء القليل الذي ينظر فيه الأطباء، فيكشف عن علة المرضى، وقد نقل هذا المعنى إلى التفسير لأنه يكشف معنى الآية، ذكرهُ الزركشي وتابعهُ السيوطي في ذلك. [٢]

وقيل هو مقلوب الجذر (سفر) يقال أسفرت المرآة إذا ألقت خمارها، وأسفر الصبح إذا أضاء. ذكرهُ الزركشي والسيوطي. [٣]

وهناك محاولات للموازنة بين هذه الإشتقاقات - كما حاول الراغب الأصفهاني [٤] وأمين الخولي [٥]- ترجع كلها إلى نتيجة واحدة كما ذكرها الدكتور محمد حسين الصغير بقولِه: (وسواء أكان اللفظ على سلامة جذرهِ أم كان مقلوباً، فالدلالة واحدة في اللغة وهي: (كشف المغلق وتيسير البيان، والإظهار من الخفي إلى الجلي) [٦].

أما التفسير (إصطلاحاً): ويمكن ردهُ إلى ثلاث مجاميع:-

المجموعة الأولى: التي يُمثلها الطوسي[٧] والزركشي [٨] والسيوطي [٩]، وهؤلاء قد توسعوا في الإصطلاح فأدخلوا (كل مباحث علوم القرآن في التفسير مثل المكي والمدني وأسباب النزول والمحكم والمتشابه والعام والخاص، والمطلق والمقيد - وزاد

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: ٦/ ٣٦١، الفيروز آبادي، القاموس ٢/ ١١٠، الخليل، كتاب العين ٧/ ٢٤٧.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٤٧، السيوطي، الإتقان ٤/ ١٦١.

(٣) المصادر نفسها.

(٤) الراغب، المفردات، مادة (سفر).

(٥) أمين الخولي، المعارف الإسلامية، مادة تفسير ٥/ ٣٤٨.

(٦) د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن، ١٧.

(٧) ظ. الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ١/ ٢-٣.

(٨) الزركشي، البرهان ٢/ ١٤٨.

(٩) السيوطي، الإتقان ٤/ ١٦٣.

آخرون – علم الحلال والحرام والوعد والوعيد والأمر والنهي والأمثال.

وزاد الطوسي علم القراءة والإعراب والجواب عن مطاعن الملحدين).

وهو تعريف من النوع التجريبي فإنهم بالتجربة عرفوا أنهم يحتاجون إلى هذه العلوم التي لا يستغني عنها المفسر، ولكنهُ تعريف غير مانع لدخول ما ليس تفسيراً في صياغة التعريف كما أنه مُغرق بالتفاصيل.

المجموعة الثانية: ويمثلها أبو حيان الأندلسي ومن تبعهُ فقد ذكر: الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها: إفراداً وتركيباً، فأدخل علم القراءة وعلم اللغة وعلم البيان والبديع والتصريف، وقوله (تمتمات ذلك) لعله يشير إلى علوم القرآن من الناسخ والمنسوخ.. الخ كما فسرهُ السيوطي في الإتقان [١].

وهو أيضاً من نوع التعريف التجريبي إذ لا يستغني المفسر عن علوم العربية. لكنه أيضاً تعرض إلى الجزئيات والموضوعات الشخصية في حين أن التعريف – منطقياً – يجب أن يتسم بالكلية على نحو القضايا الحقيقية.

وفي الواقع هذه الجزئيات تدخل في التفسير إلا أنه لا يمكن إدراج عناوينها بهذا التفصيل ولابد من إقتراح مصطلحٍ جامع لها، لعلهُ من الأرجح أن نسميها (العلوم الآلية) ونقصد بها كل العلوم التي تخدم التفسير سواء كانت قرآنية أم لغوية أم أصولية.. الخ.

ومن جهة أخرى فإن من سمات التعريف المنطقي تحديد جنسهِ وفصلِه ثم العوارض الخاصة غير أن المجموعتين لم توضحا هذا المطلب.

---

(١) ()السيوطي، الإتقان ٤/ ١٦٣.

المجموعة الثالثة: توفرت فيها شروط التعريف المنطقي وهي التي أعتمدها من القدماء الطبرسي[١] وأكثر المتأخرين كالزرقاني[٢] والفناري[٣] والطباطبائي[٤] والصدر[٥] والصغير[٦] وعبد الأمير زاهد [٧] حيث أوضحوا ذلك بقولهم والكلام للزرقاني (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالتِهِ على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية).

فالجنس هنا هو (العلم) الذي يدخل تحته كل العلوم، فلابد من الفصل الذي يُميزهُ عن باقي العلوم وهو (البحث عن مراد الله تعالى في القرآن الكريم) الذي ترجمهُ الطباطبائي بقولِه (بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها) إذ أن أصل التفسير هو (الكشف والبيان) وهو المعنى اللغوي الذي أثبتناهُ وهو حقيقة التفسير، أما (بقدر الطاقة البشرية) فهو قيد إحترازي يفيد أن المحدود وهو الإنسان لا يحيط باللامحدود وهو الله.

لكن لم يُبين التعريف كيفية التوصل إلى بيان وكشف مراد الله تعالى. والجواب عن ذلك بواسطة (العلوم الآلية) الخادمة لعلم التفسير وتقسم إلى قسمين قسم يدخل في صلب علم التفسير (عوارضهُ الخاصة) مثل جميع علوم القرآن، وقسم يدخل في

(١) الطبرسي، مجمع البيان ١/ ١٣.
(٢) الزرقاني، مناهل العرفان ١/ ٣٣٤.
(٣) نقلًا عن حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٤٢٧.
(٤) محمد حسين الطباطبائي معرفة القرآن، ١٩٦.
(٥) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، رسالة في علوم القرآن، ٢٩٨.
(٦) د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن ١٩.
(٧) د. عبد الأمير زاهد، (إشكالية التأويل) بحث منشور في مجلة السدير العدد ٤ السنة الثانية ٣، جامعة الكوفة، النجف الأشرف.

عوارضِه العامة كالعلوم العربية كدلالة الألفاظ وتراكيبها. أضافة إلى العلوم البلاغية والأصول وكل علم يساعد في تفسير القرآن يدخل تحت ما سميناه (العلوم الآلية).

إذن فالمجموعة الثالثة أقرب التعاريف إلا أننا نضيف إليها ما يسمى في الميزان المنطقي (العرض) لكي يكون التعريف جامعاً مانعاً فيكون التعريف كالآتي علم التفسير:(هو العلم الباحث عن بيان مراد الله تعالى في القرآن الكريم وفق منهج علمي يوظف العلوم الآلية لذلك حسب الطاقة البشرية).

فالعلم (جنس)، بيان مراد الله تعالى في القرآن هو (الفصل)، وبمساعدة العلوم الآلية هو (العرض) بحسب الطاقة البشرية قيد (إحترازي) وبالنتيجة إلتقى المعنى اللغوي مع المعنى الإصطلاحي للتفسير وهو (الكشف والبيان لمراد الله). ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد استخدم لفظة البيان في معنى التفسير قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [١] وهذه وظيفة جميع الأنبياء قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [٢].

وراجعنا تفسير الآية الأولى [٣] والآية الثانية [٤] فوجدناهم يتوافقون على معنى (البيان) بالتفسير وكشف المراد وإيضاح المجمل والمشكل.

٢- التأويل: ومن ملازمات الحديث عن التفسير، إيضاح مصطلح التأويل،

---

(١) النحل / ٤٤.

(٢) آل عمران / ١٨٧.

(٣) راجع أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) البحر المحيط ٥/ ٤٧٩ط دار الكتب العلمية ط١ ٢٠٠١م، محمد حسين الطباطبائي، الميزان ١٢/ ٢٥٨ ط الأعلمي، الطبرسي، مجمع البيان / ٦/ ١٥٩ ط الأعلمي.

(٤) راجع أبو حيان الأندلسي / البحر المحيط ٣/ ١٤٢ ط دار الكتب العلمية ط١ ٢٠٠١م، والقرطبي/ الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٧٠ المكتبة التوفيقية مصر، الطبرسي (مجمع البيان / ٢/ ٤٦٦ ط الأعلمي.

الذي وإن تقاربت كلمةُ اللغويين على معناهُ إلا أن الإصطلاح تغير عبر العصور، ثم إنهم عقدوا مقارنة بينه وبين التفسير أوصلها البعض إلى ثلاثة عشر قولاً وللخروج من هذه المناقشة لابد من الرجوع إلى القرآن وإصطلاح عصر النص (النبيﷺ وآله وأصحابه).

فالتأويل (لغةً): إما مأخوذ من الأُول: وهو الرجوع، قال ابن منظور والفيروز آبادي: آل إليه ومآلاً: أي رجع وعنه إرتد وأول الكلام تأويلاً، وتأولهُ: دبرهُ وقدرهُ وفسرهُ) [١]. ومعنى رابع هو المآل أي نهاية ما يقتضيه اللفظ من المعني أي نهايات الدلالة اللفظية.

وقيل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فكأن المؤول ساس الكلام ووضعهُ موضوعه [٢].

أما التأويل (إصطلاحاً): فقد ذُكر له ثلاثة معاني:-

المعنى الأول: الترادف بين التفسير والتأويل. وهو قول القدماء كمجاهد والطبري وآبادي حيث يقول في تفسيرِه: القول في تأويلِهِ (كذ وكذا).

المعنى الثاني: التأويل من باب الوجود العيني الخارجي، فإن كان المراد طلباً كان تأويله الفعل المطلوب نفسهِ، وإن كان خبراً كان تأويله الشيء المخبر به نفسهُ.

أما المعنى الثالث: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. [٣]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١/ ١٧١، الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٣/ ٣٣١.

(٢) ن. م.

(٣) هذه المعاني ذكرها ابن تيمية في تفسيره الكبير ٢/ ١٠٨-١١٤ ومقدمة البحر المحيط ١/ ١٠-١١.

قال الطباطبائي والسبحاني عن المعنى الثالث بأنهُ مصطلح حديث بين العلماء لا يمت إلى القرآن بصلة ولا دليل عليه [١]. أما القول الأول والثاني فربما يتضح من خلال بحث التأويل قرآنياً. إلا أننا قبل ذلك نحاول معالجة المقارنة الطويلة بين التفسير والتأويل حتى تداخلت الأقوال وتعاكست – لعل أول من ذكرها الطبرسي في مقدمة تفسيرِهِ[٢] وصاحب كتاب كشف الظنون [٣] وأوصلها الدكتور محمد حسين الصغير إلى إثنتي عشرة نقطة. [٤]

فلتراجع –إلا أن هذا الحجم الكبير من الفروقات يعد مؤشراً خطيراً لأنه يمس أصول القرآن المعرفية. ولعل هذا ناتج من تباين الخلفيات الثقافية للناظرين لهذه المسألة أولاً، واختلاف آليات العمل بينهما ثانياً.

فالبلاغي جعل التفسير للمعنى الظاهري والتأويل للمعنى المجازي، واللغوي جعل التفسير هو البيان، والتأويل هو الرجوع فهل هناك مقاربة بين البيان والرجوع ؟

وذهب الأصولي بمصطلح حادث وهو صرف اللفظ عن المعنى الظاهري إلى المعنى المرجوح وذهب القدماء إلى الترادف بين التفسير والتأويل، وذهب آخرون إلى أن التفسير يخص الرواية وأسباب النزول والتأويل يخص الدراية – ومن الواضح أن بعض الروايات هي تأويلات باطنية – وبعضهم ربما أعطى إليه الكشف في كل منهما. فالتفسير حركة ظاهرية أفقية على سطح النص، تعمل في نطاق المتبادر

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، معرفة القرآن في تفسير القرآن، ص١٣٢، السبحاني، المنهاج التفسيرية في علوم القرآن، ص١٧٣.

(٢) الطبري، مجمع البيان / ١.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٣٣٤.

(٤) محمد حسين الصغير، المبادئ العامة للتفسير، ص٢٠.

والتأويل حركة عمودية في طبقات النص في نطاق ما بعد التبادر[١]. وذهب السيد الشهيد والمفكر الصدر الأول إلى أن التفسير يخص اللفظ، والتأويل يخص المعنى.[٢] بعد أن عرض صورة إجمالية للفروقات بين التفسير والتأويل[٣].

وللخروج بنتيجة حاسمة لابد من الرجوع إلى القرآن وإصطلاح عصر النص المتمثل بالنبي ﷺ وأهل بيته وأصحابه: فعلينا أن ندرس كلمة التأويل كما جاءت في القرآن الكريم وهذه المحاولة قام بها كل من الطباطبائي والصدر والسبحاني وكذلك ابن تيمية[٤] وكان الطباطبائي أكثر دقةً عندما لاحق كلمة التأويل وإستخداماتها سياقية في خمس عشرة آية: فخرج بالنتائج التالية:

١. إن التأويل يخص جميع القرآن ولا يقتصر على الآيات المتشابهة ودليلهُ الآية القرآنية الآتية ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى...﴾ إلى أن قال:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ... بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.[٥] قال: والآيات كما ترى تضيف التأويل إلى مجموع الكتاب[٦] وفي هذه لفتة رائعة للإهتمام بالسياق الكلي للنص.

٢. إن التأويل هو الأمر العيني الخارجي الذي يعتمد عليه الكلام، وهو في مورد

---

(١) عبد الأمير زاهد، إشكالية التأويل، بحث منشور في مجلة السدير عدد ٤، السنة الثانية.

(٢) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، رسالة في علوم القرآن، ص٣٠٣.

(٣) = =، = = =، ص٣٠١.

(٤) الطباطبائي في معرفة القرآن ص ١٢٨-١٣١، السبحاني في مناهج التفسير ص١٧٩ والصدر في المدرسة القرآنية، ص٣٠٣.

(٥) يونس / ٣٩.

(٦) محمد حسين الطباطائي، معرفة القرآن ص١٢٨، ص١٣١.

الأخبار أي المخبرَ به من الواقع في الخارج - إما سابقاً كقصص الأنبياء والأمم الماضين، وإما لاحقاً كما في الآيات المخبرة عن صفات الله وأسمائِه ومواعيدِهِ وكل ما سيظهر يوم القيامة، وفي مورد الإنشاء كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (١) تأويله فعلهم الخارجي من إيفاء الكيل وإقامة الوزن (٢). والدليل على أن التأويل يخص الأمور الخارجية منه ما مضى ومنه ما يأتي ومنه الحالي كما في مورد الإنشاء.

أن قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح كلها كانت أموراً خارجية حدثت كخرق السفينة وإقامة الجدار وقتل الغلام ثم جاء تأويلها بعد ذلك بقولِهِ:﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ فكان تأويلها لاحقاً.

وكذلك في قصة يوسف هناك ثلاثة أنواع من الرؤيا، الرؤيا الأولى رؤية يوسف عندما رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين جاء تأويلها بعد حين وهكذا رؤيا عفريد مصر ورؤيا الفتيان. إذ وقع الفعل منهم أولاً في الخارج ثم جاء تأويل ذلك. وكذا التدبير في آيات القيامة يعطي أن المراد هو الأمور المتحققة لاحقاً لكنهم لما لم يعرفوا حقيقتها (تأويلها) كذبوا بها قال تعالى:﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (٣) كما إن قصص الأنبياء جاء الأخبار بها لاحقاً لكن تأويلها حدث سابقاً فسبق التأويل التنزيل.

---

(١) الإسراء / ٣٥.

(٢) الكهف / ٧٨.

(٣) يونس / ٣٩.

كذلك وصف القرآن عملية إرجاع المتشابه إلى المحكم عملية تأويل [١] قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [٢].

وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين أيضاً بعدما عرض لدراسة مفردة التأويل – بالمناسبة هذا بفضل التفسير الموضوعي – إذ قال: (إن التأويل في القرآن هو ما ذكرنا من إرجاع الشيء إلى واقعهِ من دون فرق بين الكلام والفعل والحقيقة التكوينية كالرؤيا) [٣] وهي كلمة جامعة ويقصد من الكلام المحكم والمتشابه ويقصد من الفعل الأمور الخارجية بما فيها الأحلام. وهذا إصطلاح القرآن للتأويل.

٣- **التنزيل**:أما من جهة إصطلاح عصر النص (النبيﷺ وآله) فإنهم ميزوا بين التنزيل والتأويل ولم يلحظ ذلك عند المهتمين بهذه الإصطلاحات إذ طالما عقدوا المقارنة بين التفسير والتأويل.

فقد ورد عن الإمام عليعليه السلام قولهُ: (وأما ما في كتابه من معنى التنزيل والتأويل:

١- فمنهُ ما تأويلهُ في تنزيله: فهو كل آية محكمة نزلت في تحريم شيء من الأمور ثم حرمها الإسلام مثل آية التحريم، وكل حلالٍ وحرام.

٢- وأما الذي تأويلهُ قبل تنزيلهِ: مثالهُ كل أسباب النزول، فأن الحادثة تقع ثم يأتي التنزيل كتشريع لتلك الحادثة التي تعتبر هي التأويل وضرب مثال في الظهار.

---

(١) لم يرتض الطباطبائي ذلك ولكن كل من بحث التأويل جعل رد المتشابه إلى المحكم من أنواع التأويل، أو سياق الآية يساعد عليه.

(٢) آل عمران / ٧.

(٣) السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص١٧٩.

٣- تأويله بعد تنزيله: وهي الأمور المستقبلية مثل إخبار الساعة وصفات القيامة.

٤- وأما ما تأويله مع تنزيله: قال: فيحتاج من سمع هذا التنزيل من رسول الله صلى الله عليه وآله في مثل قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١) أن يعرف هؤلاء الصادقين الذين أمروا بالكينونة معهم ويجب على الرسول أن يدل عليهم. وذلك قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (٢).

٥- تأويلهُ حكاية في نفس تنزيله، كما في حكاية قول المنافقين في سورة المنافقين.

نفهم من كل هذا أن التأويل يختص بالأمور الخارجية والمصاديق كما نطق به القرآن. والتنزيل هو ما نزل نجوماً في عصر النزول.

وفي رواية مختصرة عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: (ظهرهُ تنزيلهُ، وبطنهُ تأويله: منه ما مضى، ومنه ما يجيء بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر) (٣) ولهذا قيل أن التأويل في مقابل التنزيل لا التفسير (فالمصداق في عصر الوحي تنزيلهُ، والمصاديق المتحققة في الأجيال الآتية تأويلهُ حسب قاعدة الجري.(٤) بمعنى أن الظاهر هو أول تدشين الآية على أرض الواقع، كأسباب النزول (تنزيلهُ) ولكنها لا تجمد بل تجري على كل المصاديق المتشابهة كما قال الباقر عليه السلام: (ظاهرهُ الذي نزل فيهم وباطنهُ

(١) التوبة / ٦.

(٢) النساء / ٥٩.

(٣) مرآة الأنوار / ٤.

(٤) السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص١٨١.

الذين عملوا بمثل أعمالهم) [١]. فالآيات التي نزلت في موسى وقومه ظاهرها تنزيلها (يعني في قوم موسى) وهذا من جنس تأويلهُ قبل(تنزيلهِ) في هذه المرتبة، وإذا أردنا أن نُجريها على الوقائع المشابهة فيكون تأويلها الثاني فيه وبهذا يكون القرآن في نزول مستمر ولعل هذا ما يفسر لنا قول القدماء إن هذه الآية نزلت في كذا وفي كذا كما أنه تأويل مستمر فهل التأويل والتنزيل هو التفسير ؟

إذا قلنا أن التنزيل والتأويل كشفا المراد وبيّناه كما في الإصطلاح اللغوي والإصطلاحي للتفسير، نقول نعم التفسير هو (التنزيل والتأويل) إلا أن التفسير هو جامع عنواني لهذه العملية، والتنزيل والتأويل) عملية ديناميكية تفعّل القرآن وتجعلهُ حيوياًوتبعثهُ من جديد والمعنى الذي ورد عن أهل البيت عليهم السلام نراهُ نفسه عند ابن مسعود كما سنرى في المبحث القادم (التأويل عند ابن مسعود) [٢]. أي أن التأويل يغطي الوقائع الخارجية وأما رد المتشابه إلى المحكم فهو تأويل بنص الآية والرد هنا هو الرجوع الذي هو المعنى اللغوي للتأويل، ومن هنا قالوا: أن التفسير يرادف التأويل إلا أن التفسير هو الجامع العنواني والتأويل هو العملية الحركية للنص. فهل التفسير الموضوعي ضرب من التأويل ؟

إن ما نرصده من مناهج وآليات تدخل في التفسير الموضوعي تعدّ ضرباً من التأويل كما سنحققه لاحقاً [٣] إذ يعتمد على إرجاع النظير إلى نظيره.

---

(١) مقدمة تفسير العياشي.

(٢) المطلب الثاني: تاريخ التفسير الموضوعي.

(٣) المطلب الثالث من هذا الفصل.

المبحث الثاني

تاريخ التفسير الموضوعي

في هذا الفصل التمهيدي ونحن نلاحق تاريخ التفسير الموضوعي والأدوار والمراحل التي مرَّ بها نحاول أن نكتشف جذور الأصول والمناهج التي نراها تدخل في التفسير الموضوعي إذ لم تُلحظ مقولة المنهج في كل الأبحاث التاريخية الخاصة بالتفسير حيث أن أكثر البحوث تقتصر على أسماء المفسرين وتلامذتهم ومدارسهم وطرق الرواية عنهم، وقلما تذكر أصولهم ومناهجهم، ونحاول في هذا المبحث رصد مناهج التفسير للقرآن عند الرسول ﷺ وأهل بيتِهِ وأصحابه وتابعيهم كما نكشف عن بعض المناهج التي إبتكرها أصحابها في التعاطي مع النص القرآني، ونحن بذلك نحاول تأصيل جذور المنهج الموضوعي في تفسير القرآن، مسلطين الضوء على مساهمات المفسرين في طول هذه العصور.

المطلب الأول- التفسير في عصر النشأة :

وهو عصر رسول الله ﷺ المعلم الأول للقرآن، فبعد البعثة النبوية ومع أول آية نزلت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ... اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [١] أمر الله تعالى بطلب العلم من خلال بوابة المعرفة (القراءة والكتابة) إذ أشار إلى رمز الكتابة وهو القلم، وهكذا القرآن يخطو نحو كشف ظلمة الجهل بنور العلم على يدي رسول الله الذي قال: (إنما بعثتُ معلماً) [٢] وقال ﷺ:(بالتعلمِ أُرسلت) [٣] كما إنه قال: (إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) وسند هذه الأحاديث الآية القرآنية:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٤] والبيان هو التفسير كما أثبتناهُ لغةً وإصطلاحاً، وقد أكد رسول الله ﷺ على هذه المهمة بقولِه (ألا وإني قد أُوتيت القرآن ومثلهُ معهُ). [٥]

وهي السنة البيانية سواء كانت الشارحة أو المؤسسة إلا أننا نواجه بعض الأفكار - حول فعالية النبي ﷺ مع مشروعهِ القرآني - التي توحي بأنه أخل بمسؤولياتهِ - وحاشاه حيث يبدو لي

---

(١) سورة العلق / ١-٤: الميزان ٢٠/ ٤٥٩، أولًا - يؤيد أن أول ما نزل من القرآن هذه الآيات وثانياً - التقرير إقرأ القرآن لا مطلق القراءة، الذي علم بالقلم أي علم القراءة أو الكتابة والقراءة.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين ١/ ١٥، ٣- المجلسي، بحار الأنوار ١/ ٢٠٦.

(٣) سورة الجمعة / ٢: مجمع البيان ٥/ ٢٨٤: (يتلو عليهم آياتِهِ) أي يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال والحرام والحج والأحكام (ويزكيهم) أي يطهرهم من الكفر والذنوب (ويعلمهم الكتابة والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة الشرائع وقيل: الحكمة تعم الكتاب والسنة وكل ما أرادهُ الله من الحكمة فهو العلم.

(٤) سورة القيامة / ١٧-١٩. مجمع البيان: (إن علينا جمعه) في صدرك حتى تحفظه (وقرآنه) وتأليفهُ على ما نزل عليك (ثم إن علينا بيانه) نريد أن نبين لك معناه.

(٥) مسند أحمد، ٤/ ١٣٠ ح ١٧٢١٣، سنن أبي داود ٤/ ٢٠٠ ح ٤٦٠٤.

عندما نرى بعض المقولات المنتشرة في كتب السيَّر والحديث: من أن النبيﷺ مات ولم يوصي، مات ولم يجمع القرآن، مات ولم يُبن تفسير القرآن كاملاً، أو فسَّر ولكن لم يصل وثمة مقولة تدخل في حيز بحثنا: (هل أعطى النبيﷺ منهجاً معرفياً للإستنباط القرآني والفقهي... الخ، أم لا ؟).

هذه الأسئلة وغيرها قد حازت محلاً للنقضِ والإبرام بين العلماء.

وفي ظني أن الذي بعث المؤرخين على هذه التساؤلات ؛ هو عدم وصول وثائق تدعم هذا الراي، لأسباب متشعبة أدت بالنتيجة إلى مصادرة تراث النبيﷺ، ولعل من أبرزها:

١- منع تدوين الحديث الشريف طيلة القرن الأول الهجري [(١)] .

٢- إقصاء حملة القرآن عن دورهم الريادي.

٣- جدلية الخلافة والإمامة.

٤- حرق مصاحف الصحابة.

٥- تجريد القرآن من الأحاديث الشريفة المفسرة لهُ.

٦- تأخر مرحلة تدوين العلوم وتصنيف المعارف.

كل هذا أدى إلى القول بقلة التراث النبوي التفسيري حينما لاحظوا أن جميع ما ورد من التفاسير المصرح بها لا تتجاوز مائتين وعشرين حديثاً كما أخرجها السيوطي في

---

(١) راجع علي الشهرستاني، منع تدوين الحديث.

آخر الإتقان. [١] لكن الطبري في مقدمة تفسيره وابن تيمية يؤكدان على أن الأحاديث النبوية كلها شارحة للقرآن ولو بصورة غير مباشرة بل أن قول النبي وفعلهُ وتقريرهُ حُجة. إذ إن النبي يجسد القرآن في الخارج. إضافة لما تبناهُ مسلم والبخاري من أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند على نقاشٍ فيه بينهم وشروط [٢].

فإذا ما ضمنّا ما ورد عن الصحابي إلى النبي ﷺ سوف يزداد معدل الآيات المفسرة، كذلك إذا ما أضفنا الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلى النبي بإعتبار أن أحاديثهم كلها مسندة إلى رسول الله ﷺ عبر الأذن الواعية لعلي بن أبي طالب عليه السلام وبلغها المستحفظين من آل الرسول ﷺ [٣] سوف يزداد تراث النبي التفسيري

ولكننا إذ نستعرض حياة النبي في زاوية مشروعِه القرآني والفعاليات التي قام بها سندرك أن الرسول ﷺ أكمل رسالته على أتم وجه وسنحاول رصد هذه الفعاليات عبر مصطلحات (القراءة، التدوين، السنة الشريفة)

---

(١) السيوطي، الإتقان ٤/ ٢٠٥ وما بعدها.

(٢) السيوطي، الإتقان ٤/ ١٧٤.

(٣) السبحاني، مفاهيم القرآن ١٠/ ٣٠٩ وهذه عقيدة كل الشيعة.

أولاً: القراءة:

عندما ندرس مصطلح القراءة في إستخدام الرسولﷺ والصحابة والتابعين والمحدثين نجد أن القراءة كان لها معنى (تلاوة القرآن، ومعرفة معانيه) كما حققهُ العسكري مستدلاً بالآيات القرآنية والسيرة النبوية وسيرة الصحابة والمحدثين وهي دراسة تاريخية لمعاني هذه الكلمة وتطورها (١) .

وهذا ما سنراهُ من سيرة النبي لإقراء القرآن:

١. إقراء الصحابة:

فإن الصحابة كانوا يقرأون على رسول اللهﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل (٢) .

فكان رسول اللهﷺ يلقن أصحابُه التفسير بروية ويشترط إتقان عشر آيات الأولى من القراءة والعلم والعمل بها حتى ينتقل إلى العشر الأُخر، وهو منهج رائع تفتقد إليه المحافل القرآنية اليوم إذ تهتم بمخارج الحروف فقط. حتى ضرب حاجزٌ بين القرآن وفهم معانيه الأولية على الأقل.

٢. إقراء وفود القبائل الداخلة في الإسلام:

تنقل لنا مرويات التاريخ: إن وفد قبيلة عبد قيس جاء إلى المدينة فأوكل رسول اللهﷺ لكل رجلٍ من المسلمين ينزل أحدهم عنده ويقرئه القرآن ويعلمهُ الصلاة، فمكثوا جمعة،

---

(١) مرتضى العسكري، القرآن وروايات المدرستين ١/ ٢٨٦.

(٢) مسند أحمد، ٥/ ٤١٠، كنز العمال، ٢/ ٣٤٧ ح ٤٢١٣، ٤٢١٥. تفسير الطبري ١/ ٢٧ رواهُ بعدة طرق، الذهبي، معرفة القُراء، ٤٨، مجمع الزوائد ١/ ١٦٥، المجلسي بحار الأنوار ٩٢/ ١٠٦.

ثم دعاهم فوجدهم كادوا أن يتعلموا ويفقهوا، فحولهم إلى غير أولئك فمكثوا جمعة أخرى، فوجدهم قد قرؤا وفقهوا) [١] .

ونحن مع هذا النص نفهم كيف أن الرسول كان حريصاً على تأسيس مجتمع المعرفة. والرسول صلى الله عليه وآله لم يدخر جهداً حتى مع الأفراد الداخلة إلى الإسلام، عندما جاء أُهيب بن سُماع ليدخل إلى الإسلام قال النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام خُذ بيدِه فعلمهُ القرآن فأقام عند النبي صلى الله عليه وآله حتى حذق شيئاً من القرآن) [٢] .

٣. بعث القُراء معلمين إلى المناطق الداخلة في الإسلام:

فقد بعث مع وفد الخزرج الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيعة العقبة بمنى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمرهُ أن يُقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى مصعب بالمدينة المُقرئ) [٣] .

وأرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن وأوصاهما أن يعلما الناس القرآن وخولهما إفتاء الناس بالكتاب والسنة حيث قال صلى الله عليه وآله: (يا معاذ علمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الأخلاق وأوصيك بتقوى الله والفقه في القرآن)[٤] .حتى أن النبي صلى الله عليه وآله لم يهمل أهل الصنعة وهم الفقراء الذين لا أهل لهم حتى أدخلهم في مشروعِه المعرفي.

---

(١) الصنعاني، المُصنف ٩/ ٢٠١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ٢١/ ٣٧٧.

(٣) سيرة ابن هشام، ٢/ ٤٢، ط القاهرة.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ٨/ ٣٠٢. ابن شعبة الحراني، تحف العقول ٢٥-٢٦.

ثانياً: سيرتهُﷺ في تدوين القرآن:

لقد شجع رسول اللهﷺ على محو الأمية بتعليم القرآن، وقصة فداء أسرى بدر لتعليم القراءة والكتابة مشهورة [١]. ويعد رسول اللهﷺ أول من قام بمحو الأمية في الجزيرة العربية، واتخذ رسول اللهﷺ من أصحابه كُتاباً للوحي [٢].

وقد عرفنا في مصطلح القراءة وكيفيتها في عصرهﷺ أنه كان يعلمهم عشر آيات فلا يتجاوزها حتى يعلموا العلم والعمل بها. والسؤال الذي يطرح نفسه هل كانوا يدونون تفسير القرآن مع القرآن أم لا ؟ وهذا ما سنعرفه من خلال مصاحف الصحابة فقد كانوا يثبتون ما يُبينهُ الرسول الأكرم عند نزول الوحي من توضيحات تفسيرية تدل على وجود بذرة التفسير في عصر الرسولﷺ. وقد سجلها السجستاني في كتابه المصاحف [٣] وقد أشتهر عن أمير المؤمنينعليه السلام قولهُ في أكثر من مناسبة: (ما أنزلت آية على رسول اللهﷺ إلا إقرأ بينها وأملاها عليَّ فأكتبها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يُعلمني فهمها وحفظها ما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاهُ عليَّ منذ دعا لي ما دعا). [٤] فقد أثبت القرآن وتفسيرهُ بثمة دليل آخرغير مباشر يدل على وجود التفسير في عصر الرسولﷺ ما تظافر عن النبيﷺ قولهُ: (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدهُ من النار) [٥] هذه المقول تكشف عن ظهور حالة خطيرة من المنافقين وهي محاولة

(١) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٤٧، السيرة الحلبية ٢/ ١٩٣، طبقات ابن سعد، القسم الأول ج٢ ص١٤.

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان ١/ ٢٣٩، محمد هادي معرفة، تلخيص التمهيد ١/ ١٢٧-١٢٩.

(٣) ملحق رقم (١) هوامش الآيات المدوّنة في مصاحف الصحابة فراجع.

(٤) الحسكاني، شواهد التنزيل ١/ ٣٣، حلية الأولياء ١/ ٦٧-٦٨، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٣٨، تاريخ ابن عساكر ٢/ ٢١.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٤١، تفسير العياشي ١/ ٢٢، تفسير البرهان ١/ ٤٧.

لتحريف معاني القرآن في زمن الرسول وهذه ردةُ الفعل – من المنافقين – لا تأتي إلا إذا كانت هناك حملة تفسيرية رائجة تفصح عن حقائق الأمور وتفضح سرائر المنافقين. والرسول ﷺ يدافع عن التفسير الصحيح بردعه عن التفسير المزيف (التفسير بالرأي).

ثمة دليل تاريخي مهم يُدعم قولنا بأن التدوين كان (للقرآن وتفسيره) ما أشتهر في عصر الخلفاء من تجريد القرآن من أحاديث رسول الله ﷺ مما يدل على وجود الأحاديث المفسرة بشكل واضح. فقد ذكر الطبري في سيرة عمر: (أنه إذا إستعمل العمال خرج معهم ليشيعهم فيقول: جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن محمد وأنا شريككم)[١]. ومن ذلك أستظهر العسكري: أن قول عمر (جردوا القرآن عن حديث عن رسول الله ﷺ يدل على أنه لدى الصحابة إلى ذلك العصر مصاحف كُتب فيها القرآن والحديث المفسّر للقرآن عن رسول الله ﷺ. [٢]

ثالثاً: سنة النبي ﷺ:

ويمكن تصنيفها من جهة دورها في إيضاح النص القرآني إلى صنفين:

الصنف الأول:

الأحاديث الدالة على فضل تعلم القرآن في الدنيا والآخرة مما أعطى ثقافة واسعة الإنتشار للإهتمام بالقرآن وحفز جيل الصحابة بأن يضطلعوا بمهامهم كونهم الرعيل الأول الذي يحمل نور العلم إلى الأجيال اللاحقة، فقد ذكر الطوسي بسندهِ عن أمير

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٠٤ دار المعارف بمصر ١٩٦٣، طبقات ابن سعد ٦/ ٧، كنز العمال ٢/ ١٨٣، سنن الدارمي ١/ ٨٥، سنن إبن ماجة ١/ ١٢ في المقدمة تذكرة الحفاظ ١/ ٧، المستدرك للحاكم ١/ ١٠٢.

(٢) مرتضى العسكري، القرآن وروايات المدرستين ٢/ ٤١٤.

المؤمنين عن رسول الله ﷺ: (خياركم من تعلم القرآن وعلمه) (١) يقول البغوي هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢). وامتدح ﷺ حملة القرآن قائلاً: (أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل) (٣). وقال ﷺ: (ما أجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونهُ بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة) (٤). ومصطلح الدراسة ذكر في القرآن قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٥) فقد شجع النبي ﷺ على تدارسه وتداوله في حلقات العلم.

الصنف الثاني: من السنة النبوية:

ومن خلال الأحاديث النبوية المفسّرة للقرآن نستطيع تصنيفها إلى ما يلي:

١. مجموعة الأحاديث التي صدرت عن النبي ﷺ التي تصف القواعد والأصول المنهجية لتفسير القرآن، وهي تُبين بعض المصطلحات القرآنية الخاصة بعملية التفسير فقد روى المتقي الهندي عن طريق ابن النجار عن علي عن النبي ﷺ قال في خطبةٍ له: (أيها الناس قد بيّن الله لكم في محكم كتابه ما أحل لكم وما حرم عليكم فأحلوا حلاله وحرموا حرامهُ، وآمنوا بمتشابهه وأعملوا بمحكمهِ واعتبروا بأمثالهِ) (٦) فقد ذكر هذا الحديث خمسة مصطلحات: المحكم والمتشابه والحلال والحرام والأمثال

---

(١) أمالي الطوسي ١/ ٣٦٧.

(٢) البغوي، معالم التنزيل ١/ ٣٢.

(٣) أمالي الطوسي ١/ ٥، البحار ٨٩/ ١٧٨.

(٤) المتقي الهندي، كنز العمال ح ٢٣٢٠.

(٥) آل عمران / ٧٩.

(٦) المتقي الهندي، كنز العمال ١٦/ ١٣٨ ح ٤٤١٦٩.

وبين ﷺ كيفية التعامل معها.

وقال رسول الله ﷺ: (من أفتى بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناسَ وهو لا يعرف الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك) [١]. وهنا رسول الله ﷺ يؤكد على الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه مؤسساً للمفاهيم القرآنية التي لها دخل في الإستنباط (الفتوى) إذ لولاها لوقع الناس في شباك القياس المنهي عنه حسب سياق الحديث.

٢. تفسير القرآن بالقرآن: فقد فسر ﷺ الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٢] حيث قال بعض أصحابه عند نزول هذه الآية: وأينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال ﷺ: إنه ليس بذلك ألا تسمع قول لقمان لإبنه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٣]. [٤]

بعض الروايات التفسيرية تورد كيف أن النبي ﷺ فسر القرآن بالقرآن من خلال الآية تفسرها الآية وأحياناً كثيرة الرسول ﷺ يفسر القرآن بنفس الطريقة إلا أنه لا يذكر الآية المفسرة، ولنذكر مثالاً: أخرج الترمذي وأحمد وحسنه ابن حيان في جامعه. عن عدي بن حيان قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين هم النصارى) [٥] وهذا الحديث مشهور في كتب التفسير عند المسلمين ولو أمعنا النظر فيه لوجدناه ضرباً من تفسير القرآن بالقرآن وما علينا إلا أن نجد الآيات

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٣٩، كنز العمال ح ٤٢١٣، مجمع الزوائد ١/ ١٦٥، البحار ٩٢/ ١٠٦.

(٢) الأنعام / ٨٢.

(٣) لقمان / ١٣.

(٤) صحيح البخاري ٦/ ١٤٣-١٤٤.

(٥) السيوطي، الإتقان ٤/ ٢٠٥، ظ: الطبرسي، مجمع البيان ١/ ٣٨.

المفسرة لهذه الآية. وعندما نرجع إلى المعجم المفهرس مادة غضب نجد ما يقارب من خمس آيات تصف اليهود بأنهم مغضوب عليهم منها ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ (١)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (٢). وأما الضالين فعندما نرجع إلى مادة (ضلال) نجد قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٣). وهم النصارى وقد غلوا في دينهم فكانوا ضالين، وقد ورد ذلك أيضاً عن الإمام علي عليه السلام.

٣. تفسير الآية بالمصداق الخارجي: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ (٤) قال: هم الخوارج لأن الخوارج تأولوا القرآن على غير تأويله وهنا تظهر قدرة النبي على الإستنطاق المستقبلي للنص. وهذا من باب تأويله بعد تنزيله و كذلك أخرج الحاكم وأحمد والترمذي: وابن حيان ابي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم الرجل يغتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٥) فقد وصف الذي يعمر المساجد بأنه مؤمن وهكذا.

(١) سورة البقرة / ٦١.

(٢) الأعراف / ١٥٢.

(٣) المائدة / ٧٧.

(٤) آل عمران / ٧.

(٥) السيوطي، الإتقان ٤/ ٢٠٨.

٤.تفسير القرآن بالسنة النبوية:من الأحاديث التي تبين (أسباب النزول) وهي تفيد القرينة الحالية الموضحة للنص القرآني والمؤولة فيه.

وأحياناً ترد في القرآن تشريعات كلية لا تفصيل فيها ولا بيان ولا شرائط مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فجاءت السنة مبينة أجزاءها وشرائطها وأركانها وموانعها.

المطلب الثاني: التفسير بعد عصر التأسيس النصي:

وهو عصر الصحابة والتابعين الذي بدت ملامح المدارس التفسيرية للقرآن فيه وقد برزت أسماء الصحابة الذين أهتموا بالقرآن ذلك لأنهم أخذوا القرآن قراءةً وتفسيراً وتدويناً من فم رسول الله ﷺ كما أوضح ذلك غير واحد من الصحابة بأنهم كانوا يأخذون عشر آيات بعد عشر آيات قراءةً وتفسيراً وعملاً فدون كل من (حملةُ القرآن) مصحفاً خاصاً به وأخذوا يقرئونه ويعلمونه جيل التابعين كما أُخذوه – قراءَةً وتفسيراً – فاستطاع حملة القرآن أن يؤسسوا المدارس التفسيرية بكل أبعادها – من حيث الكوادر البشرية كَحملةً للقرآن، والقواعد التفسيرية والنتاج التفسيري– وكان لشخصيتهم العلمية حضورٌ واضحٌ فقد ارتبط إسم كل واحد منهم بالمكان الذي بث فيه علمهُ – كما سنعرف لاحقاً – إلا أن التفسير في جيل الصحابة والتابعين تعرض إلى هدر لطاقاتهِ نتيجة لظروف سياسية أخفت معظم معالم وأسرار التفسير عند النبي ﷺ وأصحابهِ كما سنعرف أيضاً. ولكن ما يهمنا في هذا البحث هو رصد المساهمات العلمية عند الصحابة المفسرين بشكل عام والتركيز على جذور التفسير الموضوعي عندهم.

المفسرون من الصحابة:

مصطلح الصحابي: فيه أكثر من إطلاق، فمنهم من توسع فيه حتى شمل من رأى النبي ولو لم ينقل عنه شيئاً [(١)]، ومنهم من قصرهُ على المعنى اللغوي: بمعنى المعاشرة والملازمة [(٢)] مطلقاً لعل مستندهُ الإستخدام القرآني لهذه المفردة يوافق المصطلح اللغوي كقوله (يا صاحبيَّ السجن)، (أصحاب موسى) [(٣)] وإن اصطلاح الصحبة بمعنى المعاشرة ينطبق على الصحابة المفسرين إنطباقاً كلياً. إلا أن واقع حال الصحابة تاريخياً: التفاوت في القدم والفهم والمؤهلات والسن يعطي تفاوتاً في الفهم. وفي حديث طويل لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يعرض لنا مقدار التفاوت بين الصحابة في الفهم (إن في أيدي الناس: حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً..) [(٤)]

ويُضيف رواة الحديث - باعتبارهم نقلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى أربعة أصناف: ١. المنافق الكذاب، ٢. المتوهم، ٣. الذي ينقل المنسوخ وهو لا يعلم، ٤. والصادق ثم قال معلقاً على فهم الصحابة (وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسألهُ عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمهُ، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا..) [(٥)] والدليل على ذلك مع ما قيل من أن الصحابة تجاوز عددهم المائة ألف إلا أن الذين إشتهروا في التفسير في أعلى

(١) ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة ١/ ١٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صحب).

(٣) مرتضى العسكري، مختصر معالم المدرستين، ص٧٢.

(٤) الكليني، أصول الكافي، باب اختلاف الحديث ١/ ٦٣-٦٥ (سنده صحيح)، راجع ملحق رقم (٢).

(٥) الكليني، أصول الكافي، باب اختلاف الحديث، ١/ ٦٣-٦٥.

التقديرات عشرة كما ذكره السيوطي والزرقاني: (أشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير)[١] ثم أعترف السيوطي بأن أكثر من رُوي عنه علي بن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نزرة جداً. لا تكاد تجاوز العشرة وعلل سبب ذلك تقدم وفاتهم، وأضاف الزرقاني سببين آخرين هما: (إشتغالهم بالحكم، وكونهم في وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله).

وفي الواقع هذه التبريرات غير منطقية إذ إن (طول صحبتهم باعتبارهم من المهاجرين، واحتكاكهم مع الأحداث والموضوعات يحفزهم للاستنباط من القرآن لا أن يمنعهم، أما قوله (كونهم في وسط أغلب أهله علماء فلا يحتاجون علم التفسير فكيف والخلفاء أنفسهم احتاجوا إلى التفسير من الصحابة لاسيما ابن عباس [٢] وكان عمر يسأل أهل الكتاب عن تفسير القرآن) [٣]. فلم يبق من الخلفاء إذن إلا علي بن أبي طالب ومن الصحابة

(ابن مسعود وأُبي بن كعب وابن عباس) وأما زيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير فلم ينقل عنهم تفسير كثير [٤]. وحول منهجية الصحابة المفسرين المشهورين بإسهاماتهم ومدارسهم نأخذهم من الأقدم إسلاماً وهم (علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، وابن عباس).

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان ١/ ٣٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٣٣، تاريخ ابن الأثير ٨/ ٢٩٩.

(٣) راجع ترجمة تميم الداري وكعب الأحبار.

(٤) راجع ترجمتهم في الإصابة لإبن حجر ٤/ ٨٠، ١٨٢.

أولاً: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

قال ابن حجر: (أول الناس إسلاماً، ولد قبل البعثة بعشر سنين، فرُبيَّ في حجرِ النبي صلى الله عليه وآله ولم يفارقه وشهد معهُ المشاهد إلا غزوةُ تبوك، ومناقبهُ كثيرة حتى قال الإمام أحمد، لم يُنقل لأحدٍ من الصحابة ما نُقل لعلي، وقال: وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل: (كان علي يقول سلوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أم بنهار) .

وفيما يخص إهتمامهِ بالقرآن وكيفية تتلمذه قال عليه السلام: ((فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آيةٌ من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، فما نسيتُ آية من كتاب الله، ولا علماً أملاهُ عليَّ، وكتبتهُ منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمهُ الله من حلال وحرام ولا أمرٍ ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحدٍ من قبلهِ - من طاعة أو معصيةٍ - إلا عَلمنيه وحَفظتهُ فلم أنسَ منه حرفاً واحداً)) (١).

وفي هذا النص عبارات لابد من الوقف عندها: فهو يؤكد على أخذ القرآن من رسول الله قراءةً وإملاءً وتدويناً، بخط يدهِ وهو من أنصار تدوين العلم - عكس ما عُرف عن باقي الخلفاء، ثم أخذ يعد المصطلحات القرآنية وتطبيقاتها وأنه أخذها من رسول الله صلى الله عليه وآله: (التأويل والتفسير)، واجتماعهما في مكان واحد يدل على اختلاف معنيهما، لكن الملحوظة التي تلفت الإنتباه قوله: (وما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آيةٌ) إلا... وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها...) فحسب الدلالة

---

(١) الكليني، أصول الكافي - باب اختلاف الحديث ج١/ ٦٣-٦٤ (سنده الصحيح) كما حققناهُ.

السياقية للكلام أن كل آية من كتاب الله قابلة لأن تكون (ناسخة ومنسوخة، محكمة ومتشابهة) وخاصة وعامة) ولا يمكن أن تكون كذلك في لحاظٍ واحد وإلا حدث التناقض بل لابد من وجود لحاظين، فالآية تكون ناسخة لآية ثانية ومنسوخة لآية أخرى، مما يعطي ديناميكية وتفاعل بين آيات القرآن الكريم، لعل هذا المفهوم غريب إلا أنه واضح من خلال سياق الحديث والأحاديث الأخرى.

إن المصطلحات القرآنية كالناسخ والمنسوخ وأمثالِهِ لابد من دراستها كما جاءت في النصوص لكي نعرف إطلاقاتها ومعانيها، ولابد أن نميز بين النص وما فُهم من النص، وهذه دعوة لإعادة قراءة النص من جديد بحسب ظرفِهِ وسياقِهِ، لأن المفاهيم التي أخذت تراكمية مبتنية على الاصطلاحية أكثر مما هي مبتنية على الأستنباط من النص، كما ذكرنا ذلك في (التفسير والتأويل والتنزيل) .

في الواقع الـذي يرصد اهتمامات الإمـام علي بالقرآن وحرصِهِ على إظهار المصطلحات العلمية القرآنية إضافة إلى النتاج الوفير في التفسير يجد مادة غنية تستحق الدراسة والتوثيق.

ففي نهج البلاغة وفي خطبِهِ الرائعة كرس بعضها لإلقاء الضوء على هذه المصطلحات ففي أول خطبة أعطى ما يقارب من ثلاثين مصطلحاً قرآنيا (كتاب ربكم فيكم: مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضهُ وفضائله وناسخه ومنسوخه...الخ) [١] وفي ما يقارب من ثلاث خطبٍ أخرى يركز على حقيقة جوهرية للقرآن (هي قدرة القرآن على تبيين نفسه) أي تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد الركيزة الأساسية للتفسير الموضوعي. إذ قال عليه السلام: (كتاب الله تُبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به وينطق بعضهُ ببعض،

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (١)، (القرآن والأحكام الشرعية).

ويشهد بعضهُ على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله). [١] وهكذا في عدة مواضع من نهج البلاغة [٢]. فاستحق بحق أعلى وسامٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتوج حملة القرآن من الصحابة إذ قال صلى الله عليه وآله: (هذا عليٌ مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض) [٣].

إضافة إلى شهادة الصحابة في حقهِ لاسيما المفسرين منهم.

مصادر التفسير عند الإمام علي عليه السلام:

١ – تفسير القرآن بالقرآن:

فهو صاحب المقولة: (ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضهُ على بعض). [٤]

وفي معرض إجابة مسائل ابن الكواء* في ما ادعاهُ من تناقض القرآن، قال: ويحك يا ابن الكوا، جاء القرآن ليصدق بعضاً، لا يكذب بعضه بعضاً) [٥].

وهناك مصادر أخرى للتفسير ذكرها الإمام الصادق عليه السلام وهو يستعرض قدرة جدهِ أمير المؤمنين على إستنباط المعاني وترجمة القرآن، والتأصيل المنهجي لتفسيره، وكيف أنه فسح المجال لأصحابه ليسألوا، ولقد اشتهرت عنه كلمة (سلوني: سلوني) محاولاً كشف التعتيم على حقائق القرآن حتى ذكر ستين نوعاً من علوم القرآن

---

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (١٣٣).

(٢) راجع نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٨)، (١٨٣)، (١٥٨).

(٣) ابن حجر، الصواعق المحرقة ص١٢٤ ط المحمدية بمصر، القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ص٢٨٥.

(٤) نهج البلاغة، خطبة رقم (١٣٣).

(٥) حسن القبانجي، مسند الإمام علي ج٢ ص١٧ المخصص لتفسير الإمام علي عليه السلام نقلًا عن البحار نقلاً عن الإحتجاج وتفسير العسكري.

والأصول والقواعد التفسيرية، وقد نقلها كلٌ من النعماني والسيد المرتضى، ونقلها ابن قولويه عن سعد الأشعري [١] وقد نقلها بشكل مختصر المفسر الأقدم الشيخ علي بن إبراهيم القمي بسنده المتصل إلى الإمام الصادق عليه السلام وكثير من أنواعها نقلها الأئمة في أحاديث متفرقة تصادق على مضمون الرسالة، وإن أقوى سند لهذهِ الرسالة هي الأمثال التي جاء بها الإمام علي عليه السلام حيث ضرب لكل نوع مثلاً فكان دليلها معها، وبعد أن ينتهي من كل نوع يقول (وهذا في كتاب الله كثير) وكانه يدعو المسلمين إلى إستنباط ذلك من خلال القاعدة والمثل الذي أعطاه. وسأحاول رصد بعض هذه الأنواع التي نراها تسهم في التنظير للتفسير الموضوعي:

٢-إتباع الأشباه والنظائر:

الذي وصفهُ الإمام علي (متفق اللفظ مختلف المعنى) فأخذ عدة مفردات قرآنية ولاحق إستخداماتها السياقية مستنبطاً معانيها مترجماً لألفاظها وضرب لذلك عدة أمثلة (الوحي، القضاء، الضلال، الخلق، الفتنة، النور، الأمة) وهذا يستدعي قراءة ما بين الجلدين وهو يعتمد على الإستقراء والجمع الموضوعي لمفردة واحدة (لموضوع واحد) وهذا جهد ليس باليسير يوم لم يكن هناك حاسوب ولا معاجم قرآنية. ولنأخذ إنموذجاً منها: (الخلق) وهو على أربعة أوجه:

خلق الاختراع فقوله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [٢]

خلق الاستحالة فقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [٣]

---

(١) حققنا الأسانيد الثلاث لهذه الرسالة وتخريجاتها بشكل وافي في ملحق رقم (٣) وثبت صورها وصحتها.

(٢) الأعراف / ٥٤.

(٣) الزمر / ٦.

وأما خلق التقدير فقوله لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [١]

وأما خلق التغيير فقوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾[٢].

فبالإضافة إلى الاستقراء والجمع الموضوعي استطاع الإمام علي عليه السلام أن يترجم كل مفردة باصطلاحٍ يستنبطهُ إما من سياق الآية كما في الآية الأخير (خلق تغيير) أو من قرائن أخرى تفيد المطلوب، وهذا المثال يجمعهُ موضوع واحد هو (الخلق) لكنه متشعب إلى فروع أربعة، وإذا أردنا الإتساع نرجع إلى المعجم القرآني.

من ثمَ سوف نبدأ بالهيكلة العامة للموضوع المراد بحثه من خلال (الاستقراء، الجمع الموضوعي، الترجمة) الترادف:

قال عليه السلام: (ومنه آيات مختلفةُ اللفظ متفقةُ المعنى) وهذه دعوى واضحة لوجود الترادف في القرآن، وفائدتهُ واضحة إذ إنه يوسع دائرة البحث، فلو أردنا البحث عن مفردة ما وكانت هذه المفردة قليلة أو جاءت مرةً واحدة [٣] فلا نقف مكتوفي الأيدي بل لابد من الإعتماد على المعاني المترادفة وإن كانت ألفاظها مختلفة. حتى تدخل في حسابات المفسر.

٣- تقسيم القرآن:

لقد قام الإمام علي عليه السلام بتصنيف آيات القرآن إلى عدة أقسام فعرفت عنه القسمة الثنائية، القسمة الثلاثية، القسمة الرباعية، القسمة السباعية، وهذه التقسيمات قد

(١) المائدة / ١١٠.

(٢) النساء / ١١٩.

(٣) جمع بعض الباحثين المفردات التي وردت في القرآن لمرة واحدة أو مرتين.

تكون متداخلة إلا أنه عليه السلام في كل مرة يحاول تصنيف الآيات القرآنية بلحظات مختلفة تبرز معالم القرآن وعلومهِ، يصلح كل قسم أن يكون موضوعاً قرآنياً.

أ- القسمة الثنائية:

صنف الإمام علي عليه السلام كل نوعين من الآيات في نظامٍ زوجي بشكل (ثنائيات تناظرية) يُمكن التفاعل فيما بينها ضمن إطار (موضوع واحد) يجعل القرآن قادراً على تبيان المعلومة من هذا النظام الزوجي، وهذا النظام هو نظام كوني ثابت قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (١) فقد قال عليه السلام: (وفي القرآن: ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وخاص وعام، ومقدم ومؤخر، وعزائم ورخص، وحلال وحرام، وفرائض وأحكام، ومنقطع ومعطوف) (٢) فكل زوج من المصطلحات يمثل نظاماً قرآنياً واحداً. فمثلاً

١- فرائض وأحكام: وقد أعترف كل من بحث في التفسير الموضوعي أن الفرائض والأحكام يجمعها موضوع واحد هو (آيات الأحكام) وقد بُحثت قديماً ويعد هذا البحث من جذور التفسير الموضوعي عند القدماء على تفصيل يأتي في محلهِ وكذلك الحلال والحرام يدخل تحت هذا العنوان.

٢- العام والخاص: ذكر الإمام علي عليه السلام عدة أنواع من العام والخاص على مستوى اللفظة الواحدة (اللفظ عام ويراد به الخصوص وبالعكس)، (ولفظ عام ويراد به العموم وبالعكس) والذي يدخل في حيز بحثنا الآيات التي تخصص العام (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين...) وقد يكون المخصص متصلاً أو منفصلاً وهكذا

---

(١) الذاريات / ٤٩.

(٢) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، ص٥٠.

تجري الأمور على (المطلق والمقيد)[١*]، (المجمل، والمفصل)[٢**]، (المبهم والمبين) كلها يجمعها موضوع واحد إذ لا يعقل أن يكون الخاص أجنبياً على موضوع العام وهكذا. وسيأتي ذلك مفصلاً في الفصل الأخير

ب- القسمة الثلاثية: يقسم الإمام علي عليه السلام بلحاظ آخر القرآن إلى ثلاثة أثلاث إذ ينقل الأصبغ بن نباتة القول عنه عليه السلام: (نزل القرآن أثلاثاً: (ثلثٌ فينا وفي عدونا)، (وثلث سنن وأمثال)، (وثلث فرائض وأحكام). [٣]

أما الفرائض والأحكام فقد عرفنا دخولها تحت آيات الأحكام التي يجمعها موضوع واحد، وأما قوله (ثلث فينا وفي عدونا) فهناك أحاديث كثيرة وردت عن أهل البيت تؤول آيات أهل الحق فيهم وآيات أهل الباطل في عدوهم [٤] مما جعل الآيات القرآنية تترسب حول قطبين قطب الحق وقطب الباطل وقد عد السبحاني هذا من نوع التفسير الموضوعي للقرآن إذ لحظ فيها موضوعاً جامعاً بين الآيات. [٥] وأخذ يعدد المدونات في هذا الموضوع. وهناك القسمة الرباعية لا تعارض هذه القسمة إنما تتداخل معها وقلنا أن تعدد التقسيمات يتبع تعدد اللحاظ.

جـ- القسمة السباعية:قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها شافٍ كافٍ وهي: أمرٌ وزجر، ترغيب وترهيب، جدل

---

(١) رسالة (المطلق والمقيد) رسالة ماجستير / سيروان عبد الزهرة.

(٢) رسالة (المجمل والمفصل) رسالة دكتوراه / سيروان عبد الزهرة.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار ٩٨/ ١١٤ عن القمي والعياشي.

(٤) جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن ١٠/ ٣٧٢، ط٢ / ١٤٢٥هـ ط إعتماد/ قم.

(٥) راجع مقدمة تفسير العياشي.

ومثل وقصص) [١] .

* فالترغيب والترهيب: إذا جمعهم موضوع واحد يدخل تحت التفسير الموضوعي كما في موضوع الزواج إذ رغب فيه بقولهِ:) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً [٢] والترهيب قوله عز وجل:) إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [٣]، نلاحظ أن الموضوع الجامع بين الترغيب والترهيب موضوع واحد هو (الأزواج) وهكذا إذا كان هناك عنوانان متلازمان (كالجنة والنار) إذ يجمعهما موضوع واحد هو (الجزاء). وهذا الكلام يسري على (الأمر والزجر).

* القصص القرآني: وهو الموضوع الأوضح الذي جذب المفسرين إلى التفكر في جمع شتات القصة من مجموع آيات القرآن إذ لكل قصة موضوع جامع، ونرى في القرآن سورةً كاملةً وموضوعاً موحداً في سورة يوسف وعلى المنوال نفسهُ ممكن للمفسر الموضوعي أن يجمع قصة موسى وعيسى والأمم الخالية وهكذا.

٤- التفسير الموضوعي عند الإمام علي عليه السلام: لقد لاحظتُ في رسالة الإمام علي عليه السلام أنه قد بحث مواضيع متكاملة مبوبة ومفهرسة، كما في موضوع (معايش الخلق وأسبابها في القرآن) [٤] إذ فهرس البحث فيها فهرسةً قرآنيةً استقرائيةً فقال: معايش الخلق وأسبابها فقد أعلمنا سبحانه ذلك من خمسة أوجه: وجه الإشـارة، ووجه العمارة، ووجه الإجارة، ووجه التجارة، ووجه الصدقات) ثم فصل في ذلك كله

---

(١) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة ص٤٩.

(٢) الروم / ٢١.

(٣) التغابن / ١٤.

(٤) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، (معايش الخلق وأسبابها في القرآن)، ص١٢٨.

حتى تكامل الموضوع عنده والموضوع الآخر الذي رصدهُ الإمام عليعليه السلام موضوع (الإيمان والكفر):

إذ أخذ الإيمان [١] وقسمهُ على الجوارح اعتماداً على استقرائهِ القرآني ثم لاحظ مسألة عقائدية مهمة دار البحث عنها سابقاً لكنهُ حسمها ببركة التفسير الموضوعي وهي مسألة (زيادة الإيمان والكفر ونقصانه)، فتراهُ موضوعاً متكاملاً مستوفياً لجميع مسائلهِ.

٥- التأويل والتنزيل عند الإمام عليعليه السلام:كما مرَّ سابقاً في المبحث الأول.

٦- الناسخ والمنسوخ: كذلك إذا جمعهم موضوع واحد كما في موضوع القبلة التي ذكرها الإمام عليعليه السلام كنموذج قال تعالى:) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَة [٢] وكان رسول اللهصلى الله عليه وآله في أول مبعثه يصلي إلى بيت المقدس، فعيرتهُ اليهود وقالوا أنت تابع لقبلتنا فأنزل الله:﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٣] فالآية الثانية نسخت العمل بالآية الأولى وكان الجامع بينهما موضوع واحد هو (القبلة).

(١) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، (الإيمان والكفر والشرك)، ص١٣٣-١٦٤.
(٢) الأحزاب / ٦.
(٣) البقرة / ٢٤٤.

٧- المنقطع والمعطوف:قال: والمنقطع والمعطوف في التنزيل هو أن الآية من كتاب الله عز وجل كانت تجيء بشيءٍ (موضوع) ثم تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك وتجيء بمعنى غيرهُ (موضوع غيره) ثم تعطف بالخطاب على الأول) [١]. مثل قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٢] ثم انقطعت وصية لقمان لابنه فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [٣] ثم عطف بالخطاب على وصية لقمان لابنه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...﴾ [٤]

ثم أعطى ستة أمثلة مشابهة، وهذه دعوى جادة من الإمام للتحرر من قيود الترتيب المألوف بين آيات القرآن واتباع القراءة الموضوعية بممارسة ما أسماه (المنقطع والمعطوف) ومن خلال الأمثلة نجد أنه يتبع الموضوع ولو كان في سورة أخرى فلا تقيدهُ سور السورة وإنما يقيدهُ إستيعاب الموضوع، وهذا هو الجمع الموضوعي للقرآن وهذا يتسنى لكل أحد عندما يقرأ القرآن يمارس أثناء قراءتهِ الفصل والوصل (المنقطع والمعطوف) حسب الموضوع المبحوث عنه إلى أن يستقرأ القرآن من الجلد إلى الجلد باحثاً عن موضوعهِ.

٨- السُنة النبوية: إن الإمام علي استوعب السنة النبوية - كما سمعنا - فوعاها بأذنهِ الواعية وأتاحت له ظروف القرابة والمصاهرة للنبي ذلك التواصل في فهم كل آية نزلت وتفسيرها وتدوينها وكان من بين المصادر التفسيرية عندهُ السنة النبوية: فقد ذكر العياشي باسنادهِ عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدهِ قال:

---

(١) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة ص١٠١-١٠٤.

(٢) لقمان / ١٣.

(٣) لقمان / ١٤.

(٤) لقمان / ١٣.

قال أمير المؤمنينعليه السلام: (إنما أنت مُنذر ولكل قوم هاد) فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أنا المنذر وأنت الهادي). [(١)]

وعن عليعليه السلام: أنه سأل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقال: لأسرنك بها فتسر بها أُمتي من بعدي: الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحول الشقاء سعادة ويزيد في العمر)[(٢)].

ثانياً – عبد الله بن مسعود (رض):

أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وشهد بدراً والمشاهد بعدها لازم النبيصلى الله عليه وآله وكان صاحب نعليه.. وقال له في أول الإسلام: إنك لغلام معلم).[(٣)] وهو أول من جهر بالقرآن في قريش وقرأ سورة الرحمن [(٤)]. ويدل ذلك على شجاعته في نشر القرآن الذي أخذهُ من فم رسول الله واصفاً طريقة تعلمه للقرآن قال: (كنا إذا تعلمنا من النبيصلى الله عليه وآله عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي نزلت بعدها، حتى نعلم ما فيها[(٥)]. وهذا المشهد نُقل بكثرة في المصادر عن ابن مسعود [(٦)]. وكان يدون ما تعلمه من العلم والعمل فدون القرآن وتفسيرهُ واشتهر أنه من جُماع المصاحف واشتهر بقراءتِه حتى قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود – فبدأ به – وأُبي

(١) تفسير العياشي، ٢/ ٢٠٣ ح٥.
(٢) الهندي، كنز العمال ٢/ ٤٤١ ح٤٤٤٤.
(٣) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة ٤/ ١٩٩.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ١/ ٣٤١.
(٥) السيوطي، الدر المنثور ١/ ٣٤٩.
(٦) راجع تفسير الطبري ١/ ٤٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٠١

بن كعب ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة) [١]. ومدح رسول الله ﷺ قراءتهُ ووصفها بالغضة (من سرهُ أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأهُ بقراءته – يعني ابن مسعود – نقل ابن عساكر ثلاثين حديثاً بهذا المضمون بطرق مختلفة [٢] حتى أصبح ابن مسعود من التلامذة البارزين ومن الأساتذة المشهورين للقرآن إذ ينقل عنه الطبري بسنده قال: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار) [٣] وكان ابن مسعود معلماً حريصاً ومتابعاً لتلامذتهِ بشكل دقيق، فإنه إذا أصبح خرج، أتاهُ الناس إلى دارهِ فيقول: على مكانكم، ثم يمر الذين يُقرئهم القرآن، فيقول يا فلان بأي سورة أنت ؟ فيخبرهُ) [٤]، ومن أخباره بعد وفاة النبي ﷺ أنه بعث معلماً في زمن عمر إلى الكوفة، ثم إنه علم الناس على قراءتهِ مما أزعج سلطة عثمان فعزله واستدعاهُ وقال ابن مسعود لأهل الكوفة (إني غال مصحفي ومن استطاع أن يغل مصحفاً فليغل) [٥] وقال لهم: (أكتموا المصاحف التي عندكم) [٦] ونتيجة إصدارهِ على هذا الأمر قُتل إثر ضربه في مسجد النبي ﷺ فمات من علتهِ، أصبح ابن مسعود من مؤسسي مدرسة الكوفة التفسيرية، وعرف عنه تفسير كثير وصل إلينا بعدة طرق أهمها أربعة طريق الأعمش عن أبي الضحى وطريق الأعمش عن أبي وائل، وطريق مجاهد عن أبي معمر، وطريق ابن جُرير.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧/ ٢٢٦–٢٢٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٥/ ٤٢، مسند أحمد ١/ ٧، ٣٦.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٤٢.

(٤) عبد الرزاق، المصنف ٣/ ٣٦٦، الهيثمي، مجمع الزوائد ٧/ ١٦٧.

(٥) اليعقوبي، التاريخ ٢/ ١٧٠.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٥/ ٩٧.

منهجية التفسير عند ابن مسعود:

١- معرفته بالمصطلحات القرآنية:

حين ورد عنه قولهُ: (المحكمات: الناسخات التي يُعمل بهن، المتشابهات: المنسوخات)[١] وهذه الرواية نقلت عن ابن عباس أيضاً كثيراً وعن جمع من الصحابة وهي تدل على ترادف واضح لا يمكن تجاهلهُ، نعم كل مصطلح له مدلوله الخاص.

٢- التقسيم السباعي:

فعن ابن مسعود: إن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: (حلال وحرام، محكم ومتشابه، ضرب أمثالٍ، وأمر وزجر) فأحل حلاله وحرم حرامهُ وأعمل بمحكمهِ وقف عنده متشابهه، واعتبر أمثالهِ، فإن كلاً من عند الله وما يتذكر إلا أولو الألباب)[٢].

فإنه عرَّف هذه المصطلحات وأعطى المنهجية في التعاطي معها، وقد بيّنا ذلك في القسمة السباعية عند الإمام علي عليه السلام.

٣-من القواعد المنقولة عنه:

(ليس من الخطأ أن تقرأ بعض القرآن في بعض، وإنما الخطأ أن تقرأ ما ليس فيه)[٣]

وهي دعوة واضحة لعدم التقييد بترتيب القرآن في سورهِ وآياتهِ. الذي كان حاجزاً عن التفكر في التحرر من هذه القيود، التي حجبت العقول عن ملاحقة موضوع ما

---

(١) السيوطي، الدر المنثور ٢/ ٤، الطبري في تفسيره الآية ( )من سورة آل عمران.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ٦.

(٣) الصنعاني، المصنف، ٣/ ٣٦٤.

في القرآن. فالملاحظ الممارسة العملية في القراءة الموضوعية عند الصحابة كما وجدت عندهم بعض التجارب، ولعلهُ في السياق نفسه نفهم ما ورد عنه أيضاً: (من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين) [١] (والثور والثوران هو الهيجان، ثور الأرض: حرثها، ثوَّر القرآن بحث عن علمهِ) [٢] وكأنه يثور هذا الترتيب ويعيد تنسيقهُ من جديد على أساس موضوعي ليعطي معنى القراءة الحرة على للنص وفق سياق البحث. وإليك نماذج من إستقراءهِ الموضوعي الذي يدل على إلتزامهِ. بمنهج حرية قراءة النص، ولكن على وفق نظرة موضوعية:

قال ابن مسعود، قال رسول اللهﷺ: (من أَعطى أربعاً أُعطيَّ أربعاً وتفسير ذلك في كتاب الله: من أعطى الذكر ذكرهُ الله لأن الله يقول (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [٣]، ومن أَعطى الدعاء أُعطي الإجابة لأن الله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤]، ومن أعطى الشكر أُعطي الزيادة، لأن الله يقول:﴿لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٥]، ومن أُعطي الإستغفار أُعطي المغفرة، لأن الله يقول:﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[٦][٧]. وهذا الحديث يوقفنا على السنن القرآنية التي لا تتخلف ولا تتبدل (من أعطى كذا أُعطي كذا) وهذه قراءة موضوعية واعية وكما نلاحظ لا تلتزم بالترتيب المعهود ولو التزمت لما وصلت إلى هذه النتيجة، لقد تعلم ابن مسعود هذه القاعدة وأخذ يُطبقها فقال:

(١) السيوطي، الدر المنثور ٤/ ١٢٧.
(٢) الرازي، مختار الصحاح، مادة ثور.
(٣) البقرة / ١٥٢.
(٤) غافر / ٦٠.
(٥) إبراهيم / ٧.
(٦) نوح / ١٠.
(٧) السيوطي، الدر المنثور ١/ ١٤٩.

(الشفاء شفاءان: إن العسل فيه شفاء من كل داء، والقرآن شفاءٌ لما في الصدور[١] ويدل هذا الحديث على استقرائه الكامل في القرآن لمادة شفاء فوجد أن القرآن يصف نفسه بأنه شفاء ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[٣]. ومن كثرة قراءته وخبرته في القرآن صار ابن مسعود قادراً على استجلاء مواضوعات محددة متكاملة وهناك نماذج مشابهة كالفتنة [٤] وغيرها.

نفهم من هذا أن ابن مسعود يلتزم بمضمون قاعدة (المنقطع والمعطوف) التي يمارسها الإمام علي عليه السلام بأزمانها الثلاثة.

٤- التأويل عند ابن مسعود:

نفهم من (التأويل) عند ابن مسعود هو ما يغطي الأحداث الخارجية والمصاديق المنطبقة على المفاهيم القرآنية، ولابد أن نعير إهتماماً بما ذهب إليه لسببين الأول: كونه من معاصري الرسول ونزول القرآن وعارف بالقرائن الحالية والمقالية وثانياً: إن مفهوم التأويل عند القرآن نفسه ما يغطي الأحداث الخارجية فلنستمع لما قال: (إن القرآن حيثُ أُنزل ومنه آيٌ قد مضى تأولهن قبل أن ينزلهن، ومنه ما وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنه ما يقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بسنين، ومنه آيٌ يقع تأويلهن بعد يوم، ومنه آيٌ يقع تأويلهن عند الساعة ومنه آيٌ يقع تأويلهن عند

---

(١) السيوطي، الدر المنثور ٤/ ١٢٣.

(٢) الإسراء / ٨٢.

(٣) النحل / ٦٩.

(٤) راجع السيوطي، الدر المنثور ٣/ ١٧٨.

الحساب والجنة والنار) [١] وهو كما نرى أن تأويل القرآن يغطي الأحداث الخارجية بأزماتها الثلاث (الماضي، الحاضر، المستقبل) ولم يكتفِ ابن مسعود بإلقاء النظرية فحسب بل أعطي نماذج تطبيقية له في زمن الرسول حتى أمتدحهُ ﷺ قائلاً: (من أراد أن يأخذ القرآن رطباً كما أنزل فليأخذه من ابن أم عبد) [٢]. وهو يقرأ القرآن ويفسرهُ تفسيراً حياً منها: عندما قَتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن ود العامري وانكسر جيش قريش والأحزاب قرأ هذه الآية: (وكفى الله المؤمنين القتال - بعلي بن أبي طالب - وكان الله قوياً عزيزاً) [٣] وهذا مما تأويله في زمن رسول الله، وقد تعلم ذلك من رسول الله ﷺ حيث كان يأخذ التنزيل والتأويل، قال ابن مسعود كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن علياً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالتهُ والله يعصمك من الناس) [٤]. وعندما رأى ابن مسعود ناساً من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة فقال هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٥][٦].

وكذلك عندما فسر آية الغل[٧] لما طُلب منه أن يُسلم مصحفه فأبى وقال: إني غالٍ بمصحفي، فإنه من غل جاء يوم القيامة بما غل، ونعم الغل المصحف) مشيراً إلى هذه

---

(١) السيوطي، الدر المنثور ٢/ ٣٣٩.

(٢) مستدرك الأحكام ٣/ ٣١٨، الفضل بن شاذان، الإيضاح ٢٢٣/ ٢٣٦، الإصابة في تميز الصحابة ٤/ ١٩٩.

(٣) السيوطي، الدر المنثور ٥/ ١٩٢، الأحزاب / ٢٥.

(٤) السيوطي، الدر المنثور ٢/ ٢٩٨، المائدة / ٦٧.

(٥) السيوطي، الدر المنثور ٥/ ٢٥، النور / ٣٧.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧٠.

(٧) الغَل: أصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجرة يقال أنغل الماء في أصول الشجر.

الآية ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [١]. أي أنه أخفى مصحفه حتى يجيء به يوم القيامة.

وهذا المفهوم للتأويل وجد عند الإمام علي عليه السلام أيضاً.

٥- العرض على كتاب الله:

كان ابن مسعود كما وصفهُ علي بن أبي طالب عالماً بالسنة وقراءة القرآن [٢] فكان من حفاظ القرآن والحديث وكان قادراً على تمييز الحديث صحيحه من سقيمه من خلال القاعدة الذهبية (العرض على القرآن) وكان يقول لتلامذتهِ: (إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديق ذلك من كتاب الله)[٣] .

لقد فعَّل ابن مسعود هذه القاعدة في زمن كثر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وفتحت قنوات أهل الكتاب، ولقد تصدى لذلك بقوله: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، لتكذبوا بحق وتصدقوا بباطل فإن كنتم سائليهم لا محالة، فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه) [٤] وهذه دعوى لمنع الأخذ عن أهل الكتاب وعرض المشكوك على كتاب الله، كما أنه رفض التغيير بالرأي [٥] لوجدوهُ تفسيراً استنباطياً وفق منهجية علمية شرعية أكثرها من

(١) آل عمران / ١٦١.

(٢) عندما سألوا الإمام علي عليه السلام عن ابن مسعود قال عليه السلام: عَلِم السُنة، وقرأ القرآن وكفى به علمًا، المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ٢/ ٦٣٠.

(٣) السيوطي، الدر المنثور ٤/ ٣١١.

(٤) السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ١٤٧.

(٥) قال ابن مسعود: إياكم (وأرأيت) فإنما هلك من كان قبلكم (بأ رأيت) ولا تقيسوا الشيء بالشيء فتزل قدم بعد ثبوتها، وإذا سئل أحدكم مما لا يعلم فليقل لا أعلم فإنه ثلث العلم)، السيوطي، الدر المنثور ٤/ ١٣٠.

تفسير القرآن بالقرآن أو تطبيق المصاديق الخارجية كعملية تأويلية متحركة مع النص. لكنهم لما لم يبحثوا عن الآية الأخرى المفسّرة لهذه الآية قالوا إنه تفسير بالرأي .

٦- الإشتقاقات اللغوية من القرآن:

أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال: نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية من كلمة موسى ﴿إنا هُدنا إليك﴾ (٢)، ولِمَ تسمت النصارى بالنصرانية من كلمة عيسى عليه السلام ﴿كونوا أنصار الله﴾ (٣) (٤) وهذا باب قل من سلكه يفتح أمامنا آفاق البحث اللغوي في القرآن إذ اعتمد على القرآن نفسه في إستخراج المعنى ولم يعتمد على المعاجم اللغوية أو الأشعار العربية، وهذه ترجمة ذكية للقرآن تثبت على أن القرآن يفسر بعضهُ بعضاً.

ثالثاً – أُبي بن كعب:

أبي بن كعب الخزرجي الأنصاري شهد بيعة العقبة مع السبعين وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد بدراً والمشاهد كلها (٥). وكان مشهوراً بحفظ القرآن وهو من جُماع القرآن وكتاب الوحي وينسب للرسول أنه قال: (أقرأُ أمتي أُبي) (٦) وقال عمر فيه: (أُبي أقرؤنا) (٧)، وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله أبلغ أُبياً بأن الله أمرهُ أن يقرأ عليه (لم يكن

---

(٢) الاعراف / ١٥٦

(٣) الصف / ١٤.

(٤) السيوطي، الدر المنثور ١/ ١٤.

(٥) ابن الأثير، أسد الغابة ١/ ٤٩.

(٦) المتقي الهندي، كنز العمال ح٣٢٦١٢.

(٧) الذهبي، طبقات القراء ١/ ٣١.

الذين كفروا..) قال: وسماني قالﷺ: نعم، فبكى) [١]. وهذه الروايات تدل على أن الرسولﷺ اهتم بالصحابة الذين أخذوا القرآن باهتمامٍ بالغ وقد أثمرت جهود النبي فتخرج على يديه وقد أشاد بهم في روايةٍ مرت وقالﷺ: استقرؤا القرآن من أربعة. (منهم) أبي بن كعب [٢] وكان ابن عباس ممن اعترف بفضل أُبي عليه. [٣]

وكان لأُبي مصحفهُ وقراءتهُ الخاصة التي أخذها مع التفسير من رسول اللهﷺ. وقراءتهُ مرضيةٌ عند أهل البيت إذ قال الإمام الصادقعليه السلام: (... أما نحن فنقرأهُ على قراءة أُبي) [٤] وقد سجل السجستاني بعض قراءاتهِ التي شابهت قراءة الصحابة كابن مسعود وقراءة أهل البيتعليهم السلام.

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: روي عن أبي بن كعب وابن مسعود (مفهوم ثلاث أيام متتابعات) وقراءتهما لا تختلف عن روايتهما) [٥] وقرأ ابن مسعود وأُبي بن كعب (وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين)[٦]، وقد وردت هذه القراءة عن أهل البيت عليهم السلام في الكافي أيضاً [٧]. وكذلك نقل الصحابة عن ابن مسعود وأبي وابن عباس وكذلك وورد عن أهل البيت أيضاً قراءتهم ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ إلى أجل مسمى ([٨] ويبدو أن هذه القراءات لا تروق للسلطة آنذاك عندما سمع عمر

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧/ ٢٢١ وفيه أكثر من عشرة روايات بطرق مختلفة.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧/ ٢٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧١.

(٤) الكليني، أصول الكافي ٢/ ٦٣٤ ح٢٧ وأخرجه الحر العاملي الوسائل ٤/ ٨٢١ ح٤.

(٥) تفسير الرازي ١٢/ ٧٧، الطوسي، الخلاف ٦/ ١٤٣ وحكاهُ الزمخشري في الكشاف ١/ ٦٧٣.

(٦) ابن شعبة الحراني، تحف العقول ٤٢٨.

(٧) الكليني، أصول الكافي.

(٨) الأحزاب / ٦.

غلاماً يقرأ بقراءة أبي﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾وهو أب لهم([١] فقال له: يا غلام حُكها، قال: هذا مصحف أُبي، فذهب وعندما سأله أحد العراقيين عن الحقيقية فوعدهُ يوم الجمعة أن يُبين علانيةً في المسجد إلا أنه توفي يوم الخميس في ظروف تدعوا للشك [٢] لا سيما إذا عرفنا أن أبي من الأثني عشر صحابياً الذين أنكروا على أبي بكر خلافتهُ. [٣] إليه فسألهُ فقال: إنهُ كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق) [٤] آل الأمر بعد ذلك بالمعارضة الرسمية فقد صعد عمر المنبر – كما ينقل الخبر سعيد بن جبير عن ابن عباس – (خطبنا عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: عليٌ أقضانا، وأُبي أقرأنا، وإنا لندع من قول أُبي أشياء، إن أُبياً سمع من رسول الله ﷺ، وأُبي يقول: لا أدع ما سمعت من رسول الله شيء، والله يقول ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥]. وهذا اعتراف بأحقية أبي كونه أخذ من رسول الله ومع ذلك قال (وإنا لندع) ثم برر ذلك بالنسخ. وهذا المنع الصريح مبني على خلفيات سياسية أدت بالنتيجة إلى مثل هذه التصريحات (حسبنا كتاب الله، جردوا القرآن من أحاديث رسول الله، أقلوا الرواية..) إلى حبس الصحابة ومنع الناس من تداول هذه القراءات، كل هذه الظروف جعلت

(١) الأحزاب / ٦.

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠١-٥٠٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧/ ٢٤٠ ورواهُ الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجان ورواهُ النسائي ٢/ ٨٨ ح٢٣، وذكره الفضل بن شاذان ص٣٧٥ وأخرجه المجلسي في البحار ٢٨/ ١١٩، ٣١/ ٢٧٠.

(٣) محمد بن سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين ١/ ٢٢٤، الطبرسي، الإحتجاج ١/ ١٠٢، المجلسي بحار الأنوار ٢٤/ ٢٠٦.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧/ ٢٤٠، سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٧.

(٥) صحيح البخاري ٦/ ٢٣، مسند أحمد ٥/ ١١٣، مستدرك الحاكم ٣/ ٣٠٥، ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٥/ ٣٠٧.

من أُبي ثقيلاً على الخلافة ولعله استخدم التقية وربما صفي جسدياً.

منهجية أُبي ابن كعب التفسيرية:

١. أسباب النزول:

لاشك ان أكثر الصحابة عاصروا نزول القرآن فهم يعرفون أسباب نزول الآية حسب ملازمتهم لرسول الله ﷺ وكان أبي ممن عرف أسباب النزول. [١]

٢. فضائل السور:

وقد نقل عنه أنه كان يروي فضائل السور [٢] وسبب النزول يدخل تحت مصطلح (التنزيل) الذي عرفناهُ.

٣. منهج الإستقراء:

من القواعد المهمة التي عُرفت عنه أنه كان يتابع سياق المفردة القرآنية واستعمالاتها في القرآن وهو أساس المنهج العلمي للأستقراء. ونتج هذا عن كثرة قرائته للقرآن حيث كان يختم القرآن كل ثمان ليالي[٣] فمن هذه المحاولات ما أوردهُ السيوطي بإسناده عن أُبي بن كعب قولهُ: (كل شيءٍ في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب) [٤]. وهذا يحتاج إلى دقة ملاحظة حيث طبق منهج الإستقراء العلمي إذ استفاد من ملاحظة العينات الجزئية ليستخرج قانون كلي عبرَّ عنه (كل شيء...) وهذه منهجية واضحة لا غبار عليها.

---

(١) راجع على سبيل المثال سبب نزول عدة النساء، الشهيد الأول، الذكرى ٢٣٦ وعلي بن محمد القمي، جامع الخلاف والوفاق ص٥٠٢.

(٢) راجع النوري، مستدرك الوسائل ٤/ ٣٣١-٣٣٩،٣٣٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧/ ٢٤١.

(٤) السيوطي، الدر المنثور ١/ ١٦٤.

٤- تفسير القرآن بالقرآن:

عن أبي بن كعب قال: (نزلت والعصر في أمير المؤمنين وأعدائه: فقولهُ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لقوله﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقوله (وعملوا الصالحات)، لقولهِ تعالى:﴿ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾، وقولهِ: ﴿وتواصوا بالحق﴾، لقولهﷺ: (الحق مع علي وعلي مع الحق)، وقولهِ بالصبر (لقولِه: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[١] .

اعتمد أُبي على الأشباه والنظائر (الآية تفسرها الآية والدليل المؤشر عليها هو وجود التماثل في (آمنوا)، (الحق) (الصبر)، ويذهب أحياناً إلى التشابه في المعنى (يعني الترادف) كما عبر عن العمل الصالح (بالصلاة والزكاة) وقلنا سابقاً أن هذا النوع من أساسيات التفسير الموضوعي.

٥- الجمع الموضوعي:

نقل بعضهم [٢] عنه أنه يحاول جمع الآيات ذات الموضوع الواحد ليكون صورة واضحة عن ذلك الموضوع، وقد أختار موضوع الميثاق قائلاً: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [٣] قال: جمعهم يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم إستنطقهم وأخذ عليهم الميثاق ثم قال وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرُج وخص الأنبياء بميثاقٍ آخر قال الله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢/ ٢٦٠.

(٢) هدى أبو طيرة، المنهج الأثري في تفسير القرآن ص١٢٣.

(٣) الأعراف / ١٧٢.

مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [١] . وكان موضوع هذا الجمع (الميثاق) حيث فصل بين الميثاق العام لكل المخلوقات والميثاق الخاص بالأنبياء وقد جمع هذين الآيتين من سورتين مختلفتين مما يعطي صورة واضحة عن كيفية ممارستهِ مع المواضيع القرآنية وهو على هذا المنهج يستطيع إستخراج أي موضوع شاء بأتباع منهج الإستقراء والجمع الموضوعي ثم التفسير الموضوعي. وأكثر إستنباطات الصحابة من هذا القبيل إلا أن أكثر الباحثين يرمونهم بالتفسير بالرأي وسبب ذلك عدم قدرتهم على إكتشاف الطريقة الإستنباطية عندهم.

٦- التفسير بالمأثور:

نقل عن النبي كثيراً من التفسير إذ كان يأخذ القرآن وتفسيره من فم رسول الله ﷺ ودونه في مصحفه. مثاله قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [٢] فعن رسول الله ﷺ قال: مسجدي هذا. [٣]

رابعاً – عبد الله بن عباس:

ابن عم النبي ﷺ، على صغر سنه إلا أنه فاق بعض الأصحاب في أخذ القرآن عاصر النبي في أيام طفولته ودعا له ﷺ لما سكب للنبي ﷺ وضوءاً عند خالتهِ ميمونة فلما فرغ قال: من وضع هذا فقالت: ابن عباس، فقال: اللهم فقههُ في الدين وعلمهُ

---

(١) الأحزاب / ٧.

(٢) التوبة / ١٠٨.

(٣) الطبري، جامع البيان ١١/ ٢٨.

التأويل) [١]. كما أنه عاصر كبار الصحابة وأخذ منهم وتتلمذ على أيديهم كما قال: (كنتُ ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك) [٢]. وكان أفضل الصحابة الإمام علي بن أبي طالب حيث قال ابن عباس: (ما أخذتُ من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب) [٣] وكذلك كان يتردد على أُبي بن كعب في بيته ليأخذ منه القرآن [٤] وكان لديه نسخة من مصحف أُبي بن كعب [٥]. وقد مدحهُ الصحابة والتابعون حتى قال طاووس عنه: إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارؤا في أمرٍ صاروا إلى قول ابن عباس) [٦].

ولمكانته ونبوغهِ صار أمير الحاج في مواسم الحج في خلافه الإمام علي عليه السلام واتخذ من مواسم الحج منتدى علمياً يطل به على المسلمين يعلمهم كتاب الله ويفسر لهم، قال الأعمش عن شقيق قال: استعمل عليٌ ابن عباس على الحج قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها) [٧] وقد كثرت الطرق عنه في التفسير والإفادة [٨].

---

(١) العسقلاني، الإصابة ٤/ ١٢٤، أخرجه البخاري ١/ ٤٨، مسلم ٤/ ١٩٢٧، مسند أحمد ١/ ٢٦٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٩٨.

(٣) الذهبي، التفسير والمفسرون ١/ ٩٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧١.

(٥) تفسير الثعلبي عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً وقال: هذا على قراءة أُبي.

(٦) ابن الأثير، أسد الغابة ٣/ ١٩٣، العسقلاني، الإصابة ٤/ ١٢٨.

(٧) تفسير الطبري ١/ ٤٢-٤٣.

(٨) راجع الذهبي، التفسير والمفسرون، محمود حجتي، تحقيق عن ابن عباس.

منهجية ابن عباس التفسيرية:

أما القواعد التفسيرية فقد عُرف عنه الكثير منها:

١- أسباب النزول:

فقد عاصر بعضها الأخير، وأما الذي لم يعاصر فكان يسأل عنه الصحابة حتى كان ذلك عندهُ بمنزلة المشاهدة.

٢- المصطلحات القرآنية:

لابد للمفسر من الإلمام بها وكان ابن عباس من العارفين، ومن أهمها المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ حيث قال في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ قال: المحكمات: ناسخهُ وحلالهُ وحرامهُ وحدودهُ وفرائضهُ وما يؤمن به ويُعمل به.

والمتشابهات: منسوخهُ ومقدمهِ ومؤخره وأمثاله وأحكامه وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل)[1]. ونقل السيوطي ثلاثة عشر حديثاً بالمعنى لنفسه عن ابن مسعود وناس من الصحابة وأكثرها عن ابن عباس. وبذلك يُنظّر ابن عباس إلى أن المحكمات أنواع: (كالناسخ والحلال..) وكل ما هو واضح ويعمل به والمتشابهات أنواع: (كالمنسوخ والأمثال) وإن لم يعرف المراد منه إلا بعد البيان. وهذه المصطلحات قد شاهدناها عند الإمام علي عليه السلام وابن مسعود وأُبي وتبناها ابن عباس مما يدل على أصالة هذه الكلمات. وإذا أردنا أن ندرس معاني هذه المصطلحات فلابد أن ندرسها في عهد الصحابة لقربهم من مصدر النص واستخدامهم الفعلي لها.

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٢٠٧، تفسير الدر المنثور، السيوطي، تفسير سورة آل عمران / ٧.

٣- تقسيم فهم القرآن:

لقد ورد هذا التقسيم عن ابن عباس وهو محاولة جيدة لتصنيف الآيات القرآنية على أساس الفهم الإنساني للقرآن فقد قسمها على أربعة أقسام [١]:

* تفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالتهِ.

* تفسير تعرفه العرب.

* تفسير تعرفه العلماء.

* تفسير لا يعلمهُ إلا الله.

(وقد تكلم فيما أثر عنه من تفسير في الجهات الثلاث الأول وترك ما استأثر الله يعلمه) [٢]. ومع طول باعه في التفسير إلا أنه أعترف في مواضع منه أنه (لا يعرف) إذ قال: كل القرآن أعلمهُ إلا أربعاً (غسلين، وحناناً، أواه، الرقيم) [٣]. وكأنما يقرر ما ذهب إليه من عرَّف التفسير: بقوله: (معرفة مراد الله بقدر طاقة البشر). وقد فسرت كلماته في هذا المجال أن التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته هو الحلال والحرام، والثاني تعرفهُ العرب بألسنتها لأنه نزل بلغتهم، وثالث لا يعرفه إلا العلماء الراسخون في العلم، والرابع كعلم الساعة.

وأتهم جولدزيهر وأحمد أمين، ابن عباس وغيرهُ من الصحابة بالأخذ عن أهل الكتاب، وهناك أخبار تُنقل في هذا المجال لا نعرف مدى صمتها، إلا أن المعروف من

---

(١) راجع مقدمة مجمع البيان للطبرسي.

(٢) الحكيم، محمد تقي، ابن عباس ص١٠١.

(٣) السيوطي، الإتقان ٢/ ٤.

تصريحات الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأمثالهم عكس ذلك إذ نقل البخاري تصريح لإبن عباس قال فيه: (يا معشر المسلمين: تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزله على نبيهﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرؤنه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب فقالوا:﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم) [١].

٤- تفسير القرآن باللغة والشعر:

لما نظَّر ابن عباس مسألة الفهم الإنساني للقرآن وقسمها إلى أربعة أقسام كان من بينها قسم (تفسير تعرفه العرب) والعرب آنذاك لم يكن لديهم معاجم لغوية إنما كان لديهم ديوان حفظ لغتهم وهو الشعر ولهذا نقل عن ابن عباس قوله: (الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزلهُ الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانهم فالتمسنا ذلك منه) [٢].

وكان لابن عباس من الذكاء وقوة الحافظة ما جعلتهُ يناغم ما ألفتهُ العرب وشغفت به وهو الشعر لاسيما وأنه من مؤسسي مدرسة مكة التفسيرية التي اشتهرت أنديتها بالشعر، فدخل على المجتمع المكي بالشعر لفهم القرآن ليجذبهم إليه في يوم كانت قريش بعيدة عن القرآن بل شنت الحرب عليه، هذه الظروف التي أسهمت في بروز هذا النوع من التفسير الذي تفرد به ابن عباس ولم يعرف عند باقي الصحابة حتى أن الإمام علي كان لا يحتاج إلى ذلك ولم يؤثر عنه ذلك.

(١) البخاري، كتاب الشهادات ٥/ ١٨٥.

(٢) السيوطي، الإتقان ٢/ ٥١، النوع السادس والثلاثون في (معرفة غريبة).

إلا أن ابن عباس فتح باباً أستفاد منه المفسرون لاسيما اللغويون منهم.

وقد نقل السيوطي ما يقارب من (١٩٠) شاهداً على كلماتٍ من القرآن وكان أكثرها من الغريب حيث قال: (إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوهُ في الشعر فإن الشعر ديوان العرب) [١]. من هذه المفارقة أنقدحت إشكالية عند البعض: من أنكم جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، والشعر مذموم في القرآن ؟ لاسيما أنه لم يُعهد عن النبي ﷺ وأصحابه هذه الطريقة ! والظاهر إن ابن عباس إنما استخدم الشعر في باب المحاججة والاستشهاد مع ما ذكرنا من مبررات لذلك.

ويظهر ذلك جلياً من قصته مع نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر إذ انما أرادا أن يختبرا ابن عباس في تفسير القرآن مشترطين عليه أن يأتي بالشاهد من الشعر العربي إذ قال نافع لصاحبه: (قُم بنا إلى هذا الذي يتجرأ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، إن الله قال إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلوني عما بدا لكما).

ومن جملة ما سألاه عن قوله تعالى:﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٢]، قال: الوسيلة: الحاجة، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت قول عنترة وهو يقول: (إن الرجال لهم إليك وسيلةٌ – إن يأخذوك تكحلي وتخضبي) فأول ما أجاب عن المعنى، ثم جاء بشاهدٍ له من الشعر. إذ إلتمس ابن عباس هذا الحرف (المعنى) في الشعر الذي وصفه بأنه (ديوان العرب) حيث كان بمثابة المعاجم اللغوية اليوم،

(١) السيوطي، الإتقان ٢/ ٥١.

(٢) المائدة / ٣٥.

ليقنع العرب بما يفقهون لا بما يجهلون، إلا أنه لم يؤثر عن الصحابة ذلك إلا ما ورد تفسيرهُ عن النبيﷺ أو استنباطاً من القرآن نفسه من خلال تفسير القرآن بالقرآن. كما أنه كان يعتمد على لغات العرب في فهم معاني القرآن حيث نقل عن ابن عباس: (كنتُ لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها) [١].

وهكذا تكونت ثقافة ابن عباس اللغوية من خلال الشعر ومحاورات القبائل العربية فيما بينهم. مما فتح باباً واسعاً للغويين.

٥- تفسير القرآن بالقرآن:

ومن أمثلتهِ ما فسر بهِ قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [٢] فقال: (كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه إحياءة ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذهِ ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه إحياءة. فهما ميتتان وحياتان، فهو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٣].

قلنا إن دعامة التفسير الموضوعي هو تفسير القرآن بالقرآن فالآية تفسرها الآية ولكن لابد أن يجمعها موضوع جامع والموضوع هنا (الموت والحياة) في كلا الآيتين.

---

(١) السيوطي، الإتقان، ٢/ ٧.

(٢) غافر / ١١.

(٣) البقرة / ٢٨.

المطلب الثالث المفسرون من التابعين:

التابعي هو الذي لم يشاهد النبيﷺ، بل شاهد الصحابي الذي شاهد النبي فأخذ عنه وتتلمذ عليه. وتزامنت هذه المرحلة مع حكم بني أمية وكان لمعاوية وخلفائه والحجاج بن يوسف الثقفي دورٌ بارزٌ في محاربةِ حملة القرآن، لاسيما ما دار بين أئمة أهل البيت وأتباعهم وبين السلطة الحاكمة، كل هذه الأحداث أثرت بشكل مباشر في تفسير القرآن، بل وأثر في التنظير التاريخي لهذه المدارس ومؤسسيها. حيث أن المعروف أن المدارس التفسيرية البارزة ثلاث: مدرسة مكة بزعامة عبد الله بن عباس ومدرسة المدينة بزعامة أُبي بن كعب، ومدرسة الكوفة بزعامة ابن مسعود واشتهر لكل مدرسة تلاميذها [١]. في حين أُغفل دور أهل البيت وأتباعهم في ما أسهموا فيه من تفسير وهذا هدر آخر لطاقات الأمة.

في حين أن أهل البيت عليهم السلام أسهموا إسهامةً كبيرة في تأسيس مدرسة الكوفة ومدرسة المدينة المنورة. والذي يهمنا في هذا الدور المساهمات الفعلية في تطور التفسير لاسيما فيما يدخل في بحثنا (التفسير الموضوعي وجذوره) ونستطيع إعادة هيكلة هذه المدارس بصورة أكثر واقعية كما ذكرها الدكتورمحمد حسين الصغير [٢] تمثلت بالإتجاه العام والإتجاه الخاص، ففي مدرسة المدينة ؛ بالإضافة إلى تلاميذ أُبي بن كعب وأصحاب زيد بن أسلم كان لأئمة أهل البيتعليهم السلام وهم الإمام علي بن الحسين والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادقعليه السلام دورٌ بارزٌ في توضيح معالم التفسير (وهو الإتجاه الخاص).

---

(١) راجع الذهبي، التفسير والمفسرون، ومحمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، مقدمة تفسير الثعالبي.

(٢) محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص١٤٠.

وأما مدرسة الكوفة: ويمثل إتجاهها العام تلاميذ ابن مسعود: مسروق بن الأجدع (٦٣ هـ) الأسود بن يزيد (٧٥هـ)، عامر الشعبي (١٠٥ هـ) وحسن البصري (١٢١هـ) ويمثل إتجاهها الخاص تلامذة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ويقسمهم محمد حسين الصغير إلى طبقتين (١):

١- **طبقة الرواة**: وهم الذين رووا عن النبي وأهل بيته: امثال: زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم، ومعروف بن حزبوذ، وحزيز بن عبد الله الأزدي.

٢- **طبقة المؤلفين**: وهم الذين أبقوا أثراً تفسيرياً معتمداً على رأي أهل البيت أمثال القمي والعياشي، وأبو حمزة الثمالي، وفرات الكوفي، والنعماني.

لخص الباحثون مصادر التابعين العلمية كما يأتي:

١- إعتمادهم المنهج الأثري بشكل واضح مقتصدين على ما تلقوهُ من الصحابة قراءةً وعرضاً وهذا ما أكدهُ مجاهد بقوله: (عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أفقهُ عن كل آية، أسألهُ فيما نزلت وكيف كانت) (٢) مما يدل على أن التفسير كان يتعامل معهُ كتعامل المحدثين مع الوريث بالقراءة والعرض والسماع والإملاء من الأستاذ وإليه. ولذلك فأنهم دونوا ما ورد عن الصحابة في مدونات لم تصل إلينا كاملة وجمعها لنا الطبري في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور.

٢- **سماعهم لأهل الكتاب**: فتسربت بعض قصص وعقائد التوراة والإنجيل وساعد على ذلك دور الخلفاء الثلاثة الأول ومعاوية وأتباعهُ. فلم يدون على صعيد القواعد التفسيرية شيء يذكر إلا أننا نلحظ ذلك في مدرسة أهل البيت لاسيما ما نقل

(١) ن. م ص١٤٠.

(٢) أبو نجم الأصفهاني، حُلية الأولياء رقم ٢٤٣، ص٣٢٠، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢.

عن أئمة أهل البيت وسوف نرصد ذلك مع بيان أهم المدونات التي ألمحتُ إلى جذور التفسير الموضوعي.

القواعد التفسيرية عند أهل البيت وأتباعهم:

١- اتباع الوجوه والنظائر:

وهو علم معروف قديماً ذكرهُ السيوطي: فقال: الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ الأمة. وقيل النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني. وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع المعجزات حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر) [١]. استخدم أهل البيت عليهم السلام هذا العلم كما مرَّ عند الإمام علي عليه السلام وكذا أبناؤهُ عليهم السلام وأتباعهم. وهو كما قلنا متابعة اللفظة القرآنية واستخدامها السياقي في كل الآيات التي ذكرت فيها (اللفظة). ويعتمد ذلك على منهج الإستقراء. وتحليل ذلك يأتي في محلهِ. ولقد كان أصحاب الأئمة على دراية بهذا العلم فكانوا يسألونهم عنه كما سأل أبو عمرو الزيدي الإمام الصادق عليه السلام قال: قلتُ له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل، قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها كفر الجحود والجحود على وجهين، والكفر يترك ما أمر الله، وكفر البراءة وكفر النعم) [٢]. ثم أخذ يستدل على كل وجه بالآية التي تدل عليه.

وهكذا تلميذ الإمام الصادق عليه السلام عمر بن حنظلة وهو يمارس منهج الاستقراء لكلمة (الشهيد والشهادة) في القرآن فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً

---

(١) السيوطي، الإتقان ٢/ ١٠٣ النوع التاسع والثلاثون في معرفة الوجوه والنظائر.

(٢) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب وجوه الكفر، ح١.

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال ابن حنظلة: (فلما رآني اتبع هذا وأشباههُ من الكتاب قال: حسبك، كل شيءٍ في كتاب الله من فاتحتهِ إلى خاتمتهِ مثل هذا فهو في الأئمة عُني به) [(١)].

وهكذا تلقف أتباع أهل البيت ومن أخذ عنهم هذا العلم ودونوهُ بشكل مستقل ومن أقدم المدونات كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل ابن سليمان [(٢)] حيث إستقرء في كتابه هذا ما يقارب من ١٨٣ مفردة متابعاً لمعناها السياقي مستدلاً على كل وجه بآيتين أو أكثر من باب تفسير القرآن بالقرآن معتمداً على قدرة الإستنباط في ذلك، وأكثر مفردة صرَّف وجوهها مفردة (الهدى) على سبعة عشر وجهاً. وعلى المنوال نفسه جمع إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري الحيري (ت ٤٣١هـ) كتاب الوجوه قال: ذكرت في هذا الكتاب وجوه القرآن والسابق لهذا التصنيف عبد الله بن عباس ثم مقاتل ثم الكلبي ومصنفاتهم لا تزيد على مائتين وأربعة عشر باباً وما جمعت أنا في هذا الكتاب خمسمائة وأربعين باباً).

قال السيوطي في هذا الفن ومن المتأخرين ممن ألف في الوجوهُ والنظائر ابن الجوزي وابن الدامغاني وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري وابن فراس [(٣)].

أما كيفية استثمار هذا العلم في التفسير الموضوعي هذا ما سوف تعرفهُ لاحقاً.

---

(١) تفسير العياشي ١/ ١٣.

(٢) مقاتل بن سليمان الأزدي (١٥٠ هـ) إلتقى بالأئمة وأخذ عنهم، أخذ عن وجوه التابعين قال الشافعي: الناس عيال على مقاتل في التفسير وقد طُعن فيه ذكر القاسم بن أحمد الصفار أنه سأل إبراهيم الحربي ما بال الناس يطعنون على مقاتل ؟ قال: حسداً منهم له: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩.

(٣) السيوطي، الإتقان ٢/ ١٠٣.

٢- تفسير القرآن بالقرآن:

فقد كثُر عن أهل البيت وأتباعهم فعن الإمـام الحسين عليه السلام عندما سُئل عن (وشاهد ومشهود) [١] قال: الشاهد جدي رسول الله، والمشهود يوم القيامة ثم تلى هذه الآية ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [٢]، وتلى ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [٣] [٤]. إذ فسر الشاهد وهو النبي بالآية الأولى، وفسر المشهود وهو يوم القيامة بالآية الثانية.

وهي ترجمة واضحة لما تبناهُ أبوه أمير المؤمنين عليه السلام (جاء القرآن ليفسر بعضه بعضاً)عن الكليني بإسنادهِ الذي ذكره عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [٥] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الذكر أنا، الأئمة أهل الذكر وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلونَ﴾ [٦] قال أبو جعفر نحن قومهُ ونحن المسؤولون[٧].

يريد أن يُبين أن المسؤولون في كلا الآيتين هم أهل البيت عليهم السلام. أما في معرفة من هم أهل الذكر فعن زيد بن علي عليه السلام: في قوله تعالى:﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ قال إن الله سمى رسوله في كتابه ذِكْراً فقال تعالى: ﴿وأرسَلْنا ذِكراً

(١) البروج / ٣.
(٢) الفتح / ٨.
(٣) هود / ١٠٣.
(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ٧/ ١٣٥.
(٥) النحل / ٤٣، الأنبياء / ٧.
(٦) الزخرف / ٤٤.
(٧) الكافي / ١٦٣ ح١.

رسولاً﴾ [١] وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ أي آل الرسول[٢]. وهكذا والذي يتمعن في التفاسير المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام يجد أن أكثرها مستند إلى تفسير القرآن بالقرآن.

٣- تفسير المصطلحات القرآنية:

المصطلحات القرآنية هي من أختصاصات النبي وبالتالي فهي حقائق شرعية لابد من معرفتها من الشارع المقدس نفسه وهي:(المحكم والمتشابه)، (الناسخ والمنسوخ)، (الظاهر والباطن).

سُئل الإمام الصادق عليه السلام إن الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه ؟ قال: الناسخ: الثابت والمنسوخ: ما مضى، والمحكم: ما يُعمل به، والمتشابه الذي يشبه بعضهُ بعضاً) [٣]. وعن مسعدة بن صدقة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ؟ قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ: ما قد كان يعمل به ثم جاء ما ينسخهُ والمتشابه ما أشتبه على جاهلِهِ) [٤]. يظهر من هذا أن المحكم في الحديث الأول هو ما نعمل به، والناسخ في الحديث الثاني: ما يُعمل به، بهذا يكون المحكم يشابه الناسخ من هذه الجهة.

---

(١) الطلاق / ١٠-١١.

(٢) الطلاق / ١٠-١١.

(٣) الكليني، الكافي ١/ ١٦٥.

(٤) تفسير العياشي ١/ ١٠ ج/ ١.

الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (١) قال عليه السلام: فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات) (٢) هذا الحديث يبين النسبة بين المحكم والناسخ والمتشابه والمنسوخ من جهة أخرى، ولو رجعنا إلى مفهوم ابن عباس لوجدنا أن مفهوم المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ عند مدرسة أهل البيت ومدرسة الصحابة واحد.

٤- تقسيم القرآن:

صنف أهل البيت عليهم السلام آيات القرآن عدة تصانيف مختلفة، إستناداً إلى إختلاف جهة المقسم ونستطيع أن نبوبها إلى مجاميع تصلح كل مجموعة لتشكيل موضوع قرآني يدخل تحت التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

أ- القسمة الثنائية:

عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن القرآن زاجر وآمر، يأمر بالجنة ويزجر عن النار) (٣) وفي هذا الحديث موضوعان مهمان في القرآن ينبغي بحثهما في التفسير الموضوعي. هما (الأوامر والنواهي في القرآن الكريم).

وسُئل الإمام الباقر عليه السلام عن الظاهر والباطن أجاب عليه السلام: (ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنهُ الذين عملوا بمثل أعمالهم) (٤). هنا الإمام يعطي مصداق للظاهر والباطن الذي شغل فكر المفسرين، ويريد أن يُبين أن الآية إذا نزلت في شيءٍ لا تجمد

---

(١) تفسير العياشي ١/ ١١ ج/ ٧.
(٢) الكافي، الكليني ٢/ ٢٤ ح١.
(٣) تفسير العياشي ١/ ١٠ ح٧.
(٤) تفسير العياشي ١/ ١١ ح٤.

عليه بل هي سارية وجارية في المواضيع المشابهة لها وهذا ما قرروهُ في قاعدة الجري التي قالها الإمام الباقر عليه السلام: (ولو أن الآية إذا نزلت في قومٍ ثم مات أولئك القوم ماتت الآية ! لما بقيَ من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض، ولكل قومٍ آية يتلونها هم منها من خير أو شر) [١] وهناك أحاديث كثيرة تدل على هذه القاعدة: التي تجعل القرآن حياً متجدداً متفاعلاً مع الأحداث والأشخاص. وما القصص القرآني في الأمم الغابرة إلا هي سنن جارية في هذه الأمة عليها أن تتخذهُ درساً واعتباراً. ولهذا يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث المستفيض (لتركبن سنن الأمم من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة). وكان أهل البيت عليهم السلام كثيراً ما يطبقون القاعدة في تفاسيرهم، ويمكن تفعيل قاعدة الجري في التفسير الموضوعي، باعتبار أن (الظاهر الذي نزل فيهم) ونجد ذلك في أسباب النزول – يتحول إلى باطن وهم (الذين عملوا بمثل أعمالهم) لوجود المِثْلِية في الموضوع (الحادثة أو الأشخاص) وبالتالي نستثمر كل السنن القرآنية الجارية في الأمم السابقة في وقتنا الحاضر بل ونكّون رؤية مستقبلية للأحداث إذا ما اعتمدنا على النتائج القرآنية.

ب- القسمة الثلاثية أو الرباعية:

ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن القرآن نزل (أثلاثاً) وفي حديث (أرباعاً) ولا تعارض بينهما كما سنرى ففي تفسير العياشي عن أبي الجارود قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (نزل القرآن على أربعة أرباع: ربعٌ فينا، وربع في عدونا، وربع في فرائض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن) [٢]. وقد مرَّ الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام نزل

(١) تفسير العياشي ١/ ١٠ ح٧.

(٢) تفسير العياشي.

القرآن أثلاثاً: ثلثٌ فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام[١] نرى أن الاختلاف فقط في المقطع الأول إذ ثلث القرآن فيهم وفي عدوهم، وفي الحديث الثاني ربعٌ فيهم وربع في عدوهم يكون الناتج نصف القرآن. اختلاف المعدل بين الحديثين يدل على قدرة القرآن على الاتساع، ولكن السؤال المهم إذا كان ثلث القرآن ٢٢٠٠ آية تقريباً وإذ كان النصف يكون ٣٣٠٠ آية تقريباً كيف يكون ذلك وأكثر ما وصل إلينا في الآيات النازلة في أمير المؤمنين سبعمائة آية. يجيبنا على ذلك الحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام: (نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبائنا وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنن ومثل. ولو أن الآية إذا نزلت في قوم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر) [٢].

يريد أن يقول بأن عدونا وعدو من كان قبلنا مصيرهم واحد، وأن أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم يتأولون أعداء الأنبياء في أعدائهم وقد ذكر دليل ذلك في الحديث وهي قاعدة الجري بنفس الكيفية فلو ضممنا القصص القرآني في الأمم السابقة والآيات النازلة في الأنبياء وأعدائهم في أهل البيت عليهم السلام وأعدائهم لصدقت النسبة في الحديث.

وفي هذا التقسيم ذكر خمسة أصناف، كل صنف قابل لأن يكون موضوعاً مستقلاً للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم. ولقد دون ذلك قديماً تحت عنوان: (الأمثال في القرآن)، (الفرائض والأحكام)، (الآيات النازلة في أهل البيت) و(الآيات النازلة في أعدائهم). (السنن القرآنية).

---

(١) تفسير العياشي.

(٢) تفسير العياشي ١/ ١٠ ح٧.

جـ - القسمة السباعية:

عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الأحاديث تختلف عنكم قال: فقال: (إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال: (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) [١].

فسر الإمام الصادق عليه السلام سبعة أحرف بسبعة وجوه من المعاني كل وجهٍ يعطي بطن من بطون الآية كما قال الصادق عليه السلام لجابر: يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن ظهراً ثم قال: يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه. إن الآية لتنزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه) [٢]. وإذا ربطنا هذا الحديث بالحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام في سبعة أوجه عرفنا المراد من ذلك [٣]. بأن الأحرف هي الوجوه.

٥- التفسير الموضوعي عند أهل البيت عليهم السلام:

إن الحاجة للاستدلال بالآيات القرآنية على أكثر المسائل العقائدية جدالاً وهي مسألة الإمامة دعت أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يبحثوا عن الآيات ذات الموضوع الواحد (الإمامة) فلو رجعنا إلى كتاب الكافي مثلاً أصولاً وفروعاً أو إلى أبواب كتاب التوحيد للشيخ الصدوق لظهر لنا بوضوح أن أول من طبق التفسير الموضوعي في

---

(١) تفسير العياشي ١/ ١٢ ح١١.

(٢) تفسير العياشي ١/ ١١ ح٢.

(٣) راجع بحوث في تاريخ القرآن، السيد مير مهدي زرندي ص٢٩.

أصول العقيدة وفروعها هم أهل البيت (عليهم السلام) [(١)]. [(٢)]

وقام أتباع مدرسة أهل**البيت** عليهم السلام فيما بعد بعملية إستقراء ما في المصحف الشريف من آيات نزلت بحق أهل البيت مثل (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة) للسيد شرف الدين الحسيني(٩٤٠هـ).

المطلب الرابع: عصر التصنيف:-

لقد بدأت العلوم تتمايز، وانتقل المشتغلون بالعلم من مرحلة التلقي والتدوين، إلى مرحلة الجمع والتصنيف إلى مرحلة التخصص في طرح المادة العلمية. وقد مرَّ تفسير القرآن بهذه المراحل. وقد تتبعنا جذور التفسير الموضوعي في مراحلِهِ الأولى وها نحن نتابع ما أُلف في مجالات ومواضيع خاصة في القرآن. أُدعيَّ أنها اللبنات الأساسية للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم وهي ما بين الإفراط والتفريط، والخلط ما تبين إستنباط النظرية من داخل القرآن وبين العلوم الباحثة عن شؤون القرآن المصطلح عليها (علوم القرآن). وسوف نفصل القول بين مساهمات المتقدمين والمتأخرين والمستشرقين:

---

(١) السيد ثامر هاشم العميدي، مجلة قضايا إسلامية (التفسير الموضوعي ص٤٤٠، العدد السابع ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م).

(٢) أنظر على سبيل المثال: أصول الكافي ١/ ١٩٨ باب / ١٥ من كتاب الحجة ح١ ففي هذه الرواية (٢٨ آية) وفي فروع الكافي ٥/ ١٣-١٩ باب ١٤ ح١ من كتاب الجهاد في هذه الرواية (٢٨ آية) أيضاً: وأما مجموع الآيات المستدل بها في كتاب التوحيد للصدوق فهي أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية.

أولاً- التفسير الموضوعي عند المتقدمين:

١- الأشباه والنظائر:

لاحظنا أن الإمام علياًعليه السلام والأئمة من بعدهُ وبعض الصحابة كإبن عباس فتحوا باب هذا العلم كما رأينا في رسالة الإمام عليعليه السلام في (المحكم والمتشابه) حيث أعطى أمثلة واضحة لمواضيع متعددة في القرآن (الوحي، الخلق، الفتنة، القضاء).

إذ يتابع هذه المفردات مع سياقاتها وكيف أنها تأتي بوجوه من المعاني مختلفة، فأخذ تلامذتهم التأليف في هذا المجال فنلاحظ أقدم كتاب ألف كتاب مقاتل بن سليمان (ت ١٥هـ) فيه ما يقارب (١٨٣) مفردة ثم تبعهُ إسماعيل بن أحمد النيسابوري (ت ٤٣هـ) وهو من العامة. وكان لإبن الجوزي (ت هـ) كتاباً في الأشباه والنظائر (الوجوه النواضر في الوجوه والنظائر) و(نزهة الأعين النواظر في علم الأشباه والنظائر)، كما ألف أبو بكر النقاش وابن فارس والإمام السيوطي والدامغاني وابن فارس [١]. وتعد الإِشياء والنظائر أساس انطلاق التفسير الموضوعي.

٢- آيات الأحكام:

اهتم الفقهاء بمختلف مذاهبهم في الإهتمام بهذا العلم لكن أكثرهم مشوا على المنهج التسلسلي الترتيبي للقرآن الكريم فلا يعد من التفسير الموضوعي وهم كل علماء السنة ومع ذلك ذكروه تحت حقل التفسير الموضوعي [٢] وهو اشتباه إذ إن المنهجية المتبعة في آيات الأحكام لا تعدو عن مسارين أحدهما سار على النمط

(١) السيوطي، الإتقان ٢/ ١٠٣.

(٢) السيد ثامر هاشم العميدي، مجلة قضايا إسلامية، العدد السابع ١٤٢٠هـ- ص٥٠٢.

التسلسلي لآيات الأحكام حسب وجودها في المصحف وهذا خارج عن بحثنا ومسارٌ اتجه إتجاهاً موضوعياً في تفسيرهِ فيأخذ موضوع (الصلاة) ويجمع كل آياته ثم يعطي النتيجة وهكذا في باقي المواضيع وهم كل علماء الشيعة أولهم القطب الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) في فقه القرآن، والمقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ) في كنز العرفان وابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) في شرح الآيات الخمسمائة، والشيخ أحمد الجزائري (١١٥١ هـ) في قلائد الدرر والمقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ) في زبدة البيان والفاضل الجواد الكاظمي (ت) في مسالك الأفهام في شرح الأحكام. وهم علماء الشيعة. والملاحظ في هذه المؤلفات:

١-إنهم اتبعوا منهج التفسير الموضوعي - ولو لم يسموا ولم يتبعوا ترتيب المصحف.

٢-إعتمدوا على منهج الإستقراء التام للقرآن من خلال تتبع موضوع البحث.

٣-هناك عملية تصنيف دقيقة تماشت مع الأبواب الفقهية.

٤-رسم صورة متكاملة وواضحة للموضوع الواحد من خلال استنباط الحكم الشرعي من مجموعة الآيات ذات الموضوع المحدد من خلال إيجاد النسبة بين الآيات.

٣- (المثل، الجدل، القسم):

جاء القرآن الكريم على أساليب لغة العرب وأصول كلامهم فاحتج عليهم بما يعرفون لا بما ينكرون، ومن أساليب اللغة العربية (المثل، والجدل، والقسم) والأسلوب لغةً: طريقة المتكلم في كلامهِ، وفي الإصطلاح: هو الطريقة الكلامية ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم جاء بأساليب (الجدل والقسم والمثل) ولكن السؤال،

هل هذه الأساليب من التفسير الموضوعي ؟

معظم الباحثين ذكروا هذه الأساليب ضمن نتاج التفسير الموضوعي [١]. والذي دعاهم إلى ذلك أن كل أسلوب من الأساليب يجمعهُ جامع موضوعي ففي أسلوب المثل. يتمركز البحث حول كلمة (مثل ومشتقاتها)، وفي أسلوب القسم يتمركز البحث حول أدوات القسم (و، ب، ت)، وفي أسلوب الجدل يتمركز البحث حول كلمة (جدال) ؟ وهذا صحيح. لكننا نرى أن الذين بحثوا في هذه المواضيع كان بحثهم بحثاً وصفياً إستقصائياً وراء الحصول على أساليب القرآن لا بحثاً وراء الحصول على نظرية قرآنية ولذلك نجد أن الأمثال وإن كانت تشترك في كلمة (مثل) ألا أنها مختلفة من حيث المضمون ولا ربط بينها فما العلاقة بين قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾، وبين قوله تعالى:﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾، ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ نعم يجمعهم موضوع المثل ولكن لا رابط موضوعي بينهم فهو أقرب إلى أسلوب القرآن من التفسير الموضوعي، وهكذا في الجدل القرآني فإن موضوع (وجادلهم بالتي هي أحسن) يختلف عن موضوع (لا رفث ولا جدال في الحج) نعم يدخل الجدل في التفسير الموضوعي إذا أخذناهُ في عنوانه الكلي وصنفناهُ إلى فصول: آداب الجدل، أول من سن الجدل، الجدل مع الأنبياء الجدل مع أهل الكتاب، الجدل مع المؤمنين، الجدل مع المنافقين، الجدل في خلق السموات والأرض، الجدل في البعث والنشور [٢]. [٣](*) وهكذا القول في القسم القرآني والمثل.

---

(١) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي ص٣٠-٣٦.

(٢) ظ: حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص٣٤.

(٣) (*) والجدل هو أسلوب له مواضيع متعددة في القرآن لو جمعت أسئلتهُ وردودهُ لكان تفسيراً موضوعياً متكاملاً.

فخلاصة القول (القسم والجدل والمثل) من الأساليب القرآنية لا من التفسير الموضوعي ولهذا بحثوها في (علوم القرآن) [١]. وهذا الخلط لعله ناجم عن عدم التمييز بين ما يُبحث حول شؤون القرآن (علوم القرآن) وما يُبحث من أجل إستنباط رؤية قرآنية في موضوع ما. [٢]

٤- المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ:

ذكر بعض الباحثين (المحكم والمتشابه) و(الناسخ والمنسوخ) من جذور التفسير الموضوعي [٣]. ولكن الذين تناولوا هذا البحث منهم من مشى مع ترتيب القرآن ليرصد الآيات الناسخة والمنسوخة والمحكم والمتشابه ومنهم من مشى على نهج موضوعي كما فعلهُ النحاس (ت ٣٣٨هـ) الذي أفرد للناسخ والمنسوخ كتاباً وقام بترتيبهِ ترتيباً موضوعياً.

لكن (المحكم والمتشابه) و(الناسخ والمنسوخ) من أساسيات علوم القرآن، وفي نظري أنها (علوم آلية قرآنية) تحكم التفاعل بين الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد فإننا نجد أن بين الآية المنسوخة والآية الناسخة موضوعاً رابطاً كما في آيات القبلة وآيات النهي عن شرب الخمر وهكذا، كذلك بين المحكم والمتشابه موضوع معين رابط. إذ لولاهُ لما حصل النسخ أو الإحكام. وفي النتيجة فإن هذه المصطلحات تدخل كآلية مهمة في إنتاج التفسير الموضوعي لا أنها بنفسها تفسيراً موضوعياً.

---

(١) راجع السيوطي في الإتقان، النوع (٦٦، ٦٨، ٦٧) من أنواع علوم القرآن.

(٢) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون / ٢.

(٣) ظ: مصطفى زيد، النسخ في القرآن ١/ ١٦، حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي / ١١١.

ثانياً- دراسات المستشرقين:

تناول المستشرقون البحث في القرآن كظاهرة دينية بعيدة عن روح الإيمان والقداسة، لهذا لم يلتزموا بالترتيب القرآني مما جعلهم يقطعون أشواطاً لم يجرأ عليها علماء الإسلام. وتمركزت بحوثهم حول نقطتين:

١- الفهرسة الموضوعية.

٢- البحوث الموضوعية.

وفي مجال الفهرسة الموضوعية رصد الباحث حكمت الخفاجي [١] بعض المؤلفين وكان سهم السبق للعلماء الفرنسيين أولهم (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) ١٨٨٤م وكذلك (جول لابوم) الذي وضع فهرسهُ (تفصيل آيات القرآن الحكيم قسم كتابه إلى (١٨) باباً (٣٥٠) فرعاً، وكذلك (إدوارد مونتيه) كان فهرسهُ مقسم على (١٤٤) فرعاً. ومن ألمانيا المستشرق (فلوجل) (١٨٤٢م) ألّف (كتاب نجوم الفرقان في أطراف القرآن).

ثم ظهرت الأبحاث القرآنية ذات الطابع الموضوعي. منها:

١- الطب في القرآن، أويتز ١٩٠٦م.

٢- القانون في القرآن، رفلين، فرانكفورت نشر ١٩٢٧م.

٣- نشأة الإنسان في القرآن، فرانكل براغ ١٩٣٠م.

وهذه الدراسات الإستشراقية تعد خطوة جادة في طريق التفسير الموضوعي

---

(١) ظ. حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص٥٠-٥٢.

أستفاد منه المحدثون.

ثالثاً- التفسير الموضوعي عند المحدَثين:

لعلنا نلحظ إتجاهين في هذا المجال:

١-الفهرسة الموضوعية.

٢- البحوث الموضوعية.

لعل أول من قام بالفهرسة الموضوعية للآيات العلامة المجلسي (ت هـ) حيث يذكر في بداية كل باب الآيات المتعلقة به. وهذه فهرسة موضوعية. ثم بعد أكثر من قرن جاءت محاولات أكثر دقة كان من أبرزها (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي طُبع (١٩٣٩). ثم جاءت محاولات على مستوى الفهرسة، وعلى مستوى المواضيع.

ثم جاءت محاولات الشيخ أمين الخولي الذي يُعد المنظر الأول للتفسيرا لموضوعي إذ يقول: (يفسر القرآن موضوعاً، وأن تجمع الآيات الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم يُنظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى) [١] وقد عدهُ حكمت الخفاجي أنه أول المنظرين للتفسير الموضوعي، أما في مجال التطبيق العملي فجاد الدكتور محمد خلف الله أحمد في كتابه (الفن القصصي للقرآن الكريم) حيث وصفهُ الخفاجي بأنه ترجمة جيدة لما نادى به الخولي [٢] ثم أخذ يسرد المحاولات في

(١) أمين الخولي، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير ٥/ ٣٦٨.

(٢) د. حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن ص٣٨.

هذا المجال وإسهامات أصحابها في ذلك فليراجع [١]. وفي الوسط الشيعي أول من قام بهذه المحاولة الشيخ جواد السبحاني في كتابه (مفاهيم القرآن) وعرض لنماذج موضوعية في ثمانية أجزاء نظَّر للتفسير الموضوعي في آخر الأجزاء.

وتأتي محاولة السيد محمد باقر الصدر (١٤٠٠هـ) بعدها زمنياً إلا أنها رائدة في أسلوبها فكرياً كما في (السنن التاريخية في القرآن)، (المجتمع الفرعوني) ثم فتح المجال لتلامذتهِ في السير على خطاه أمثال السيد كمال الحيدري وأبحاثهِ الموضوعية (العصمة في القرآن)، (الإمامة في القرآن)، (التقوى في القرآن). ثم جاءت محاولات الشيخ مكارم الشيرازي في (نفحات القرآن). وكذلك أبحاث الشيخ محمد مهدي الآصفي في سلسلة (رحاب القرآن) والتي تتضمن عشر حلقات[٢].

---

(١) ظ. حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن ص٣٩-٤٨.

(٢)الآصفي ، محمد مهدي ، (في رحاب القرآن) . عشرة حلقات \ قم ١٤٢٤.

المبحث الثالث

التفسير الموضوعي في الميزان

أعتاد المفسرون على المنهج الترتيبي (التسلسلي) للتفسير حتى إستنفذوا كل أشكاله، وظهر في القرن الماضي مصطلح (التغيير الموضوعي) الذي بدأ يعطي ثمراته العلمية قبل تأصيل قواعده المنهجية إلا أن بعض المفسرين يعطي بعض الخطوط الأساسية في تفسيره ضمناً فتراكمت هذه التجارب لتسجل بعض الخطوات، ولابد لنا أن نحدد هذه الخطوات وفق سياقات منهجية منظمة.

وهذا ما سوف تتكفل به المباحث اللاحقة، ولابد في البداية من معرفة ما المراد من الموضوعي، وما التفسير الموضوعي ؟

وما هي مصادرهُ ؟ وما هي خصائصهُ ؟ ولماذا تأخر ظهوره ؟ ومتى نشأ ؟ وكيف تطور ؟ وما هي أهم مصنفاته ؟

كل هذه العناوين وغيرها نحاول دراستها في المباحث القادمة لتكون لدينا تصورات واضحة ترسم لنا الحدود ونحن نحاول التنظير للأصول والمناهج الموضوعية.

المطلب الأول – المراد من الموضوع:

لكل كلمة معنى لغوي ومعنى إصطلاحي، وكل إصطلاح خاص بأهله فالنحوي والمنطقي والأصولي والفلسفي وغيرهم لكل منهم مصطلحاته الخاصة.

فالموضوع (لغةً): من الوضع، وهو جعلُ الشيء في مكان ما سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان [١]، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزهُ إلى غيرهِ حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي ألتزم به [٢].

أما الموضوع (اصطلاحاً): فلكل علم معنى خاص به. فالموضوع عند هو (مكانة الكلمة داخل التركيب وأثرها في معنى الجملة وأثر الأخيرة في معنى السياق النحوي: فالمبتدأ هو المحمول عليه والمحمول هو الخبر.

والبياني: يسمي الموضوع: المسند إليه والمحمول هو المسند

ويسمي المنطقي: الموضوع ما كان محلاً لعروض المحمول عليه (الحُكم)

والأصولي: الموضوع عندهُ المعنى الإستقلالي الذي يقابل المعنى الحرفي

والمفسر: الموضوع النص الكاشف عن مراد الله تعالى.

أما في هذا البحث فإن الموضوع: يرمز إلى عنوان معرفي محدد تتوفر عليه مقدمات البحث مع حصول وحدة للعلاقة بين وحداته الذي صيغ البحث من أجلهِ.

---

(١) لسان العرب، مادة وضع.

(٢) مصطفى مسلم، مباحث التفسير الموضوعي ص٣٠، الخضيري، مقدمة في التفسير الموضوعي ص٢.

وتطلق المنهجية الموضوعية: ويراد بها أمر إنتزاعي بسيط لأن شأن الموضوعات أن تكون مترابطة تحت عرض واحد يضم وحدة البحث، فالموضوعية تحكي عن وجود الترابط والتجانس مهما ظهر للوقائع من تباين ويكفي إنها تخضع تحت مشترك واحد يُحفظ لها الهيكل العام [١].

ويُراد بالموضوعية: في قبال التحيز، فيقال أن هذا البحث موضوعي وهو المعنى المستخدم في البحث العلمي المنهجي فيما يُشترط فيه إلتزام الباحث بقواعد العدل ورعاية الإنصاف والأمانة وعدم التحيز [٢] وهذا يشمل كل باحث في كل علم، وقد يراد بالموضوعي أي الواقعي بخلاف الخيالي والمثالي كما يتداول عرفاً والموضوعي باصطلاح المفسرين أي (التفسير الموضوعي) وقد لوحظ له معنيان:

١- ما استخلصناهُ من عدة تعاريف:

التفسير الموضوعي: هو أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً من خلال ربط الآيات ذات الصلة مع بعضها. وعلى هذا الإصطلاح أتفق أكثر الباحثين في هذا العلم كما سنرى في التعريفات لاحقاً.

٢- وقد أعطى السيد الصدر معنى آخر للتفسير الموضوعي مغاير لما قدمهُ الآخرون هو: البدأ من الموضوع الخارجي والعودة إلى القرآن الكريم لمعرفة الموقف منه. وما يخصنا في هذا البحث المعنيان الأخيران.

---

(١) بحث مستل من كتاب عناصر العلوم، محمد محمد طاهر الخاقاني ص٣٩٤ بتصرف.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٣٦، وجواد علي كسار، التفسير الموضوعي، مقارنات مع الصدر وآخرين ص٥٥.

ثانياً – تحديد المصطلحات:

قبل الشروع في تفاصيل البحث لابد من تمييز المصطلحات المتداخلة والمتشابهة والتي قد خلط بينها بعض الباحثين فهناك خمسة مصطلحات نحاول التمييز بينها والتأهيل لها:

١-التجميع الموضوعي:

وهو عملية إستقراء للمفردات المتماثلة بإتباع الأشباه والنظائر، ربما يتبعها تصنيف وتبويب وهذا ما قام به المحدثون في كتب الحديث حيث أنهم أول من جمع الأحاديث جمعاً موضوعياً وصنفوها حسب الأبواب ثم تلتها كتب الفقه التي هي شروحات للأحاديث أيضاً صنفت حسب المواضيع والمتطلبات الخارجية، وهذا ما طرحه السيد الصدر إذ قال: (أن الجمع الموضوعي بدأ بالكتب الأربعة وما بعدها حسب) المواضيع، ومثال آخر أيضاً الكتب الفقهية كالجواهر والحدائق وهي شروحات وتفاسير للكتب الأربعة وغيرها أيضاً نظمت وفق المسائل المطروحة [١].

ولم يلحظ هذا في الجانب التفسيري للقرآن إلا في عصر متأخر ولعل أول من جمع آيات القرآن وفقاً للمواضيع هو العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار [٢]، حيث عقد في كل باب عنواناً خاصاً. جمع فيه ما ورد من القرآن والحديث ولم يحاول ربط الآيات مع بعضها أي لم يقم بعملية التفسير إنما قام بعملية تجميع. وظهرت أيضاً دراسات حديثة تدعم التجميع الموضوعي على يد المستشرقين وتبعهم المسلمون فيما ألقوه تحت مواضيع القرآن، أو المعجم المفهرس لألفاظ القرآن وبالواقع هذه هي

---

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٢٥.

(٢) جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن ١٠/ ٣٨٠ ط٢/ ١٤٢٥هـ.

المرحلة الأولية واللبنة الأساسية للتفسير الموضوعي.

٢-التفسير الموضوعي:

وهي المرحلة اللاحقة، إذ بعد التجميع الموضوعي تبدأ مرحلة التفسير الموضوعي من خلال إيجاد النسبة بين الآيات وربطها مع بعضها للخروج بنظرية قرآنية، حيث تبدأ الإنطلاقة من القرآن والى القرآن فتكون النتيجة قرآنية إذ يعتمد القرآن على نفسهِ كما قال الإمام علي عليه السلام: (القرآن يفسر بعضهُ بعضاً) وفي هذه الدراسة نحاول رصد القواعد والأصول للتفسير الموضوعي.

٣-العرض الموضوعي:

وهو ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والعرض على نوعين: نوع يعرض الأحاديث على القرآن لمعرفة صدقها وكذبها وهو من أبرز القرائن المهمة للحديث، وقد أشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: أعرضوا أحاديثنا على كتاب الله فما وافقهُ فخذوا به وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط [١].

وأما العرض الثاني: وهو ما أكده النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام إذ قال: (إتهموا عليه آرائكم) فكل رأي وكل أطروحة بشرية يجب عرضها على القرآن لتمييز صحيحها من سقيمها. وهذا ما ذهب إليه السيد الصدر في أطروحته (المدرسة القرآنية): (إنما وظيفة التفسيرالموضوعي دائماً وفي كل مرحلة وفي كل عصر أن يحمل كل تُراث البشرية الذي عاشهُ، يحمل أفكار عصره، يحمل المقولات التي تعلمها في تجربتهِ البشرية ثم يضعها بين يدي القرآن، ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر أن

(١) الكليني، أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب (وفيه إثنا عشر حديثاً).

يفهمهُ من خلال مجموع آياته الشريفة.. فالتفسير يبدأ من الواقع) [١].

كان هذا هو مفهوم السيد الصدر عن التفسير الموضوعي، ولو قمنا بتحليله لهو يكتنز على مرحلتين: المرحلة الأولى التفسير الموضوعي للقرآن، وهي الخطوة التي تسبق العرض الموضوعي وهي المرحلة الثانية، إذ يجب علينا أولاً معرفة مقولة القرآن، ثم معرفة الأطروحة البشرية ثانياً ثم نعرض الأطروحة البشرية على النظرية القرآنية لنرى مدى صدق الأطروحة البشرية. إذن المفهوم الذي طرحه السيد الصدر هو أقرب إلى العرض الموضوعي على القرآن، والعمل الذي قام به في المدرسة القرآنية عملين في آنٍ واحد (تفسير موضوعي، وعرض موضوعي).

٤- الخروج الموضوعي:

إصطلاح أصولي يُراد به خروج بعض أفراد الحكم عن دائرته قبل شموله بالحكم ابتداءاً أو ارتفاعهُ على نحو التخصص دون التخصيص. والفرق بين التخصص والتخصيص هو أن التخصيص يأتي مع العام وهو رفع بعض المصاديق عن دائرة العام، أما التخصص فإن الأفراد أصلاً خارجة عن الدخول في الحكم أي لم تدخل تحت دائرة الحكم إبتداءاً، أو قل موضوعها مختلف. وإنما أشرنا إلى هذا المصطلح لنحدد معالمه حتى نشخص الخروج عن وحدة البحث والموضوع في التفسير الموضوعي.

ولو أردنا أن نبرمج الخطوات منطقياً فإننا نبدأ أولاً بالجمع الموضوعي للآيات ثم التفسير الموضوعي لملاحظة النسبة بين الآيات ذات الموضوع الواحد، ثم العرض الموضوعي: نعرض الأطروحات البشرية أو الأحاديث لوجود المشابه في الموضوع في

---

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٣٠ ط٢ قم، مركز الأبحاث.

كلا الطرفين ليكون القرآن هو الحاكم على التجارب البشرية وكذلك على الأحاديث المروية وإذا خرج الباحث عن موضوع البحث فنقول هذا خروج موضوعي.

٥- القراءة الموضوعية:

وهي دعوة القراءة القرآن لأعلى ترتيبه في المصحف وإنما قراءتهُ بحسب المواضيع والعناوين، وذلك حسب الإحتياج الزماني والمكاني، فمثلاً أعتاد المسلمون قراءة القرآن في مجالس الفاتحة وأكثر المقرئين يقرؤون سورة يوسف وموضوعها غير مطابق لمقتضى الحال وبهذا يحصل حاجز بين القارئ والمستمع، بينما لو أخذ القارئ يقرأ الآيات الذي يتناول موضوع (الآخرة، الجنة، النار، الموت، الحياة) فسوف ينْشَّد المستمع لذلك، وربما يعطي فكرة واضحة تفسيرية ولو إجمالية حسب خلفيات السامع وبهذا تكون جيلاً من القُراء والمستمعين الواعين. ولا أظن أن هذا العمل محظور في الشريعة الإسلامية.ولعل هذا ما عمل به الإمام علي عليه السلام وابن مسعود وأُبي بن كعب كما عرفنا سابقاً.

ثالثاً: تعريف التفسير الموضوعي:

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين رُكبا تركيباً وصفياً، فلابد من أن نُعَرف كل جزء إبتداءاً ثم نعرف المصطلح المركب منهما. والتفسير (كما مرَّ لغةً) الكشف والبيان.(واصطلاحاً): الكشف عن معاني القرآن الكريم.

(الموضوع) لغةً: كما مرَّ من الوضع وهو جعل الشيء في حيز ما (مكاني، زماني، مضموني) سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقة واضعة إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح ولعل هذا

المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيرِهِ من تفسير الموضوع الذي أرادهُ [١].

أما تعريفهُ كمصطلح تركيبي (التفسير الموضوعي) فلهُ عدة تعريفات: سوف نعرضها ونحلل مقاصدها.

إن حداثة هذا الإصطلاح في الوسط الإسلامي جعلت تعريفاتهُ متفاوتة وإجمالية إذ لم تتبلور أصوله ومناهجهُ بعد، ولهذا نجد كل تعريف يصف التجربة التي خاضها هذا الباحث أو ذاك: ولعل أقدم تعريف لهذا المصطلح قدمهُ الذهبي (ت: هـ) حيث أعاد جذورهُ التأريخية إلى أعمال قرآنية لأبن القيم (ت:) وأبي عبيدة (ت:) والراغب (ت:) والواحدي (ت:) والجصاص (ت:) وغيرهم.

١- تعريف القدماء:

من الذين (قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن يجمعون ما تفرق منه ويفردونه بالدرس والبحث) [٢] وهذا التعريف غير مانع إذ أُدخل كل موضوع قرآني تحت مصطلح التفسير الموضوعي ويظهر هذا من خلال إستشهادِهِ بالواحدي مثلاً في كتابه أسباب النزول، نعم هو موضوع قرآني يُبحث تحت حقل علوم القرآن ولا ربط له بالتفسير الموضوعي ولو قبلناهُ إذن لأدخلنا جميع مباحث علوم القرآن في التفسير ولو قبلناهُ إذن لأدخلنا جميع مباحث علوم القرآن في التفسير الموضوعي، فالتعريف على إجمالِهِ مقبول ولكن بعض الأمثلة غير منطقية. فليس كل موضوعٍ خاص في القرآن يدخل تحت التفسير الموضوعي وهذا ما أشار إليه السيد الصدر وهو ينتقد

---

(١) الخضري، محمد عبد العزيز، مقدمة في التفسير الموضوعي / ١.

(٢) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ١/ ١٤٨ ط٢.

هذا الخلط بقوله: (وأما ما ظهر على الصعيد القرآني من دراسات تسمى بالتفسير الموضوعي أحياناً من قبيل دراسات بعض المفسرين حول موضوعات معينة تتعلق بالقرآن الكريم كأسباب النزول أو القراءات أو الناسخ والمنسوخ أو مجازات القرآن فليست من التفسير التوحيدي والموضوعي بالمعنى الذي نريدهُ فإن هذه الدراسات في الحقيقة ليست إلا تجميعاً عددياً لقضايا من التفسير التجزيئي لوحظ فيما بينها شيء من التشابه، وفي كلمة أخرى: ليست كل عملية تجميع أو عزل دراسة موضوعية) [١] وتابعهُ على ذلك محمد هادي معرفة: فالبحث في علوم القرآن بحثاً عن شؤون القرآن (كالقراءات، وأسباب النزول.. الخ) وليس بحثاً وراء الحصول على نظرة القرآن) [٢].

٢- التعريف الثاني لأمين الخولي:

وهو أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً وأن تجمع الآيات الخاصة بالموضوع جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها ثم يُنظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى) [٣]. يعتبر هذا التعريف وصفياً إذ أوضح التجربة التي خاضها الخولي:

وهو يصف الخطوات على التوالي: أولها إختيار الموضوع ثم تتبع آياتهِ من خلال(الإحصاء والإستقصاء) والإحصاء يعطي عدد الآيات ولا نحتاجهُ هنا، والإستقصاء لعله أقرب، والأصح منه الإستقراء، ثم بعد هذه الخطوة يجعل الآيات تحت نظرة ليلحظ المناسبة بينها مشيراً بذلك إلى تفسير القرآن بالقرآن أما ملاحظة

---

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٢٧، إيران ط٢ ١٤٢٤هـ مركز الأبحاث التخصصية للشهيد الصدر.

(٢) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٣٧.

(٣) أمين الخولي، التفسير نشأتهُ-تدرجهُ وتطورهُ ٨٣-٨٤.

ترتيبها الزمني فليس له مزيد فائدة إذ كل الآيات في التفسير الموضوعي تكون تحت ظرفٍ واحد. وأشار أيضاً إلى مناسباتها (أي أسباب النزول) وهو من باب تفسير القرآن بالأثر وهو قد يساهم في فهم الآيات إذا كانت لها صلة بالموضوع المفسر لأن الآيات وإن كانت من موضوع واحد إلا أن أسباب نزولها مختلفة الموضوع.

٣- تعريف محمود شلتوت:

(أن يعمد المفسر أولاً إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد ثم يضعها أمامهُ كمواد يحللها ويفقه معانيها ويعرف النسبة بين بعضها وبعض فيتجلى له الحكم ويتبين له المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع) [(١)].

وهو تعريف أيضاً وصفي يوضح لنا الخطوات فبدأ بأختيار الموضوع ضمناً وجمع آياته (بواسطة منهج الإستقراء) ثم تأتي الخطوة التي بعدها وهي تحليل الآيات واكتشاف النسبة بين الآيات. وهذه إشارة ذكية إلى ركن من أركان التفسير الموضوعي فإن النسبة بين الآيات القرآنية لها مدخلية كبرى في تفسير القرآن والنسبة بين الآيات لا تخلو عن هذه الأمور.

أما عام وخاص، مطلق ومقيد، مجمل ومفصل، مبهم ومبين الخ.

٤- تعريف محمد محمود حجازي:

جمع الآيات في موضوعٍ واحد وترتيبها حسب النزول مع الوقوف على أسباب النزول ودراستها دراسة منهجية موضوعية كاملة لتعطينا موضوعاً واحداً له

(١) محمود شلتوت، تفسير الأجزاء العشرة الأولى / ١٠.

وحدة موضوعية متكاملة) [١]. أيضاً يركز على إختيار الموضوع، ثم ركز على الجمع الموضوعي ثم أعتمد على أسباب النزول وهو تفسير بالسنة النبوية، ثم أن الآيات وإن كانت ذات موضوع واحد إلا أنها مختلفة في أسباب نزولها لا يجمعها جامع وغالب أسباب النزول ليس له مدخلية معرفية في التفسير الموضوعي إلا إذا كانت إرشادية في كشف المعنى بينما ورد في تعريفه أنها ركنٌ من أركان التفسير الموضوعي أو هي خارجة موضوعاً.

٥- تعريف زياد الدغامين:

الذي أختارهُ كلٌ من مصطفى مسلم ومحمد عبد العزيز الخضري بأنه (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من سورة أو أكثر) [٢]. وهو تعريف كلي لكنه مجمل إذ لم يعط كيفية تناول القضايا وأبرز ركن إعتمدهُ هو المقاصد القرآنية أي الأهداف والنمطيات التي يريد القرآن سيادتها.

٦- تعريف أحمد جمال العمري:

(أن يأخذ الباحث الآيات التي تتصل بموضوع واحد ليشيد منها بناءً واحداً متماسكاً متناسقاً فإن أعوزهُ كمال ذلك الموضوع لجأ إلى حديث يستكمل متناسقاً فإن أعوزهُ كمال ذلك الموضوع لجأ إلى حديث يستكمل بناء الصرح بما جاءت به السنة) [٣].

---

(١) محمود أمين.

(٢) نقلًا عن التفسير الموضوعي لجواد علي كسار، (زياد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي ص١٤، مصطفى مسلم، مباحث في التمييز الموضوعي ص١٦ واختارهُ أيضاً محمد عبد العزيز الخضري في مقدمة في التفسير الموضوعي ص٣.

(٣) نقلًا عن التفسير الموضوعي لجواد علي كسار (دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، د. أحمد جمال العمري).

هذا التعريف أيضاً يبين أهمية الركن الأساسي في التفسير الموضوعي وهو الموضوع الواحد ثم أشار إلى ضرورة أن تكون الآيات على طاولة البحث لتكون متناسقة لكنه لم يُبين كيفية ذلك كما بيّنها شلتوت، كذلك إستنجد بالسنة لإستكمال فهم النص وكأنه يقرر بأن التفسير الموضوعي هو من القرآن إلى القرآن وكلنه يستضيء بالسنة النبوية للمصادقة على نتائج البحث أما إذا كان التفسير معتمداً على السنة النبوية فهذا تفسير بالأثر.

٧- تعريف أحمد رحماني بأنه:

(منهج مستحدث في تفسير القرآن يوظف لسبر أغوار الموضوع من خلال القرآن كله أو سورة منه للخروج بتصور حوله أو نظرية فيه) [(١)].

أكد في هذا التعريف على عنصر الإستقراء بقوله: (سبر غوار الموضوع) وأجمل كيفية الخروج بتصور كامل.

٨- تعريف محمد باقر الحكيم :

وهو تلميذ الصدر في هذا المجال - قال: (دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو في موضع واحد وذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين) [(٢)].

كذلك أكد على ملاحقة الموضوع الواحد سواء كان في مواضيع متعددة أو موضع

---

(١) نقلًا عن التفسير الموضوعي لجواد علي كسار، (مصادر التفسير الموضوعي، د. أحمد رحماني وهو باحث جزائري).

(٢) محمد باقر الحكيم، علوم القرآن ص٣٤٤.

واحد وهو بذلك يشير إلى منهج الإستقراء، بعد ذلك نقوم بتحديد حدود النظرية القرآنية، ولم يذهب لما تبناه أستاذه من الإنطلاق من الخارج.

٩- تعريف محمد حسين الصغير:

(أن يقوم جملة من المتخصصين على دراسة شذرات ونجوم من القرآن كلٌ حسب تخصصه فيجمع مادة موضوع من مواضيع القرآن ويستقصيها إحصاءاً لتكون هيكلاً مترابطاً يشكل وحدة موضوعية متكاملة ثم يفسرها حسب منهجيته كالفقيه والعقائدي والفن القصصي والمثل القرآني) [١].

فقد تم التركيز على إختيار الموضوع أملاً ثم إستقصاء الآيات ذات الصلة حتى يشكّل منها هيكلٌ مترابطٌ وهنا قد أجمل في كيفية الربط بين الآيات. كذلك حاول أن يفرق بين مناهج الفقيه والعقائدي والحال أن القواعد التي تحكم التفسير الموضوعي يجب أن تكون واحدة وإن تنوع موضوع البحث.

١٠- تعريف السيد محمد باقر الصدر:

(الدراسة الموضوعية: هي التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة - العقائدية أو الإجتماعية أو الكونية - وتتجه إلى درسهِ وتقيمهِ من زاوية قرآنية بصدده) [٢].

وتوضيح هذا التعريف يتم من خلال ما طرحهُ الصدر في المدرسة القرآنية: ومن أبرز ما طرحهُ وركز البحث عليه وكرره في طيات بحثهِ هي وظيفة التفسير

---

(١) د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة للتفسير ص١٢٤.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٢٧، ط٢ ١٤٢٤هـ إيران مركز الأبحاث التخصصية في تراث الشهيد الصدر.

الموضوعي إذ قال: (وظيفة التفسير الموضوعي دائماً وفي كل مرحلة وفي كل عصر أن يحمل كل تراث البشرية الذي عاشهُ، وأفكار عصرهِ والمقولات التي تعلمها في تجربتهِ البشرية ثم يضعها بين يدي القرآن... ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمهُ، أن يستشفهُ وأن يتبينهُ من خلال مجموعة آياته الشريفة... إذن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن، لا أنه يبدأ من القرآن وينتهي بالقرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية) [١]

وهناك دراسة مقارنة بين الصدر وآخرين ممن لهم تجربة مع التفسير الموضوعي، أكد الباحث خلالها على هذه النقطة وهي (الإنطلاق من الخارج والعود إلى القرآن) إذ قال: (الإنطلاق من الموضوع أي من الواقع الخارجي، والإحاطة بقضايا الواقع العملية والفكرية واستقصاء معضلاته والحلول البشرية ثم العودة إلى كتاب الله لمعرفة موقفهِ من كل ذلك) [٢] ولهذا يؤكد في مكان آخر (إن التفسير الموضوعي بهذا المعنى إتجاه جديد لم يعرفه السابقون لا مصطلحاً ولا مفهوماً ولا تطبيقاً) [٣]. وهو فهم جديد للتفسير الموضوعي لم يتبناهُ كل من بحث في التفسير الموضوعي فالإنطلاق من الخارج كما قصدهُ الصدر فيه إحتمالان:

١- إختيار الموضوع من الخارج (أي العنوان) فقط وملاحظة الرؤية القرآنية عنه، وهذا لا بأس به وداخل تحت التفسير الموضوعي.

٢- الإحتمال الثاني الذي ركز البحث عليه وأكدهُ الدارسون لمنهج الصدر أيضاً

---

(١) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص٣٠ ط٢ ١٤٢٤هـ.

(٢) جواد علي كسار، التفسير الموضوعي – مقارنات بين السيد الصدر وآخرين، ص١١٢ ط١ مؤسسة الثقلين.

(٣) ن. م ص٤٢.

(أن الموضوع والتجربة البشرية كلها تؤخذ من الخارج وتنتهي إلى القرآن). وهذا الإحتمال يجدر الوقوف عنده وتحليله وهو يتركب من ثلاث خطوات عند تفكيكهِ.

الخطوة الأولى: معرفة التجربة البشرية من الخارج وهذه المعرفة لا دخل للقرآن فيها.

الخطوة الثانية: معرفة النظرية القرآنية من خلال الموضوع المختار وهذا يتطلب دراسة الآيات ذات الصلة بالموضوع للخروج بنتيجة نهائية. وهذا هو بحثٌ قرآني بحت (تفسير موضوعي).

الخطوة الثالثة: عرض التجربة البشرية على النظرية القرآنية ليكون القرآن هو الحاكم وله القيمومة على التجارب البشرية وهذا لا يتضح إلا بعد استخلاص النظرية القرآنية وهذا ما نسميه العرض على القرآن وهو خطوة لاحقة تأتي بعد التفسير الموضوعي. واصطلحنا عليه (العرض الموضوعي).

١١- تعريف محمد هادي معرفة:

(البحث للحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة بمواضيع تمس جوانب الحياة الفكرية الثقافية والإجتماعية.. بحثاً من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بشأن تلك المواضيع.. فهي مسائل ودلالات ذات صيغة قرآنية بحتة واستنتاجات مستحصلة من ذات القرآن ومن داخلهِ) [(١)] . يؤكد على إستخلاص النظرية القرآنية من القرآن نفسهِ، لا من الواقع الخارجي، وأما ما ذكره من مواضيع تمس الحياة الفكرية.. فهو من ضرب الأمثال إذ لا يقتصر التفسير الموضوعي على هذه المواضيع.

---

(١) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٣٧.

١٢- تعريف حكمت الخفاجي:

هو معرفة أحوال مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع محدد، مرتبة على حسب النزول تارة، وغير مرتبة تارة أخرى من حيث دلالته على مراد الله تعالى يتيسر فهمه إلى المتلقي في كيان واحد..) [١].

وانتقد التعريفات قائلاً: إنها لم تكن جامعة مانعة بل أكثرها لا يعدو أن يكون بياناً للمنهج المتبع في التفسير الموضوعي [٢] وهو صحيح والتعريف الذي قدمه داخل تحت هذا النقد أيضاً.

التعريف المقترح للتفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي: (هو محاولة الكشف عن مراد الله في مواضيع قرآنية محددة من خلال إستقراء الأشباه والنظائر من الآيات واكتشاف النسبة بينها للوصول إلى أطروحة قرآنية في مجال من المجالات.

شرح التعريف:

قلنا سابقاً أن التفسير الموضوعي مركب من كلمتين رُكبا تركيباً وصفياً، فكلمة التفسير كما عُرّف في محلهِ هو الكشف عن مراد الله تعالى حسب الطاقة البشرية. وهو قيد إحترازي مهم وهذه هي الكلمة الأولى وهي بمثابة الجنس من التعريف وأما الفصل فهو الكلمة الثانية (المواضيع القُرآنية) التي تخرج جميع المناهج التفسيرية الأخرى فتكون مانعة من دخول غيرها، وقصدنا في المواضيع القرآنية واضح وهو

---

(١) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي ص١٩.

(٢) ن. م.

(مضمون معرفي معين يستفاد من التي يجمعها عنوان واحد. وقولنا: (من خلال إستقراء الأشباه والنظائر) فهذا قيد إحترازي مهم إذ يعتمد التفسير الموضوعي على هذا الركن الأساسي الذي لا غنى للمفسر عنه، وهي الخطوة الأولى التي يبدأ بها المفسر بجمع التناظر وهذا ما أكدت عليه جميع التعريفات بدون إستثناء مع إختلافها، فيأخذ المفسر بتتبع الأشباه والنظائر من أول كلمة في القرآن إلى آخر كلمة. مستعيناً بالمعاجم التي وضعت لفهرسة المفردة القرآنية، ليجمع الكلمات أو الآيات جمعاً موضوعياً ويضعها على طاولة البحث ثم يأتي دور (إكتشاف النسبة بينها) وهذا هو الركن الثاني المهم، ومن هنا تبدأ عملية التفسير من خلال حذاقة المفسر وخبرتهِ في إيجاد النسبة، والنسبة بين الآيات القرآنية أو الكلمات القرآنية التي لا تخلو من هذه المعاني ومثال ذلك (العام والخاص، المطلق والمقيد، المجمل والمفصل، المبهم والمبين) وكل زوج معرفي منها يجمعهم جامع موضوعي واحد.

إذ لا يعقل أن تأتي بالعام في موضع الأكل مثلاً ثم تأتي بمخصص له في موضوع الإرث مثلاً إذ لابد أن تأتي بالمخصص في موضوع الأكل أيضاً وهكذا في كل هذه المعاني وهذا بالضبط ما يقوم به الفقيه في عملية الإستنباط ولذا ترى أن المحدثين هم أول من قام بعمل الفهرسة الموضوعية للأحاديث حتى يتسنى للفقيه أن ينظر إليها وهي مجتمعة في مكان واحد ليجد النسبة بينها، وهذا المقطع هو إحدى معطيات القول المشهور (القرآن يفسر بعضهُ بعضاً).

قد يعترض البعض على أن هذا المقطع (المواضيع القرآنية) بأنه غير مانع إذ تدخل فيه كل المواضيع القرآنية في علوم القرآن والتي مثالها أسباب النزول وغيرها.

أقول هذا صحيح من وجه ولكن المقاطع التي تلت هذا المقطع قيدته وأخرجت منه غيره لاسيما مقطع (إكتشاف النسبة بينها) إذ لا توجد نية بين أحاديث أسباب النزول لإختلاف مواضيعها.

رابعاً – الخصائص العامة للتفسير الموضوعي:

١- الإستجابة لمواضيع الحياة ومتطلباتها واستيعاب متغيراتها التي تطرأ على الساحة. يعني يسهم في سد منطقة الفراغ التشريعي. (الفراغ التشريعي: صلاحيات ممنوحة للفقيه مسكوت عنها بالنص يتناولها – تعقلاً – بحسب تحقق المصالح والمفاسد والموازنة).

٢ – يؤكد على أصالة وقدرة المنهج الرباني في تغطية الحوادث ويصادق على المقولة الإسلامية لكل واقعة حكم. (مقولة اللاتفريط).

٣ – يعطي حيوية للنص عبر التفاعل المستمر بين القرآن والواقع والمفسر من خلال الجوار والإستنطاق.

٤ – على ضوء هذا تتحقق للقرآن قيموميته باعتباره مصدراً أساسياً للمسلمين.

٥ – قدرته على إكتشاف الأطروحة السماوية (النظرية القرآنية) التي تمكن المسلم من مواجهة النظريات الغربية.

٦ – تشكيل البنية الفكرية والفنية للنص القرآني. حيث أن أكثر القصص القرآنية جاءت منتشرة بمشاهدها على طول القرآن والمفسر على هذه الطريقة يحاول جمع شتاتها ويصفها مع بعضها وفق التسلسل الزمني أو المنطقي للأحداث. وبالتالي يحصل على قصة متكاملة مترابطة وهذا ما قام به الدكتور أحمد جمال العمري في كتابه

(دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني).

حيث أنه قسم قصة نوح إلى إحدى عشرة فقرة أبتدأها بدعوة نوح إلى قومه، وأسلوب الدعوة... الخ.

وهذا لا يعني التخلي عن السياق التي جاءت به الآيات في سورها فإنها تعطي دلالةً أيضاً.

٧ – التفسير الموضوعي تفسير دلالي متميز: من خلال الجمع الموضوعي للآيات ووضعها في سياق واحد تظهر عملية إستنطاق النص لدلالات المفردة القرآنية بشكل واضح ويتم ذلك على صعيدين:

أ. الأشباه والنظائر كما عملت عليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن إذ استخرجت دلالات الكلمة من إستعمالاتها القرآنية وهذا يقودنا إلى إكتشاف خطير جداً وهو إمكان أن يقوم الباحث بعمل قاموس لغوي قرآني يعطي للكلمة معناها بشكل دقيق وبالتالي يكون القرآن مرجعاً للغة لا اللغة مرجعاً للقرآن. لأن نزول القرآن قبل المعاجم اللغوية ولأن استعمالات القرآن للمفردة أدق من الإعراب في ذلك.

ب. قدرة المنهج الموضوعي على إبراز التفصيل والإجمال والخاص والعام والمطلق والمقيد فعنده أدوات الفقيه والأصولي حيث يعطي قدرة على الإستنباط بشكل أوسع وأنفع. صحيح أن اللغة كوسيلة تفاهم أسبق من نزول القرآن لكن القرآن أسبق النصوص إحكاماً.

٨- يبرز أسلوب التدرج في الأحكام. وذلك عندما يجمع الباحث جمعاً موضوعياً لموضوعٍ ما يجد أن الآيات في بعض المواضيع تترتب من الحكم الخفيف إلى الحكم الأشد وهو الحظر التام كما هو معروف في قضية تحريم الخمر وكذا في قضية تبليغ الأحكام مما يعطي تصوراً لا عن الحكم فحسب بل عن الآلية التربوية لذلك.

٩- يضيق الخلاف في قضية الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وهذا ما سنبرهن عليه إن شاء الله.

١٠- حسم النزاع المذهبي أو العقلائي أو الفقهي عندما نأخذ بأطراف الموضوع القرآني، بينما الذي حصل في التفسير التجزيئي بروز أطروحات عقائدية منحرفة إذ لم يأخذوا كل العلم بل نصف العلم ونصف الحقيقة وهؤلاء هم الذين أتخذوا القرآن عضين.

١١ - منهج اللاتفريط: هناك ظاهرة في التفسير التجزيئي وهي أن كل الثقل التفسيري للمفسر يصبهُ في بداية تفسيره وأما في الأجزاء الأخيرة فلا يصب إهتمامه بها باعتباره تعرض لها في الأجزاء الأولى، وبالتالي قد يضيع المعنى الدقيق أو الفكرة والإشارة المهمة [(١)] بينما في التفسير الموضوعي تكون كل المفردات في آن واحد أمام المفسر وبالمقارنة بينها تتكشف الحقائق إذ لا يعود أن تكون الآية هنا عامة وفي مكان خاصة والجمع بينها يعطي دلالة واضحة من جهة ومن جهة أخرى لم نفرط بهذه المعلومة لأننا لم نفرط بهذه المفردة.

١٢- القدرة على المطاولة والإبداع.لعل معظم الباحثين يعترفون أن التفسير التجزيئي وصل إلى حد الركود خلال القرون التي مرت وذلك ببركة جهود المفسرين

---

(١) محمد محمد صادق الصدر، منة المنان في تفسير القرآن / ح.

إذ لم يتركوا باباً إلا وولجوه (أدبياً، فقهياً، فلسفياً...).

أما التفسير الموضوعي فإني أتوقع أنه متسع ولا نهائي ويكمن السر في أن آياته ومفرداته تشبه قطع المكعبات ممكن أن يشكلها المرء بعدة تشكلات لا نهائية وفي كل مرة يحصل على معلومات إضافية.

١٣- جعل الآيات المحكمة في القرآن هي المحور وإرجاع الآيات المتشابهة إليها[١] وهذا ما يجعل قراءته غير مملة لتجدده [٢].

١٤- الانسلاخ من قيود الزمان والمكان ليستخرج المعنى الكلي كقاعدة وقانون ينطبق على مصاديق متعددة.

خامساً- موانع ظهور التفسير الموضوعي:

ترتيب القرآن:

إن الترتيب المقدس للقرآن جعل منه حاجزاً عن التفكير بجدية في البحث الموضوعي مما جعل تأخر ظهور هذا النوع من التفسير بالمقارنة مع المصدر الثاني وهو السنة النبوية إذ أخذت الأحاديث تنتظم وتفهرس وتبوب وتصنف وقد قطع المحدثون فيها شوطاً كبيراً، وهكذا تتبعهم الفقهاء في عرض موضوعاتهم مما جعل الفقه أيضاً مبوب ومفهرس موضوعياً كلٌ في بابه، وهذا هو السر في تطور الحديث

---

(١) محمد علي رضائي الاصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب قاسم البيضاني ط١، ١٤٢٦هـ.

(٢) د.حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي، ص٨٣ - ١٢٤، جواد علي كسار، التفسير الموضوعي بين الصدر وأخريون.

والفقه عند المسلمين كافة [١]. في حين بقي التفسير أسيراً لترتيب القرآن. فهل ترتيب القرآن توقيفي أم لا ؟ وإذا كان توقيفياً فهل هناك مانع شرعي من قراءة القرآن قراءة موضوعية ؟ وللإجابة على هذين السؤالين لابد من معرفة آراء علماء القرآن في المسألة: أكثر العلماء على توقيفية ترتيب الآيات القرآنية واختلفوا في ترتيب السور إلى ثلاثة أقوال: (أن ترتيب السور توقيفي لأن الأمة أجمعت على ترتيب السور في عهد عثمان وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب توقيفياً وقبل غير توقيفي: ويُنسب ذلك إلى جمهور العلماء واستدلوا باختلاف مصاحف الصحابة، والقول الثالث بالتفصيل بعضها توقيفي والآخر غير توقيفي [٢]

وما يهمنا هو ترتيب الآيات في السور القرآنية. فقد ذهب العامة وتبعهم بعض الخاصة إلى أن ترتيب الآيات توقيفي إلا أن العلامة المفسر الطباطبائي في (معرفة القرآن في تفسير القرآن) [٣] قد عرض أدلتهم وناقشها ثم أتى بما يناقضها من أدلة ونحن نعرض ما ذهب إليه لما فيه من فائدة:

أ- بعد أن صنف الروايات التي تصف جمع القرآن إلى صنفين الجمع الأول: ما يخص الجمع الأول للقرآن بأمرٍ من أبي بكر وتنفيذ زيد بن ثابت والتي مفادها أن الجمع الأول كان جمعاً لشتات السور المكتوبة في الحسب واللخاف والأكتاف والجلود والرقاع، وإلحاق الآيات النازلة متفرقة إلى سورٍ تناسبها.

وأن الجمع الثاني هو الجمع العثماني بعد عرض تعارض النسخ واختلاف القراءات. والذي يعطيه النظر الحرُ في أمر هذه الروايات ودلالتها - وهي عمدة ما

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٢٥.

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ص٢٤٩-٢٥٢.

(٣) محمد حسين الطباطبائي، معرفة القرآن في تفسير القرآن، بحث (ترتيب المصحف) ص٨٦-٩٤.

في هذا الباب أنها آحاد غير متواترة لكنها محفوفة بقرائن قطعية.

ب- أن ترتب السور إنما هو من الصحابة في الجمع الأول والثاني ومن الدليل عليه ما في الروايات التي مفادها أن عثمان وضع الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس وقد كانتا في الجمع الأول متأخرتين [١]، ومن الدليل ما ورد من مغايرة ترتيب مصاحف الصحابة للجمع الأول والثاني كما روي أن مصحف علي عليه السلام كان مرتباً على ترتيب النزول فكان أوله إقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم --- ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني.

جـ- إن وقوع بعض الآيات التي نزلت متفرقة وموقعها الذي هي فيه الآن لم يخلُ عن مداخلة من الصحابة بالإجتهاد [٢] كما هو ظاهر روايات الجمع الأول وأما رواية عثمان ابن أبي العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من السورة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فلا تدل على أزيد من فعلهِ صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الآيات بالجملة. وعلى تقدر التسليم لا دلالة لما بأيدينا من الروايات على مطابقة ترتيب الصحابة ترتيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومجرد حُسن الظن بهم لا يثبت هذه الحقيقة أو تلك.

وهذه الروايات تفيد أن الصحابة لا يخالفون ترتيب النبي فيما علموا إنما فيما جهلوه، وفي روايات الجمع الأول في عهد أبي بكر أوضح شاهد على أنهم ما كانوا على علم مواضع جميع الآيات ولا بنفسها) [٣].

---

(١) السيوطي، الإتقان.

(٢) السيد محمد حسين الطباطبائي، معرفة القرآن ص٨٩.

(٣) محمد حسين الطباطبائي، معرفة القرآن ص٨٩.

ثم استدل على صحة قوله: من أن ترتيب الآيات في القرآن الذي بين أيدينا غير توقيفي:

أ- الروايات المستفيضة عند السنة والشيعة: أن النبي ﷺ والمؤمنين إنما كانوا يعلمون تمام السورة بنزول البسملة كما رواهُ أبو داود والحاكم والبيهقي والبراز من طريق سعيد بن جبير على ما في الإتقان عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم [١] ونقل عدة روايات وقرب الإستدلال بها قائلاً: والروايات -كما ترى- صريحة في دلالتها على أن الآيات كانت مدنية عند النبي ﷺ بحسب ترتيب النزول فكانت المكيات في السورة المكية والمدنيات في السورة المدنية ولازم ذلك إن ما نشاهدهُ من اختلاف في مواضع الآيات مستنداً إلى إجتهاد الصحابة [٢].

ب- والدليل الآخر روايات أسباب النزول يدل على كون آيات كثيرة في السورة المدنية نازلة بمكة وبالعكس، وعلى كون آيات من القرآن نازلة مثلاً في آواخر عهد النبي ﷺ وهي واقعة في سورة نازلة في أوائل الهجرة. وقد نزلت بين الوقتين سور كثيرة. ومثال ذلك سورة البقرة نزلت في السنة الأولى من الهجرة وفيها آيات الربا، وقد وردت الروايات على أنها من آخر ما نزلت على النبي ﷺ حتى ورد عن عمر أنه قال: مات رسول الله ولم يُبين لنا آيات الربا، وفيها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [٣] وقد ورد أنها آخر ما نزلت من القرآن على النبي ﷺ:

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، معرفة القرآن ص٩٠.

(٣) سورة البقرة / ٢٨١.

ويؤيد ذلك ما في الإتقان [١] عن ابن حجر: وقد ورد عن علي انه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبيﷺ اخرجهُ ابن أبي داود وهو من مسلمات مداليل روايات الشيعة [٢]. ونقل السيوطي رواية مسندة عن ابن سيرين عن عكرمة في جمع علي القرآن بعد وفاة رسول اللهﷺ فقال ابن سيرين لعكرمة: ألفوهُ كما أُنزل الأول فالأول قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوهُ ذلك التأليف ما استطاعوا [٣].

قال الطباطبائي: لكن الجمهور أصروا على أن ترتيب الآيات توقيفي: فآيات المصحف الدائر اليوم هو المصحف العثماني مرتبة على مراتبها عليه النبي بإشارة من جبرئيل، وأولو ظاهر الروايات بأن جمع الصحابة لم يكن جمع وترتيب وإنما كان جمعاً لما كان يعلمونهُ ويحفظونه عن النبي من السور وآياتها المرتبة بين دفتين وفي مكان واحد [٤]. قال: واستدلوا:

أ – بما أدعوهُ من إجماع فقد قال السيوطي: (وأما الإجماع فنقلهُ غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعباراتهِ حيث نفى الخلاف بين المسلمين في ذلك [٥]). قال الطباطبائي وهو إجماع منقول لا يعتمد عليه بعد وجود الخلاف في أصل التعريف ودلالة ما تقدم من الروايات على خلافهِ) [٦] والإجماع المنقول ليس بحجة كما عن أكثر الأصوليين.

(١) السيوطي، الإتقان ١/ ١٥٦.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، معرفة القرآن ص٩٠.

(٣) السيوطي، الإتقان ١/ ١٥٦.

(٤) الطباطبائي، معرفة القرآن ص٩٠-٩١.

(٥) السيوطي، الإتقان ١/ ١٦.

(٦) الطباطبائي، معرفة القرآن ص٩١.

ب - قال وربما استدلوا بالتواتر وهو عجيب وطعن في هذا التواتر وناقش جميع أحاديث الباب. [(١)]

إن ما عرضهُ الطباطبائي وهو يناقش ترتيب الآيات في المصحف ثير تساؤلات عدة تحتاج إلى إعادة النظر في هذا البحث بدقة وأبرز ما أستفدناهُ من هذا البحث هو: (إحتمال عدم ترتب الآيات توقيفياً) إذا ما قلنا بهذا الرأي - وهذا يساعدنا في رفع حاجب القداسة لترتيب الآيات القرآنية ترتيباً توقيفياً وهذا لا يضر في نص القرآن وقداسته فالقرآن كما أكد عليه حل العلماء أنه (هو الموجود ما بين الدفتين)، يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه كما أنه لا يضر بوظيفة النبيﷺ (إذ أنه دون وجمع ورتب وأوحى). ولكن السؤال المطروح هل هذا هو ترتيب النبي، أم ترتيب الخلفاء بعده ؟ وإذا كان من الخلفاء فهل بوصيةٍ منهﷺ أم إجتهاد من الصحابة ؟

النزعة الروائية والحديثية للتفسير:

ثمة نقطة أثارها السيد الصدر ساعدت على شيوع التفسير التجزيئي وسيطرتهِ على الساحة قروناً عديدة مما أجل التفكير بجدية بالتفسير الموضوعي (هي النزعة الروائية والحديثية للتفسير إذ كان الحديث هو الأساس الوحيد تقريباً مضافاً إلى بعض المعلومات اللغوية والأدبية والتاريخية - من هنا لم يكن بإمكان التفسير أن يقف عند هذه الحدود وأن يتقدم خطوة أخرى وأن يحاول تركيب مدلولات القرآن والمقارنة بينها واستخراج النظرية من وراء هذه المدلولات) [(٢)].

---

(١) ن. م ص٩١-٩٤.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٢٤.

تأخر ظهور المعاجم المفهرسة للمفردات القرآنية:

إذ يصعب على المفسر آنذاك إستخراج التماثل بين كلمتين حتى يستقرأ القرآن كله من أوله إلى آخرهِ فكيف إذا أراد ثلاث مفردات، فعليه إذن أن يختم القرآن ثلاث مرات وهكذا.

يعد التفسير الموضوعي منهجاً جديداً متخصصاً:

وإن كل علم في بداية تكوينهِ يركز على المبادئ الإساسية ولا يخلو من نظرة كلية إجمالية ثم شيئاً فشيئاً تتفرع فروعه وتكثر تخصصاتهُ مع إمتداد الزمن وتطورهِ وإحتياج الناس له، وهذه مسألة وجدانية نلاحظها في كل العلوم كالطب والهندسة وغيرها، وهكذا ما لاحظهُ الخفاجي تبعاً للذهبي والفرماوي، حيث يعزو عدم إهتمام القدامى من المفسرين بهذا المنهج: (لا لقصورٍ فيهم بل لأن التفسير الموضوعي يتجه بمنهجهِ نحو التخصص والتضيق لدائرة البحث كلٌ على حساب تخصصهِ) [(١)]، وقال الفرماوي: (لأن مبدأ التخصص لم يكن قديماً متجهاً إليه، وإن حاجتهم لم تكن ماسة لدراسة موضوعات القرآن الكريم على هذا النحو. فهم حفاظ للقرآن الكريم ودرايتهم بالثقافة الإسلامية شاملة وعميقة ولهذا فلديهم القدرة على ربط ما تفيدهُ الآية المتعلقة بموضوع معين بما يوضحها من معلوماته الخاصة بالموضوع نفسه) [(٢)].

---

(١) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص٢٢.

(٢) عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي ص٤٥-٤٦.

سادساً – آراء العلماء في حداثة التفسير الموضوعي:

هناك ثلاثة إتجاهات عامة في هذا الموضوع:

١ – الإتجاه الأول:

أنه قديم ومعروف عند القدماء وله مؤلفاتهُ الخاصة، تبنى هذا الإتجاه محمد حسين الذهبي (ت)، وإن العلماء القدامى أفردوا لهذا الإتجاه مؤلفات خاصة به، وأورد أمثلة لذلك (فإبن القيم –مثلاً– (ت هـ) أفرد كتاباً من مؤلفاته عن أقسام القرآن سماهُ التبيان في أقسام القرآن، وأبو عبيدة () أفرد كتاباً في مفردات القرآن، وأبو جعفر النحاس أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ والواحدي () أفرد كتاباً في أسباب النزول، والجصاص () أفرد كتاباً في أحكام القرآن) [١].

ولهذا ذهب جملة من الباحثين منهم أحمد جمال العمري إذ أرجع جذورهُ إلى عصر النبي والصحابة [٢].

نعم هناك بعض البحوث القديمة تمثل اللبنات الأساسية الأولية للتفسير الموضوعي مثل (الأشباه والنظائر، تفسير القرآن بالقرآن، – كمنهجية ومصطلح لم يظهر قديماً. وأما ما أتى به من أمثال فهو من الخلط الذي وقع فيه أكثر الباحثين في هذا المجال، فلا دخل لأسباب النزول في التفسير الموضوعي، لأنه من التفسير بالأثر، وليس الناسخ والمنسوخ من التفسير الموضوعي، وأقسام القرآن هو أقرب لموضوع أساليب القرآن، وأما آيات الأحكام للجصاص فقد سار فيها على منهاج

---

(١) الذهبي، التفسير والمفسرون ١/ ١٤٩.

(٢) أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي، ص٥٥.

التفسير التسلسلي، والمفردات للراغب لا تعدو ترتيب القواميس اللغوية، وهذه كلها تبحث تحت علوم القرآن أو مفرداته وغريبه وإن كان يجمعها موضوع واحد ولكن قلنا ليس كل موضوع قرآني يدخل في التفسير الموضوعي، وخلاصة القول: بعض لبنات التفسير الموضوعي قديمة، أما أنه كله قديم حتى مصطلحهُ هذا ما يدفعهُ تاريخ التفسير.

٢- الإتجاه الثاني:

أنه جديد لم يعرفهُ القدماء يرى أصحاب هذا الرأي أن التفسير الموضوعي منهج جديد اكتشف في القرن الرابع عشر الهجري ورائه هذا الرأي أمين الخولي (ت:) [١]، ويميل الأستاذ الخولي إلى دراسة القرآن موضوعاً موضوعاً، لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سوراً أو قطعاً، وأن تجمع آياتهُ الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستفيضاً ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تجديدهِ) [٢].

ومن الذين أكدوا على حداثة التفسير الموضوعي ولكن بصورة أخرى مغايرة ما قدمهُ الباحث جواد علي كسار من رؤية حول تجربة الصدر التي وصفها بأنها رائدة ومغايرة لمفهوم التفسير الموضوعي عند المحدثين إذ قال: (عندما نتحدث عن التفسير الموضوعي فإنما نعني بذلك الرؤية التي بلورها السيد الصدر وعرض لها نماذج تطبيقية في المدرسة القرآنية (وهي الإنطلاق من الخارج والإنتهاء بالقرآن) والتفسير الموضوعي بهذا المعنى إتجاهٌ جديد لم يعرفه السابقون لا مصطلحاً ولا مفهوماً ولا

---

(١) أمين الخولي، مناهج التجدد في النحو والبلاغة والتفسير، ص٣٠٤.

(٢) أمين الخولي، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير ٥/ ٣٦٨.

تطبيقاً) [١]. إذ كان القصد من التفسير الموضوعي هي رؤية السيد الصدر فإن هذه الرؤية لم يتبناها غيرهُ، وقد أثبتنا أن هذه الرؤية تعتمد على خطوتين الأولى هي التفسير الموضوعي والثانية هي العرض الموضوعي. وهذه الرؤية منحصرة عند السيد الصدر ولم يتبناها أحدٌ لا قبله ولا بعده. وهذا المفهوم فعلاً جديداً أما ما تبناهُ الخولي ومن تبعهُ فهو المتعارف عند المارسين لهذا اللون من التفسير.

٣- الإتجاه الثالث:

ثمة رأيٌ جامع بين الرأيين تبناهُ الخضيري قائلاً: (لم يظهر هذا المصطلح عَلَماً على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري عندما قُررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده) [٢].

وذهب إلى هذا الرأي أيضاً محمد هادي معرفة: (المصطلح الحديث ظهر في العصر الأخير عندما قررت هذه المادة ضمن قسم التفسير بمعاهد الدراسات الإسلامية العليا.. غير أن لبنات هذا اللون من التفسير وعناصرِهِ الأولية كانت موجودة منذ عهد السلف وهكذا طول تاريخ التفسير) [٣]. وهذا ما أختارهُ الخفاجي في بحثه: (أن التفسير الموضوعي لم يكن معروفاً عند القدامى بمصطلحهِ العلمي المعروف اليوم، لكن لم تكن مؤلفاتهم خالية منهُ) [٤].

---

(١) جواد علي كسار، التفسير الموضوعي بين الصدر وآخرين ص٤١-٤٢.

(٢) محمد بن عبد العزيز الخضيري، مقدمة في التفسير الموضوعي ص٣.

(٣) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٣٥.

(٤) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص٢١.

وعند ملاحظتنا لمفردات التفسير الموضوعي نراها ضاربة بجذورها في القدم وهي أساسيات التفسير الموضوعي التي انبثقت من المفسر الأول وأصحابه إلا أنه لم يكن لهذا الإصطلاح عين ولا أثر إلا في العصر الحديث. وهذا ما نتبناهُ أيضاً. وهو يشمل أيضاً إصطلاح الصدر إذ إن إصطلاحهُ لا يعدو نقطتين الاولى التفسير الموضوعي وقلنا أن لبناته الأولية موجودة منذ القدم، والثانية العرض الموضوعي وهذا ما نطق به الرسولﷺ وأهل بيته لاسيما علي بن أبي طالبعليه السلام إذ قال: (اتهموا عليه آرائكم) يعني القرآن).

فالنتيجة أن التفسير الموضوعي جديد في إصطلاحه قديم في أدواته وهذا ما سوف نبرهن عليه في البحث القادم.

سابعاً – الفرق بين التفسير التسلسلي والتفسير الموضوعي:

هكذا ديدن العلوم كلما تقدم الزمن تتفرع وتتشعب وتتمايز وتتشخص حتى يبدو لكل علم سماتهُ الخاصة، وكل علم يتميز بموضوعهِ وغرضهِ، وإن كان كلا النوعين يتفقان على الغاية والغرض إلا أن الأسلوب والمنهج المتبع في كليهما أصبحت له سمات تميزه عن الآخر، ونحن سوف نسلط الضوء على بعض الفروقات المهمة وقد تناول هذا البحث معظم الذين اشتغلوا بهذا المجال، فمنهم مَن أفرط على حساب التفسير التسلسلي ومنهم قد اقتصر على موضوع.

١ – يلتزم المفسر بالتفسير التسلسلي بالترتيب التوقيفي للآيات والسور كما هو في المصحف، أما التفسير الموضوعي لا يلتزم بذلك الترتيب، بل يقتضي منهجه ترتيب آيات الموضوع المزمع دراستهُ، بعد تجميعها وانتزاعها من سورها [١].

(١) ظ: عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، ص٥٢.

٢- في التفسير التسلسلي وبمناهجه المختلفة يصعب على الناظر فيه أن يجد أبحاثاً مستقلة للموضوعات، وفي التفسير الموضوعي يمكن أن تنظم الموضوعات القرآنية على هيئة أبحاث مستقلة ينفرد بعضها عن بعض بالبحث والدراسة [١].

٣- من خلال نظرة السيد الصدر الخاصة في التفسير الموضوعي نسجل هذه الملاحظات أيضاً.

السلبية في الإتجاه التجزيئي والإيجابية في الإتجاه الموضوعي من جهة دور المفسر، إذ يكون دور المفسر فيه دوراً سلبياً: يستمع ويسجل، بينما التفسير الموضوعي دائماً وفي كل مرحلة يحمل التجربة البشرية بكل أبعادها ثم يضعها بين يدي القرآن، فالتفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن، ولا يبدأ من القرآن وينتهي إلى القرآن، فتكون العملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث البشرية [٢].

هناك ملاحظات حول هذه النقطة ؛ نركز القول على أن ما اصطلح عليه السيد الصدر من التفسير الموضوعي مختلف عن ما تبناهُ الأكثرية وقلنا بالدقة أن مفهوم المصطلح عنده أقرب إلى العرض الموضوعي.

من ناحية أخرى: لا نصادر أهمية الدور الذي قام به المفسرون في عصر النهضة. وإن كان تفسيرهم سلساً – إلا أنهم أيضاً حاولوا أن يرصدوا الواقع من خلال القرآن.

٤- من النقاط المهمة التي أثارها الصدر قولهُ: (القرآن الكريم عطاؤهُ لا ينفد، بينما التفسير اللغوي ينفد، لأن اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدد في المدلول اللغوي فلا معنى لتحكيمه على القرآن، بينما التفسير التسلسلي كثيراً ما يعتمد على

---

(١) ظ: زاهر عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص١٨.
(٢) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٣٠.

قواميس اللغة) [١]. وهذه النقطة من أهم الأسس للتفسير الموضوعي حيث تبين أن القرآن الكريم قادر على أن يفسر نفسهُ وهذا يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن تلك المقولة التي طرحها صاحب الرسالة وأتباعه منذ زمن مبكر إلا أنها لم تستثمر بل جعل القرآن مرهوناً لقواميس اللغة التي جمعت من عرب البادية وهي بالأحرى نهجاتهم وأساليب كلامهم، ولا ندري مدى دقة اللغوي الذي جمع هذا الشتات حتى أثار الأصوليون مسألةً تناقش مدى حجية قول اللغوي [٢].

وبالتالي كان القرآن مرهون لقواميس اللغة، بينما كان الفراق ولا زال تبياناً لكل شيء، والقرآن شيءٌ من الأشياء فبالأحرى أن يُبين نفسهُ (يُفسر نفسه) وتحت هذا العنوان نستطيع أن نرصد مسألتين من مسائل التراث التفسيري نستطيع أن نرصد مسألتين من مسائل التراث التفسيري مسألة: تصريف الكلمة إلى وجوه، ومسألة ما جمع تحت الأشباه والنظائر وسوف نفصل القول فيهما لاحقاً.

٥- في التفسير الموضوعي والذي هو دراسة تسلط الضوء على نقطة جوهرية هي محل البحث من خلال كل القرآن نستطيع أن نخرج بنظرية قرآنية شاملة وكاملة وبكل فروع الموضوع، بينما في التفسير التسلسلي حيث الآيات منتشرة على طول القرآن لا نستطيع أن نخرج برؤية واضحة ومحددة عن أي موضوع.

٦- في التفسير التسلسلي: بمختلف مناهجه الأدبية واللغوية والعلمية هو محاولة لإكتشاف خبايا النص لمعرفة مدلولاتهِ وفهم معانيه، بينما التفسير الموضوعي يذهب إلى أنه عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليس مجرد إستجابة إنفعالية، بل

(١) السيد محمد باقر الحكيم، المدرسة القرآنية، ص٢٨-٣١، محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٣٩.

(٢) الشيخ مرتضى الأنصاري، الرسائل، ١/ ١٧٥.

إستجابة فعالة، وتوظيف هادف للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى[١]. ومصطلح (الإستنطاق) مصطلح تراثي برز على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعرفهُ واستثمرهُ في إستنباطاتهِ القرآنية وقد أشار إلى هذا المعنى في مناسبات عدة منها قوله: (ذلك القرآن فاستنطقوهُ، ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم بينكم)[٢].

(١) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ص٣٣، محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٣٩.

(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٥٨.

ثامناً- أنواع التفسير الموضوعي:

للتفسير الموضوعي طرائق ومسالك نوردها كالآتي:

الطريقة الأولى:

أن يختار الباحث مفردة من مفردات القرآن الكريم مثل (الشفاعة، الجهاد، الأمة..) ثم يتتبع هذه المفردة في القرآن ليعرف مدلولاتها أولاً أي وجوهها (كل كلمة في القرآن تتصرف على وجوه) ثم نلحظ جهاتها (كل كلمة في القرآن تتصرف على وجوه) ثم نلحظ جهاتها وحيثياتها وتبويباتها.

فلو أخذنا الشفاعة في القرآن نجد أن القرآن يرسم موضوعاً متكاملاً لها من حيث المعنى والشروط والأقسام والأسباب ومن حيث الشافع والمشفوع فيه وهكذا إلى أن يستنفذ الموضوع أبعادهُ. ونستطيع أن نستخلص مثلاً نظرية المعرفة، أو نظرية الملكية أو نظرية الإستخلاف أو الدولة، المرآة الخ).

الطريقة الثانية:

إقتراح الموضوع (كالعولمة) مثلاً بغض النظر عن الأطروحة الخارجية البشرية. خصوصاً في المصطلحات الحديثة وهو نوع من الإستشارة القرآنية. حيث نقوم باستخراج الآيات التي تناولت هذا الموضوع من قريب وبعيد (عرضاً، وتحليلاً، أو مناقشة أو تعليقاً.

ثم يحاول الباحث إستنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات التي بين يديه. ثم ينسق بين تلك العناصر بحيث يقسمها إلى فصول وأبواب ...) [1].

(١) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون ٢/ ١٠٣٨.

الطريقة الثالثة: الإستقراء القصصي:

إعتماداً على قول رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام (فيه خبر ما قبلكم) القصة القرآنية موزعة المقاطع ولهذا نمارس عليها قاعدة من قواعد الإمام علي عليه السلام وهي (الوصل والفصل) حيث بفضل هذه القاعدة نجمع مشاهد القصة كاملاً. كما في قصة يوسف عليه السلام. حيث نرتبها حسب الترتيب الزمني والمنطقي لتأخذ القصة بالحبكة ثم إلى العقدة ثم إلى النهاية.

الطريقة الرابعة: القراءة المستقبلية :

إعتماداً على قول رسول الله ﷺ (فيه خبر ما بعدكم) حيث نعمد في هذا النوع إلى إستقراء السنن المتحكمة في الكون ليستشرف الباحث المستقبل، وهو بذلك يستثمر القصص القرآني والأمثال القرآنية للمستقبل وهنا يظهر السر الأعظم في قاعدة الجري في القرآن (إن القرآن يجري كما تجري الشمس والقمر والليل والنهار) فإن الآية إذا نزلت في قوم ومات القوم إذن مات القرآن لكنهُ يجري على آخرنا كما جرى على أولنا.

مثلاً: هناك من الباحثين من طبق السنن التاريخية للسيد الصدر على الإنهيار العكسي، وهناك من يبحث في عاقبة دويلة إسرائيل.. الخ.

الطريقة الخامسة: (فيه حكم ما بينكم)

إستنباط الحكم والفتوى من القرآن، وهي محاولة جادة لدراسة آيات الأحكام وفق المنهج الموضوعي ومحاولة ربط الآيات مع بعضها.

الطريقة السادسة: إعتماد الوجه الواحد:

وردت روايات عن أهل البيت عليهم السلام: أن القرآن ثلاثة أثلاث ثلث فينا وفي اعداءنا...) وهي محاولة لإظهار وجه واحد في القرآن أي موضوع واحد من خلال إحتواء مفردات رمزية فسرها أهل البيت عليهم السلام فيهم ومفردات معاكسة فسرها أهل البيت في أعدائهم. ففسروا الطيب ومشتقاته بهم عليهم السلام والخبث ومشتقاته في أعدائهم. ولهذا عدهُ، السبحاني نوع من أنواع التفسير الموضوعي [1].

الطريقة السابعة: التفسير الموضوعي للسورة الواحدة.

يقوم الباحث بتحديد الهدف الأساس للسورة أو الهدف الذيي يختاره الباحث ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذا الموضوع في السورة الواحدة. ثم يدرس علاقة كل مقطع بهذا الهدف بدءاً بمقدمة السورة وإنتهاءاً بخاتمتها.

هذه بعض الطرق التي تصورتها ولا يزال في البحث مساحة واسعة للإستزادة. وأما تفاصيل هذه الأنواع ففي الأبحاث اللاحقة.

تاسعاً - موارد التفسير الموضوعي:

لقد سلطنا الضوء بشكل غير مباشر حول موارد التفسير الموضوعي وذلك في المبحث التاريخي ونحن نحاول رصد جذور التفسير الموضوعي وقد أثبتنا هناك تلك الموارد وهي:

---

(١) جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن / ١٠.

١- تفسير القرآن بالقرآن:

وهو الدعامة الأولى في هذا المجال وقد أسس له النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والصحابة والتابعون من خلال (القرآن يفسر بعضه بعضاً وينطق بعضه ببعض) نطقاً إيحائياً رائعاً وقد شوهدت بعض نماذجه من خلال (تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتفصيل المجمل، وتبيين المبهم) ويعد هذا المورد من أحسن طرق التفسير عند العلماء قديماً وحديثاً [(١)] وهذا ما أكدهُ الخفاجي والفرماوي والكلام للأخير: (والحق إن التغيير القرآني للقرآن هو من التغيير الموضوعي، ويعد من البدايات القديمة لهذا المنهج) [(٢)].

٢- إتباع الأشباه والنظائر: [(٣)]

عقد لهذا العلم الجليل في كتب علوم القرآن فصولاً، وكتب فيه الأوائل أمثال ابن عباس ومقاتل بن سليمان وغيرهم وهو علم مهم يتابع اللفظة الواحدة في القرآن ويستنبط معانيها السياقية مما يجعل الموضوع متنوعاً ومتجدداً إضافة على قدرته تعدد الوجوه (البطون) القرآنية وقد رصدنا ذلك خلال المبحث التاريخي للتفسير الموضوعي فوجدناهُ عند الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والصحابة ومتأصلاً عند التابعين. ويمكن إستثمارهُ في التفسير الموضوعي.

---

(١) ظ: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ٩٣، الزركشي، البرهان ٢/ ١٧٥ السيوطي، الإتقان ٢/ ١٧٥، الزرقاني، مناهل العرفان ٢/ ١٣، الذهبي، التفسير والمفسرون ١/ ٢٧٣، محسن عبد الحميد، دراسات في أصول التفسير / ٩٥، ٩٧، ١٣٧.

(٢) ظ: الفرماوي: عبد الحي، البداية في التفسير الموضوعي، ٤٣، حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن / ٥٧ وما بعدها.

(٣) راجع مجلة (الحياة الطيبة) السنة الثالثة العدد الثامن ص٢٧٩، آفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير / السيد إبراهيم سجادي.

٣- المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ:

لابد من وجود رابط موضوعي بين الآية المتشابهة والآية المحكمة لها كذلك يوجد رابطاً موضوعي بين الأدلة المنسوخة والآية الناسخة لها من هنا فتدخل هذه المصطلحات القرآنية الأصيلة في التفسير الموضوعي كأدوات آلية وسوف نفصل القول في هذه المصطلحات لاحقاً.

٤- السنة النبوية الشريفة:

أدعى بعض الباحثين أن من موارد التفسير الموضوعي السنة الشريفة [1] وفي ظني أن الكلام على إطلاقهِ ممنوع لجهتين:

الأولى: إذا جعلنا السنة هي المفسرة بشكل مباشر تداخل هنا المنهج الأثري – بما له وعليه – مع المنهج الموضوعي. وصار لزاماً على المفسر أن يسرد جميع الروايات وأسباب النزول الخاصة في هذه الآية أو المفردة. والحال على من يتبع المنهج الموضوعي أن يختار من الروايات بعد سلامتها ما يوافق موضوعهُ حيث أنا نلحظ في التفسير الأثري عدة روايات تفسر هذه الآية لكنها متعارضة ظاهراً لأن الرسول والأئمة والصحابة أحياناً يفسرون ظاهرها وأحياناً يفسرون بطونها.

الثانية: إذا إتكلنا على السنة النبوية بشكل مباشر لم يكن للمفسر الذي يفسر القرآن على المنهج الموضوعي أي جهد يذكر إلا في حالة واحدة وهي أن يتخذ من السنة النبوية معضدات وشواهد تدعم إستنباطهُ القرآني، أو يقوم بتحليل النص النبوي إذا كان ينتمي إلى منهج تفسيرا لقرآن بالقرآن. لأن السنة النبوية وتفسير الأئمة

---

(١) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي ص٦٣.

والصحابة بعضهُ الكثير من قبيل (تفسير القرآن بالقرآن) تخصيص أو تقييد مطلق أو تفصيل مجمل أو تبيين مبهم) فإذا كان كذلك عليه أن يحلل هذه الرواية وفق المنهج الموضوعي: مثالهُ عندما فسر الرسول ﷺ الظلم بالشرك:

روى البخاري [١] عن عمر بن حفص عن غياث بسندهِ عن ابن مسعود قال: (لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [٢] قلنا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه ؟ قال: ليس كما تقولون: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لإبنه: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٣] وهو كما ترى تفسير القرآن بالقرآن وهو تبيين مبهم.

ونلخص ما يستفيدهُ المفسر في ضوء المنهج الموضوعي من السنة النبوية بما يلي:

يختار من الروايات – بعد سلامتها – ما يوافق موضوعهُ.

يحاول تحليل النصوص النبوية لأن معظمها تفسير القرآن بالقرآن ويبذل جهدهُ في سبيل إستخراج الآية المفسرة للآية الأولى لأن النبي ﷺ في أكثر الأحيان لا يذكر الآية الأخرى المفسرة كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ قال ﷺ: هم اليهودُ والنصارى وقد حللنا هذه الرواية فوجدناها من تفسير القرآن بالقرآن.

أن يُتخذ السُنة النبوية معضدات وشواهد تأييدية تدعم إستنباط المفسر وفق المنهج الموضوعي وإلا صار منهجاً أثرياً.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ٧/ ٣٥.
(٢) الأنعام / ٨٣.
(٣) لقمان / ١٣.

٥- الأئمة والصحابة والتابعون:

أما أئمة الشيعة فهم المعصومون المطهرون حسب عقيدة الشيعة وهم عليهم السلام على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما الصحابة والتابعون فهم متبعون لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله صدرت منهم إجتهادات وإستنباطات، فإما الإستنباطات فإن كانت على أسس منهجية كما أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيؤخذ بها وإما إذا كانت إجتهادات فترد عليهم. وموضوعنا هو هل يدخل قول الأئمة والصحابة والتابعين في التفسير الموضوعي ؟

الجواب هو الجواب كما قلنا في سنة الرسول صلى الله عليه وآله.

٦- اللغة:

أدعى إن من موارد التفسير الموضوعي اللغة [١] وقالوا أن المفسر لا يستغني عن اللغة وهو قول عام لا غبار عليه. ولكن سوف نثبت أن التفاعل بين مكونات النص (القرآن يفسر بعضه بعضاً) يعطي تفسيراً دلالياً رائعاً حيث يقوم القرآن بتوليد معجم قرآني مستقل نستغني به عن المعاجم اللغوية، مستفيدين من علم (الأشباه والنظائر) في إستنباط الدلالات القرآنية.

(١) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي للقرآن، ص٧٦.

عاشراً – هل التفسير الموضوعي تفسير بالرأي:

روايات (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدهُ من النار) [١] ونظائرها مشهورة عند المسلمين كافة. وهي رادعٌ حقيقي لأهل التقوى عن القول بالرأي – وهو خلاف مراد الله تعالى – حتى ليغدو ديناً يدان به المسلمون فيتولون ويتبرون على أساسه، ومن ها هنا نشأت المذاهب وحُرفت المعاني وتُقُولَ على الله تعالى، إذ جعلوا من الألفاظ القرآنية قوالب فارغة يملؤونها بما يشتهون من معاني حسب مشاربهم وأهوائهم بدون منهج أصيل لإستنباط العلم من القرآن. ومن جانب آخر تمسك بعض المفسرين بالمنهج الأثري لئلا يقع في التفسير بالرأي إلا أن أكثرهم سرد الأحاديث سرداً ولم يحاول الجمع بينها أو معرفة أسبابها فما بين هذا الألفاظ والتفريط هل التفسير الموضوعي تفسيرٌ بالرأي ؟

والجواب على هذا السؤال يلحظ من خلال البحث التاريخي للتفسير الموضوعي ونحن نحاول متابعة جذورهُ في عصر النشأة والتأسيس والتصنيف فنجد أن موارد التفسير الموضوعي لا تخرج عن المناهج والأصول الشرعية للتفسير من (تفسير القرآن بالقرآن، وإتباع الأشباه والنظائر والإستشهاد بالسنة النبوية وأقوال الأئمة والصحابة والتابعين).

فنخلص إلى أن التفسير الموضوعي تفسير شرعي وليس تفسيراً بالرأي.إذا ما ألتزم بالأصول والمناهج.

---

(١) راجع مقدمة تفسير الطبري.

الحادي عشر – سلبيات التفسير الموضوعي:

ذكر البعض[١] سلبيات للتفسير الموضوعي سوف نعرضها ونناقش معطياتها، قال: يعتبر التقطيع وهو فصل الآيات عن القرائن الموجودة ضمن السياق وأغفالها من السلبيات لهذا التفسير.

١- ولحل هذه المشكلة يرى الباحث مراجعة التفسير الترتيبي أولاً وملاحظة القرائن العقلية والنقلية والسياقية ثم نقوم بالتفسير الموضوعي في الخطوة الثانية.

ومن جهة أخرى فان أقتطاع الآية من سياقها الترتيبي لا يجعلها معلقة بل أنها ترتبط بسياقٍ أخر مشابه له من حيث الموضوع ليعطي دلالة أخرى إضافة إلى دلالة التفسير الترتيبي. اعتماد المفسر على ضم الآيات المتشابهة للخروج بنتيجة نهائية دون وجود أي سابقة تفسيرية.

٢- ويرد: بأن هذا تصور ساذج، إذ لا ينبغي لكل من هب ودب تفسير القرآن بل لا بد من وجود علماء متخصصين عارفين بأدوات التفسير بالإضافة إلى قدرتهم على إرجاع المتشابهات إلى محكماتها.

٣- أنتخاب المفسر نظره ورأيه من خارج القرآن ليكون تفسيراً بالرأي.

٤- ويرد: أن المنهجية التي رسمناها للتفسير الموضوعي تعتمد على مناهج شرعية كتفسير القرآن بالقرآن وغيرها مما يمنع التفسير بالرأي، بل أن القرآن ينقط إيحائياً بمعنى الآية إذا ما تمسك المفسر بالمنهج المقترح الأعتماد على الألفاظ الموجودة في المعجم المفهرس للقرآن والغفلة عن المفاهيم الأخرى.

---

(١) محمد علي رضائي الصفهاني، دروس في المناهج والأتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب قاسم البيضاني، ص٣١٦ ط١ منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية،١٤٢٦ هـ.

٥- ويرد: إن منهج الاستقراء التام في القرآن يحتم علينا متابعة الموضوع مع مرادفاته و اضداده كما سيأتي في الفصل الثاني

قالوا بعدم الدقة في جمع الآيات.

٦- ويرد ولكن المعاجم المفهرسة ضابطة لألفاظ القرآن، إضافة إلى تطور وسائل العلم كالكمبيوتر.

الإحتياج إلى الصبر لأتساع المعلومات وتحمل دراستها ومعالجتها.

٧- وهذا هو شأن طلاب الحقيقية.




الفَصۡلُ ٱلثَّانِي

الأشباه والنظائر (تنظيراً وتطبيقاً)




المبحث الأول

التنظير العلمي للأشباه النظائر

❋ أهمية هذا العلم.

❋ الوجوه والنظائر (لغةً)، (اصطلاحاً).

❋ موضوع هذا العلم.

❋ الأشباه والنظائر والاشتراك اللغوي.

❋ عوامل نشأة المشترك اللفظي.

❋ فائدة المشترك اللفظي.

❋ تفسير ظاهرة الاشتراك بين اللغويين والأصوليين.

❋ استثمار المشترك في الشعر العربي.

❋ ظاهرة الترادف والتضاد.

❋ الترادف في القرآن الكريم.

❋ التضاد في اللغة والقرآن.

❋ اللهجات العربية تولد الاشتراك.

المبحث الثاني

سلطة السياق و استقراء التماثل.

المطلب الأول: سلطة السياق:

❋ السياق (لغةً)، (اصطلاحاً).

❋ عمل (فوائد) السياق.

❋ الأدلة على عمل السياق.

❋ أهمية السياق في إنتاج المعاني المعجمية.

❋ السياق وأثره في علوم البلاغة.

❋ السياق وأثره في علوم النحو.

❋ البرهنة على السياق.

❋ أنواع السياق.

❋ الترجمة.

المطلب الثاني: (استقراء التماثل):

❋ مقدمة في المناهج الفكرية لدى المسلمين.

❋ الفارق بين المنطق الأرسطي ومنطق الاستقراء.

❋ الإستقراء (لغةً) و(اصطلاحاً).

❋ أنواع التماثل.

❋ استقراء التماثل.

❋ التماثل.

❋ تطبيق منهج الاستقراء في القرآن.

❋ منهج الاستقراء التمثيلي.

المبحث الثالث

(المنهج التحليلي للأشباه والنظائر)

المطلب الأول: المنهج التحليلي للأشباه والنظائر (تنظيراً):

❋ مقدمة في المنهج التحليلي للنص.

❋ القواعد الممهدة لتحليل النص.

❋ الاستعمال القرآني حجة.

❋ نجوم القرآن.

❋ اكتشاف العلاقة بين الدال والمدلول.

❋ الترجمة.

المطلب الثاني: المنهج التحليلي للأشباه والنظائر (تطبيقاً):

❋ كتاب (الأشباه والنظائر) لمقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ).

❋ وجوه الهدى واستدراكاتها.

❋ كتاب (الوجوه والنظائر) لهارون بن موسى (١٧٠ هـ).

❋ وجوه البر واستدراكاتها.

❋ كتاب (الوجوه) لأسماعيل الحيري (٤٣١ هـ).

❋ وجوه الطيب واستدراكاتها.

❋ الوجوه والنظائر عند أهل البيت (عليهم السلام) (من البعثة – ٢٥٥ هـ).

❋ وجوه الفتنة واستدراكاتها.

المبحث الأول

التنظير العلمي للأشباه والنظائر:

أهمية هذا الصنف من البحث:

يعد البحث (الوجوه) في الدراسات القرآنية، فرعاً من علم التفسير، والتعرف عليه ضرورة للمفسر والفقيه والمحدث واللغوي في عملية الاستنباط لذا نجد ان هؤلاء قد ألفوا في هذا العلم كلٌ في مجاله فمن المفسرين قد تقدم في المبحث التاريخي إن الإمام علي عليه السلام رائد هذا العلم وعنه أخذ ابن عباس فكان له إسهاماته كذلك وممن صنف فيه مقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ) وهارون بن موسى (١٧٠ هـ) وإسماعيل الحيري (٤٣١ هـ) وابن الجوزي (٥٩٧ هـ) وابن الدامغاني (٤٨٧ هـ) وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري (٨٨٧ هـ) وابن فارس (٣٩٥ هـ) وآخرون[1].

وقد استفاد منه المفسرون في تتبع سياقات المفردة في القرآن لمعرفة دلالتها (معناها).

وألف فيه الفقهاء وغرضهم جمع شتات الموضوع الفقهي الواحد وكل ما يتصل به من مسائل وقد ألف فيه فقهاء الشافعية كابن الوكيل الشافعي (٧١٦ هـ) والأسنوي

---

(١) راجع مقدمة (وجوه القرآن) إسماعيل الحيري ت (٣٦١ هـ - ٤٣١ هـ) تحقيق / د. نجف عرشي، ط/ ١ ١٤٢٢ هـ مشهد ص٣٥ - ٣٩.

الشافعي (٧٧٢ هـ) وغيرهم.[١]، ومن علماء الشيعة يحيى بن سعيد الحلي (٦٩٠ هـ) في كتابه (نزهة الناظر في الأشباه والنظائر) حيث يقول محقق الكتاب ويقصد من الأشباه والنظائر: (المسائل المختلفة المتشتتة الموزعة بين أبواب مختلفة من الفقه يكون بينها شبه ما ويجمعها ذلك الشبه)[٢] وتابعه على ذلك السيد محسن الأعرجي (١٢٢٧ هـ) في منظومته الفقهية.

ونجد هذا المصطلح في اللغة أيضاً كما في كتاب (الأشباه والنظائر) للسيوطي (٩١١ هـ) في النحو حيث يذكر القواعد الكلية ثم يعد المسائل المختلفة التي تستفاد من تلك القاعدة مسألة مسألة.

إذن كل من المفسرين والفقهاء، واللغويين جمعوا الأشباه والنظائر في مكان واحد بغية دراستها والنظر إليها في مكان واحد للخروج بنتيجة كلية.

الوجوه والنظائر: (لغةً واصطلاحاً)

الوجوه (لغة): جمع وجه والوجه في اللغة له عدة استعمالات منها:

وجه الإنسان، مستقبِل كل شيء، نفس الشيء، الجهة.

النظائر (لغةً): جمع نظير وهي المثل والشبيه، وكثيراً ما تأتي هاتان المفردتان معاً (الأشباه والنظائر) وهما متماثلتان في اللفظ متجانستان في المعنى.

الوجوه والنظائر (اصطلاحاً): اختلف المراد بهما:

---

(١) راجع كشف الظنون (الحاجي خليفة) ص١٠٠.

(٢) الحلي، يحيى بن سعيد، الأشباه والنظائر، المقدمة ص٦.

فالذي ذهب إليه ابن الجوزي في كتابه (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) إن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، وذهب الزركشي في البرهان وتبعه السيوطي في الإتقان: أن الوجوه: للفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة وضَعَّفَ رأي ابن الجوزي[١]. ويقصد بـ(الألفاظ المتواطئة) بالمعنى وهو الترادف.

ولكن الحق مع ابن الجوزي تمشياً مع المعنى اللغوي فالنظائر: هي الأشباه والأمثال (في تعدد الاستعمالات في اللفظة الواحدة) والوجوه هي المعاني المختلفة التي جيئت بها هذه المفردة حسب سياقاتها.[٢]

موضوع البحث:

محاولة اكتشاف ما للفظة الواحدة في القرآن من معانٍ مختلفة بحسب موارد الاستعمال سواء أكان المعنى حقيقياً أم مجازياً[٣]، فربما تكثر وجوه المعاني في اللفظة الواحدة كثرة لافتة حتى تربوا على عشرين وجهاً.

قال ابن الجوزي: (اعلم إن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواقع من القرآن على لفظ واحد وحركةٍ واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر)[٤] وعُد هذا العلم من وجوه الإعجاز القرآني[٥] .

---

(١) السيوطي، الإتقان: ٢ / ١٠٣.

(٢) مقدمة كتاب وجوه القرآن لإسماعيل الحيري، تحقيق / د. نجف عرشي.

(٣) ن. م

(٤) ابن الجوزي نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ١ / ٢.

(٥) السيوطي، الإتقان: ٢ / ١٠٣.

سند هذا العلم:

إن الفاتح لهذا الباب من الفهم لألفاظ القرآن ومعانيه هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حين علَّم الناس في أكثر من موقف أن القرآن (ذو وجوه) أو (حمال ذو وجوه) أي أن التعبير الواحد فيه يحمل وجوهاً من المعاني متنوعة. ومصطلح (الوجوه) ورد في النصوص الإسلامية:

ذكر السيوطي في الإتقان أن مقاتلاً في صدر كتابه ذكر حديثاً مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة))[١].

وقال السيوطي: أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً، ولفظه: (لا يفقه الرجل كل الفقه...).

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق حماد بن يزيد عن أيوب عن أبي قلاية عن أبي الدرداء قال: (إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً)، وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال: (اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن، فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة)[٢]، ويبدو أن من علامات الفقيه عند الإمام علي عليه السلام معرفته للوجوه، حيث يذكر عبد الرحمن السلمي قائلاً:

(إن علياً عليه السلام مرَّ على قاضٍ فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال: لا، فقال:

---

(١) مقدمة الأشباه والنظائر، لمقاتل بن سليمان / تحقيق د. محمود عبد الله شحاته ص٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٤ هـ.

(٢) السيوطي، الإتقان: ٢ / ١٠٣.

هلكت وأهلكت، تأويل كل حرفٍ في القرآن على وجوه)[١]، وفي نفس المدرسة يرد هذا الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام: حيث قال له حماد بن عثمان: إن الأحاديث تختلف عنكم قال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال: (هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب)[٢].[٣]

ويفسر السيد مير محمدي زرندي (سبعة أحرف أي سبعة وجوه من المعاني)[٤]. مما يدلل على أن الأفقه هو الذي يستنبط معاني (وجوه) كثيرة للقرآن وهذا يتطلب منه استيعاب الأشباه والنظائر في القرآن، كمقدمة لاكتشاف هذه الوجوه.

النظائر (الأشباه) والاشتراك اللغوي:

مصطلح الأشباه والنظائر أول ما عرف في البحوث القرآنية، كما أن مصطلح الاشتراك اللغوي أو ما عرف في البحوث اللغوية وثمة مقاربة بين المصطلحين كبيرة تصل إلى حد الانطباق وذلك من خلال تعريف كل منهما، فإن تعريف الأشباه والنظائر كما ذهب إليه ابن الجوزي: (هو أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظٍ واحدٍ وحركةٍ واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر).

والاشتراك كما عرفه اللغويون والأصوليون: (اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٣ / ٢٠٢.

(٢) سورة ص / ٣٩.

(٣) الصدوق، الخصال ٢ / ٣٥٨ ج٤٢، تفسير العياشي ١ / ١٢ ج١١، تفسير الحويزي، نور الثقلين ٤ / ٤٦٢، الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ١ / ٦٠، المجلسي، بحار الأنوار ٨٢/ ٦٦، الميرزا حسين النوري / مستدرك الوسائل ١٧ / ٣٠٥.

(٤) السيد محمد زرندي / بحوث في تاريخ القرآن ص٢٩.

دلالة على السواء عند اهل تلك اللغة)[١]لكن الإمام علي عليه السلام عرفه بأوجز عبارة وأجزلها قائلاً (متفق اللفظ مختلف المعنى)[٢] ولعل صبحي الصالح اقتبس هذا التعريف وانتجه بعبارة أخرى قائلاً (المشترك: هو ما اتحدت صورته، واختلف معناه)[٣].

وقد أكد اللغويون والأصوليون على وقوعه[٤] كما أكده الخراساني: (والحق وقوع الاشتراك، للنقل، والتبادر، وعدم صحة السلب بالنسبة إلى معنيين فأكثر)[٥]. وهو كما نرى تطابق تعريف علماء القرآن من جهة وعلماء اللغة والأصول من جهة أخرى.

ولكن وقع النزاع عند الأصوليين في هذه المسألة كما صورها المظفر:

(إنما وقع البحث والخلاف في جواز إرادة أكثر من معنى واحد من المشترك في استعمال واحدٍ، على أن يكون كل من المعاني مراداً من اللفظ على حدة، وكأن اللفظ قد جعل للدلالة عليه وحده، ثم قال والحق عدم جواز مثل هذا الاستعمال...)[٦]. وتطابقت آراء معظم الأصوليين على ذلك، والسبب هو المنع العقلي، والخروج العرفي عن طريقة أهل اللسان، ويكمن السر في تمييز المعنى المراد بواسطة القرينة السياقية التي جاءت بها اللفظة.[٧]

وهذا ما يستخدمه القرآن الكريم فإنه وإن تكرر استخدام اللفظة الواحدة إلا إن

---

(١) صبحي الصالح، فقه اللغة ص٣٠٢، دار العلم للملايين ط١، ١٩٦٠.
(٢) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة ص٥٠.
(٣) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص٣٠٢.
(٤) المظفر، أصول الفقه ١/ ٣٢، الكافي في أصول الفقه / محمد سعيد الحكيم: ١ / ٨١.
(٥) الآخوند، محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول ص٥١.
(٦) محمد رضا المظفر، أصول افقه: ١ / ٣٢ ص٨٤.
(٧) راجع الكافي في أصول الفقه / محمد سعيد الحكيم، كفاية الأصول، الآخوند ص٥٣.

معناها يختلف حسب سياقات الجملة التي جاءت بها فلا تقع في المحذور الذي ناقش فيه الأصوليون (إرادة أكثر من معنى واحد من المشترك في استعمال واحد) إنما في استعمالات (سياقات) مختلفة حسب القرينة الصارفة عن هذا المعنى أو ذاك.

اللهجات العربية تولد الاشتراك اللفظي:

ظاهرة الاشتراك اللغوي عامل من عوامل اتساع اللغات بشكل عام واللغة العربية بشكل خاص، إذ أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها وأساليب اشتقاقها وتنوع لهجاتها، ولعل من أبرز عوامل هذا الاتساع (هو تدوين اللغة في المعاجم المشهور منها والمهجور)[١]، ويمكن استثمار اللغات المهجورة بواسطة الاستعمال.

واتفق اللغويون والأصوليون على عوامل نشوء المشترك اللفظي، والترادف حيث قال المظفر ((فإنه يجوز أن يكون من واضع واحدة ؛ بأن يضع شخصٌ واحدة لفظين لمعنى واحد، أو لفظاً لمعنيين، ويجوز أن يكون من وضع واضعين متعددين، فتضع قبيلة – مثلاً – لفظاً لمعنى، وقبيلة أخرى لفظاً آخر لذلك المعنى، أو تضع قبيلة لفظاً لمعنى وقبيلة أخرى ذلك اللفظ لمعنى آخر، وعند الجمع بين هذه اللغات باعتبارها لغة عربية صحيحة يحصل الترادف والاشتراك)[٢]

إن تفسير أسباب نشوء المشترك اللفظي يفسح لنا المجال في استثمار وجوه (معاني) اللفظة استناداً إلى خلفيات اللهجات العربية وهل تؤخذ هذه المعاني بنظر الاعتبار ؟

---

(١) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص٢٩٢.

(٢) محمد رضا المظفر، أصول الفقه: ١ / ٣٢، صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص٢٩٩.

نعم إذا انتشر المعنى وكثر استعماله، اندمج في اللغة الأم فيزداد رصيد هذه اللغة من المعاني.

وعند السؤال عن مدى شرعيتها (هذه المعاني الناتجة من اللهجات) ؟ نجد أن في التراث الإسلامي من يذهب إلى تفسير حديث الأحرف السبعة إلى إنها لغات (لهجات) سبعة، والسبعة والسبعين في اللغة للكثرة [١] لأن لهجات العرب كثيرة. وقد حصر بعض الباحثين اختلاف اللهجات إلى عشرة ظواهر لغوية[٢] واستثمرها المفسرون حتى عدت من الظواهر التفسيرية عندهم[٣]، وما يخصنا من هذه الظواهر هي (اختلاف المعاني) وإليك بعض الأمثلة كما أوردهما السيوطي في الإتقان:

١-أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة عن ابن عباس قوله تعالى (وأنتم سامدون) [٤] قال الغناء وهي يمانية، وسامدون أي لاهون غافلون في بعض التفاسير.

٢-أخرج ابن عباس (أتدعون بعلاً)[٥] قال: البعل بلغة أهل اليمن الرب والسيد، وذهب عطاء أن البعل المراد به هنا صنماً لهم من ذهب كانوا يعبدونه [٦].

٣-قال تعالى (السائحون) بلغة كنانة الصائمون وفي التفاسير السائح في الأرض لطلب العلم والرزق.

---

(١) السيوطي، الإتقان: ١ / ١٢٦، القول الثاني في معنى حديث الأحرف السبعة.
(٢) السيوطي، الإتقان: ٢ / ٧٨ – ٩٠.
(٣) د. ناصر كاظم السراجي، الطبرسي ومنهجه في التفسير اللغوي، دار المرتضى، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
(٤) النجم / ٦١.
(٥) الصافات / ١٢٥.
(٦) الطبرسي، مجمع البيان: ٨ / ٤٥٧.

استثمار المشترك في الشعر العربي:

لعب الاشتراك اللفظي دوراً مهماً في اتساع اللغة كما نص عليه فقهاء اللغة، كما إنه استثمر استثماراً جيداً وبديعاً في موضوع التورية والتجنيس[١] عند المشغوفين بالمحسنات اللفظية. فمن السهل أن يكرر الشاعر أو الناثر لفظة واحدة في سياقات متعددة ويريد في كل سياق معنى معين وهذا الفن موجود في اللغة العربية وفي الشعر العربي إلا إنه حسب تتبعي القاصر لم أعثر على نماذج شعرية قبل الإسلام وقد وجدتها بعد الإسلام ولعل هذا من بركات القرآن الذي فجرَّ إمكانات اللغة. وسوف نذكر نماذج من هذا النوع (التجنيس) حيث جمعها الثعالبي في كتابه الرائع (الأنيس في غرر التجنيس) [٢] وقد وجدت هذا الفن في الشعر الشعبي العراقي الذي يسمى (الأبوذية) فهو استثمار رائع للمشترك اللفظي أيضاً وقد جئنا بهذا المثل[٣] من هذا الكتاب كشاهد على إمكانات اللغة شعراً ونثراً وقرآناً.

(١) التجنيس: تشابه لفظين في النطق وأختلاف في المعنى، التورية: أن يطلق لفظ له معنيان أحدهما قريب غير مراد، والأخر بعيد وهو المراد بدلالة قرينة خفية.

(٢) الثعالبي: (الأنيس في غرر التجنيس) طبع في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث والثلاثون، ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - كانون الثاني ١٩٨٢ ج١ / ص٣٦٩ - ٤٨٠ قدم له وحققه د. هلال ناجي.

(٣) قال البستي:

يا من أعاد رميم الملك منشوراً
وضم بالرأي أمراً كان منشوراً
أنت الوزير وإن لم تؤت منشوراً
والملك بعدك إن لم تؤمن شورى

تفسير ظاهرة الاشتراك بين اللغويين والأصوليين:

مع إن الأصوليين واللغويين اتفقوا على تعريف المشترك وتفسير نشوئه الا إنهم اختلفوا في سر تنوع المعنى مع اتحاد اللفظ بعد ما منع الأصوليون من جواز إرادة أكثر من معنى واحد من المشترك في استعمال واحد، فقد جوزوا استخدام اللفظ المشترك في أحد معانيه بمعونة (القرينة). إذن يكمن السر في إرادة هذا المعنى أو ذاك بواسطة القرينة الموجودة في الجملة فإن هذه القرينة تؤدي أكثر من عمل في آن واحد فهي من جهة صارفة للمعاني الأخرى للمشترك ومثبتة للمعنى المراد سواء كان المعنى حقيقياً أو مجازياً.

بينما ذهب أهل اللغة إلى أبعد من القرينة وأوكلوا السَّر في تعين المعنى المراد من المشترك إلى (الاستعمال) حيث يعطي صبحي الصالح قاعدة عامة لجميع اللغات قائلاً: (والقاعدة في فقه اللغات بوجه عام: إن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات لأن كثرة الاستعمال لا بد أن تخلق كلمات جديدة تلبي بها مطالب الحياة)[1] وكأنه أراد بالاستعمال السلطة السياقية والتطور الدلالي للمفردات والألفاظ التي تسوق المعنى حسب إرادتها على مذاق المتكلم. ثم إنهم قسموا الاستعمال إلى قسمين:

١- مهجور قد يُستعمل.

٢- ومستعمل قد يُهجر.

(واحتفظ علمائنا بالنوع الأول وكأنه إرهاصٌ لإحيائه وفي هذا كانت المزية للعربية إذ لا تحتفظ سائر اللغات إلا بالنوع الثاني وهو مهدد بالهجران، معرض لقوانين التغير

(١) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص٢٩٣.

الصوتي)[١]. وفي ظني أن ما بين الاستعمال والهجران للفظ تتردد الحقيقة والمجاز فأغلب ما أرادوه من الحقيقة هو المشهور، وأغلب ما أرادوه من المجاز هو المهجور، ولو انقلب الأمر لعاد المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً. (فإن فقهاء اللغة يقررون أن الكلمة يكون لها من المعاني بقدر ما لها من الاستعمالات... ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه)[٢].

فالصورة في الاشتراك تماثلت بينما تغايرت طرائق استعمالها إما لتغاير البيئات اللغوية، أو لتفاوت المستعملين في ثقافتهم البلاغية. فتكون مسألة الحقيقة والمجاز نسبية.[٣]

بعد كل هذا فهل هناك مقاربة بين (الاستعمال) عند اللغويين (والقرينة) عند الأصوليين ؟

حسب ظني جمعاً بين القولين وفي جملة مختصرة:

(إن الاستعمال يصنع القرينة) فالقرينة هي الصارفة أو المثبتة للمعنى، والاستعمال هو الآلية التي تنتج القرينة السياقية فقط، لا الحالية فإنها خارجة عن محل البحث. وهو نظام لغوي عام بين جميع المتكلمين لجميع اللغات.

---

(١) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص٢٩٣.

(٢) ن. م ص٣٠١.

(٣) (وقد لاحظ – المرتضى – أن قضية الحقيقة والمجاز مسألة ليست ثابتة بل هي نسبية متغيرة) د. حامد كاظم عباس (الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى) ص٩٨ ط بغداد، ٢٠٠٤.

(دعوى إنكار المشترك):

هناك مسألة جديرة بالبحث وهي وجود بعض العلماء الذين أنكروا الاشتراك اللفظي والترادف لا يمكن تجاهلهم أمثال دُرستويه في كتابه (شرح الفصيح) وهو من علماء اللغة وأبو علي الفارسي، وزعموا أن هناك فروقات دقيقة بين المعاني لهذا منعوا الاشتراك والترادف لكن كما عرفنا أن الاشتراك والترادف واقع في اللغة والقرآن وهذه الفروقات الدقيقة لا يلتفت إليها، أما في الاشتراك اللفظي فالقرينة الواردة في الاستعمال السياقي هي التي تحدد المعنى إلى درجة التبادر حسب قوة القرينة. فتتناسى الفروقات اللغوية وأما في الترادف فقد ذكر بعض العلماء قاعدة (إن المترادفين إذا اجتمعا افتراقاً، وإذا افتراقاً اجتمعا) أي إذا جاء اللفظان في سياقٍ واحد مجتمعين افترق معناهما، وإذا افترقا كلٌ في سياق خاص به يتحد معناهما، وضربوا له مثال (الفقير والمسكين)[1] فإذا اجتمعا في سياق واحد قالوا عن الفقير هو الذي لا يملك قوت سنته والمسكين هو الذي لا يملك قوت يومه) وإذا افترقا يمكن إطلاق أحدهما على الآخر وهكذا في باقي المترادفات.

دلالة المشترك:

من المسائل التي شغلت فكر اللغويين والأصوليين هي دلالة المشترك وتحديد معناه، وقد لخص الدكتور الزاهد ضوابط تحديد معنى المشترك ليخرج من الإبهام

---

(١) ١- التبيان: ٥ / ٢٤٣ قال: اختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن وجابر وابن زيد والذهبي ومجاهد: الفقير المتعفف الذي لا يسأل، والمسكين الذي سأل، وقال قتادة / الفقير ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين من كان صحيحاً محتاجاً، وقال قوم هما بمعنى واحد: إلا إنه ذكر بالصفين لتأكيد أمره وهو قول أبو علي الجبائي.

٢- الطبرسي، مجمع البيان: ٣ / ٤١.

بثلاث ضوابط:

١-إذا دار الأمر بين كون اللفظ مشترك أو غير مشترك فالأصل عدم الاشتراك.

٢-إذا ثبت الاشتراك فالمعول على القرينة.

٣-إذا لا توجد قرينة، فلا قائل بوجوب إرادة جميع المعاني في نص واحد في وقت واحد مع وجوب الامتثال فلا يخلو من أمرين: أما حمله على جميع معانيه ما لم تكن متضادة، أو ترجيح أحد الاحتمالات بدليل لغوي أو اجتهادي من سياق النص أو من دليل خارجي. كما في مسألة قروء(١).

أو من قرينة حالية، وهي في القرآن أسباب النزول، وفي الحديث لابد من دراسة الظرف الذي قيل فيه الحديث ومعرفة السائل ومدى معرفته ومستواه العلمي وغيرها من الاعتبارات.

ظاهرة الترادف:

الترادف في معاني المفردات يعطي للغة اتساعاً وتنوعاً، وقد عرفنا أن ظروف نشوء المشترك هي نفسها ظروف نشوء المترادف فأما أن يكون واضعاً واحداً وضع لفظين لمعنى واحد، أو واضعين وضعا لفظين مختلفين كلٌ على حده لمعنى واحد، أو قبيلتين وضعتا لفظين لمعنى واحد ثم تشابكت اللغات واللهجات فحصل المترادف والمترادف كما عرفوه: بأنه الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.(٢)

(١) د. عبد الأمير زاهد، قضايا لغوية قرآنية ص١٤٠.

(٢) السيوطي، المزهر: ١ / ٤٠٢ - ٤٠٣.

ولكن تعريف الإمام علي عليه السلام جامع مانع مختصر نافع إذ قال عليهم السلام (ومنه آيات[١] مختلفة اللفظ متفق المعنى)[٢] وما هو إلا الترادف، ويقول قطرب: الكلام في ألفاظه بلغة العرب على ثلاثة أوجه:

١ - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين،٢ - اختلاف اللفظين والمعنى واحد،

٣- اتفاق اللفظ واختلاف المعنى [٣] .

وقد وقع النقاش فيه كما في المشترك في إمكانه ووقوعه فقد نقل السيوطي الكلام بين أبو علي الفارسي وابن خالويه حيث قال الأخير: أحفظ للسيف خمسين اسماً فتبسم أبو علي الفارسي وقال: ما أحفظ للسيف إلا اسماً واحداً وهو السيف، قال ابن خولويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي: هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة [٤]. نعم هو يفرق لكن دمج بين اسم الماهية واسم الصفة.

أما الأصوليون من القدامى والمحدثون فيذهبون إلى وجوده (إمكانه ووقوعه) ويبنون الكثير من قواعدهم الأصولية على ظاهرة الترادف والاشتراك[٥] أما المفسرون فقد ذكروا ظاهرة الترادف في القرآن حيث ذكر السراجي في دراسته عن النهج اللغوي عند الطبرسي حيث أكد الأخير على وجود الترادف وذكر له مائة نموذج[٦].

(١) الآية تطلق على الجملة القرآنية وعلى الكلمة القرآنية مثل (مدهامتان) وعلى الحروف القرآنية (ألم).

(٢) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، ص٥٠ ط١ ٢٠٠٠ م، مؤسسة البلاغ.

(٣) قطرب، الأضداد، نشر كونصر، ص٢٤٣ – ٢٤٤.

(٤) السيوطي، المزهر: ١ / ٤٠٥.

(٥) راجع كتب الأصول، للمظفر: ١ / ، الآخوند الخراساني، الكفاية /

(٦) د. ناصر كاظم السراجي، الطبرسي ومنهجه في التفسير اللغوي، دار المرتضى ط١ ٢٠٠٠ ص٢٥٥ – ٢٦٢.

وهذا ديدن جل المفسرين. وأطلق الزركشي والسيوطي (النظائر) على الترادف [١] ومقصودهم النظائر في المعنى التناظر المعنوي. وهذا النوع يفيدنا كثيراً في التفسير الموضوعي لا سيما إذا كانت المفردة المبحوث عنها قليلة الورود في القرآن فنبحث عن مرادفاتها لتوسع لنا البحث ولتتكامل لدينا النظرية القرآنية.

الترادف في القرآن الكريم:

بحث علماء القرآن موضوع الترادف في المواضيع التالية:

١- الأحرف السبعة.

٢- التوكيد.

٣- متشابه القرآن.

أما الأحرف السبعة: فقد تداولت أحاديثها كتب السنة[٢] واختلف العلماء في تفسيرها فقد أوصلها ابن حبان البستي إلى خمسة وثلاثين قولاً نقلها إلينا القرطبي[٣]. ومن بينها ما أوضحه الزركشي وهي: (سبعة أوجه متفقة المعنى مختلفة اللفظ نحو: أقبل وهلم، وتعال، وعجل، وأسرع)[٤]، وهذا بناءً على من يقول بصحة هذا الحديث والأخذ به.

---

(١) السيوطي، الإتقان: ٢ / ١٠٣.

(٢) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول القرآن على سبعة أحرف.

(٣) القرطبي، جامع أحكام القرآن: ١ / ٢.

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٢٠.

وأما المسألة الثانية: التي تحدث العلماء عن الترادف فيها هو التوكيد فالتوكيد قسمان: لفظي ومعنوي، والمراد بالمعنوي المترادف كقوله تعالى (فجاجاً سبلاً)[١]، (ضيقاً حرجاً)[٢]، (غرابيب سود)[٣]، (ارجعوا وراءكم)[٤].

وأما التوكيد يعطف أحد المترادفين على الآخر بحرف العطف فكما يلي:

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾[٥]﴿فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾[٦]، ﴿لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾[٧]، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[٨]﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾[٩]، ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾[١٠]، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً﴾[١١]، ﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾[١٢].[١٣]

وأما المسألة الثالثة: فقد أطلق علماء القرآن الترادف على (متشابه القرآن) حيث يذكر الزركشي أن من أنواع المتشابه: استبدال الكلمة بأخرى في آيتين متماثلتين،

---

(١) الأنبياء / ٣١.

(٢) الأنعام / ١٢٥.

(٣) فاطر / ٢٧.

(٤) الحديد / ١٣.

(٥) آل عمران / ١٤٦.

(٦) طه / ١١٢.

(٧) طه / ٧٧.

(٨) المدثر / ٢٢.

(٩) يوسف / ٨٦.

(١٠) المدثر / ٢٨.

(١١) النساء / ١١٨.

(١٢) المرسلات / ٦.

(١٣) راجع الترادف في القرآن الكريم، محمد نور المنجد، ط١ ٢٠٠١، دار الفكر، دمشق.

حيث قال: (السابع): إبدال كلمة بأخرى ففي البقرة (ما ألفينا عليه أباءنا)[١] وفي المائدة (وجدنا)[٢]، في البقرة (فأزلهما الشيطان)[٣]، في الأعراف (فوسوس لهما الشيطان)[٤] وهكذا.

وفي هذا الصدد عقد الأستاذ محمد نور الدين المنجد في كتابه الترادف في القرآن بحثاً مهماً هو (إقامة اللفظ مقام مرادفه): قائلاً: ((اختلف الأصوليون في هذه المسألة: فمنهم من أجاز مطلقاً ومنهم من منع مطلقاً، ومنهم من اشترط قيداً لصحة جوازه.

فمن أجاز مطلقاً: ابن الحاجب[٥]، وابن السبكي[٦]، والذي منع مطلقاً الرازي[٧] وأما من أجازه بشرط وهو أن يكون في لغة واحدة فقط فهما البيضاوي والهندي[٨].

ومن فوائد إقامة اللفظ مقام مرادفه هو ما ذكره الأسنوي من جواز نقل الحديث وروايته بالمعنى[٩].

وكذلك أجازه الإماميون لروايات وردت عندهم:

فعن الكليني عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن ابن

---

(١) البقرة / ١٧٠.
(٢) المائدة / ١٠٤.
(٣) البقرة / ٣٦.
(٤) الأعراف / ٢٠.
(٥) ابن الحاجب، منتهى الأصول / ١٩.
(٦) ابن السبكي، جمع الجوامع: ١ / ٣٨١.
(٧) الرازي، المحصول، ج١ ق١، ص٣٥٢ – ٣٥٣.
(٨) أنظر، جمع الجوامع: ١ / ٣٧٩ – ٣٨٢.
(٩) محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم ص١٠٤.

أذينة عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص، قال: إن كنت تريد معانيه فلا بأس)[١]، ومن الجدير بالذكر أن ابن عباس تبنى أحد معاني النسخ وهو الأبدل في معرض تفسير هذه الآية ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[٢] وهناك من أقر بالترادف في اللغة ومنعه في القرآن كالدكتور عبد الأمير زاهد[٣]اعتماداً على الفوارق اللغوية بين الألفاظ المترادفة.

التضاد في اللغة:

وهو اللفظ الدال على معنيين متقابلين دلالة متساوية، نحو الجون تطلق على الأسود والأبيض[٤]، وهو نوع من أنواع الاشتراك اللفظي[٥] ومن القدماء من أكد على دخول التضاد تحت حقل الاشتراك اللفظي وهو قطرب (٢٠٦ هـ) إذ قال: (والوجه الثالث، أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً... ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده)[٦].

---

(١) الكليني / الكافي /   ، الحر العاملي، الفصول المهمة: ١ / ٥٢٢.
(٢) النحل / ١٠١.
(٣) د. عبد الأمير زاهد، قضايا لغوية قرآنية ص١٥٣.
(٤) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ص٦٦، ط المؤيد ١٣٣٨ هـ.
(٥) السيوطي، المزهر في علوم اللغة: ١ / ٣٧٨، صبحي الصالح، فقه اللغة، ص٣٠٩.
(٦) أضداد قطرب / ٢٤٤.

وإن أسباب نشوء المتضاد هي نفس أسباب نشوء المشترك اللفظي من اختلاف اللهجات، فالسدفة في لغة تميم الظلمة، (والسدفة) في لغة قيس الضوء[١]. كذلك التطور المجازي يعد من أهم أسباب نشوء المشترك وهو من أسباب نشوء الأضداد ومن ذلك إطلاق كلمة (الأمة) على الجماعة وعلى الفرد ومما لا شك فيه أن الأمة لا تطلق على الفرد إلا على سبيل التشبيه بالجماعة كما قال تعالى (إن إبراهيم كان أمة)[٢].

وهناك أسباب أخرى لنشوء الأضداد منها التفاؤل، فقد استعملوا (المفازة) للصحراء بدل المهلكة تفاؤلاً بالفوز والحياة، والسليم للملدوغ[٣]. ومن الأسباب أيضاً الخوف من الحسد ومن ذلك استعمالهم كلمة (شوهاء) للفرس القبيح والجميل.

وفي إمكان استثمار هذا النوع من المشترك اللفظي في القرآن ثروة دلالية هائلة مثال قوله تعالى: (ونبلوكم بالخير والشر فتنة)[٤] فالفتنة تطلق على الخير والشر فهي من الأضداد وهذا يكتشف من خلال السياق القرآني. وقوله تعالى: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا)[٥] ولا شبهة أن عفا من حروف الأضداد التي تستعمل تارة في الدروس وأخرى في الزيادة والكثرة. وقوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)[٦] فالقرء هو مشترك بين الطهر والحيض.

---

(١) ينتظر الأضداد، لابن الأنباري، المزهر، للسيوطي: ١ / ٣٨٩ – ٣٩٠.
(٢) النمل / ١٢٠.
(٣) المزهر، للسيوطي: ١ / ٣٩٣.
(٤)
(٥) الأعراف / ٩٥.
(٦) البقرة / ٢٢٨.

وفي هذا البحث نكون قد درسنا المادة التي تدخل في الأشباه والنظائر وهي (الألفاظ) من حيث أسباب نشؤها وتعريفها وأنواعها واستثمارها في القرآن الكريم وفي النصوص الشعرية والنثرية ممهدين للبحث الثاني وهي الآلية التي تنتج هذه الأنواع وهذا ما سنبحثه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني: الأصول المعتمدة في الأشباه والنظائر

* المطلب الأول: سلطة السياق:

* السياق (لغة) و(اصطلاحاً).

* عمل (فوائد) السياق.

* أهمية السياق في إنتاج المعاني المعجمية.

* السياق وأثره في علوم البلاغة.

* السياق وأثره في علم النحو.

* السياق ونظرية النظم عند الجرجاني.

* البرهنة على السياق.

* أنواع السياق.

* المطلب الثاني: استقراء التماثل:

* مقدمة في المناهج الفكرية لدى المسلمين.

* الفارق بين المنطق الأرسطي والمنطق الاستقرائي.

* الاستقراء (لغةً) و(اصطلاحاً).

❋ أنواع الاستقراء.

❋ القرآن يدعو للاستقراء.

❋ استقراء التماثل.

❋ التماثل.

❋ تطبيق منهج الاستقراء في القرآن (توفيق العامر إنموذجاً).

❋ تطبيق منهج الاستقراء التمثيلي في القرآن.

المبحث الثاني

الأصول المعتمدة في الأشباه والنظائر

عرفنا مما مر أن ترادفاً بين الأشباه والاشتراك، لنخلص إلى أن هذه الظاهرة سمة من سمات اللغات، ولكنها في لغتنا العربية أوسع وحاولنا ذكر عوامل نشوء هذه الظاهرة، لينتهي بنا البحث إلى دراسة تفسير هذه الظاهرة التي شغلت اللغويين والأصوليين لا سيما في تحديد دلالة (المشترك) إذ أوكلها أهل اللغة إلى الاستعمال، والأصوليون إلى القرينة، وقلنا أن الاستعمال يضع القرينة وبهذا تتحدد دلالة المشترك اللفظي (الأشباه)، ثم عطفنا لبحث ملازمات الاشتراك وهو الترادف والتضاد بنفس الكيفية ولقد ثبت أن هذه الظواهر واقعة في اللغة والقرآن. وبهذا قد أحطنا ولو إجمالاً بالبعد المعرفي لهذه الظواهر وفي هذا المبحث سوف نركز البحث حول الآلية التي تحدد دلالة (المشترك) الأشباه وهما: سلطة السياق والاستقراء.

المطلب الأول: سلطة السياق:

تعد نظرية السياق عند النقاد واحدة من نتائج البحث الدلالي الحديث بيد أنا نلمس جذورها في كتب النقد العربي القديمة، وأهمية النص كان الهاجس الأول لدى

اللغويين القدماء [١] فإن السياق هو القوة الخفية التي تقف وراء المعنى، بل هو مصنع الدلالات، مَثَلهُ مثل الجاذبية في الطبيعة مع إنها غير منظورة إلا إنها تقف وراء معظم الظواهر الفيزيائية في الطبيعة.

وإذا كان فقهاء اللغة القدماء والمحدثين قد نظروا للغة من حيث نشأتها وتاريخها ولهجاتها ومقاييسها وظواهرها كالإعراب والاشتقاق والاشتراك والترادف والتضاد وغيرها من المباحث[٢] فإن فقهاء اللغة في عصرنا هذا قد نظروا إلى علم الدلالة[٣] بكل أبعاده وأنواعه (كالدلالة الحقيقية، والمجازية، واللغوية، والشرعية، والعرفية، والسياقية)[٤] والذي يهمنا في هذا البحث الدلالة السياقية.

ونحاول في هذا البحث أن نكتشف (آلية إنتاج الدلالة)، لا الدلالة نفسها، نريد أن نعرف كيف تُصنع الدلالة، فقد أولى بعض الباحثين[٥] أهمية كبرى لهذا البحث فقام بدراسة للنظام الذي ينتج المعنى أهمية تفوق الناتج، فمسؤولية الناقد برأيه تختص بطريقة الدلالة لا بالدلالة نفسها فهو يريد أن نفهم (كيف) تعني النصوص قبل البحث في (ماذا) تعني [٦] .

---

(١) ظ، فايز الداية، علم الدلالة العربي، ٣٢.

(٢) ينظر د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ومحمد مبارك (فقه اللغة ومناهج البحث في اللغة د. تمام حسان، والدكتور إبراهيم أنيس في (أسرار اللغة) ومن القدماء (السيوطي في المزهر).

(٣) ظ. د. محمد حسين الصغير، تطور البحث الدلالي، ط١، ١٩٩٩ م، دار المؤرخ العربي.

(٤) د. حامد كاظم عباس، الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، ص١٠٥ – ١٧٠.

(٥) رولان بارت، بقلم جون ستروك، مجلة عالم المعرفة ص٨٣.

(٦) مجلة الحياة الطيبة (فصلية متخصصة (بالفكر والاجتهاد الإسلامي) العدد الثامن، السنة الثالثة، شتاء ٢٠٠٢م، ص١١١، د. حسن جابر (منهج التأويل وعلم الدلالة).

وأظن أن السر في إنتاج الدلالة والمصنع الذي يصنعها هو السياق، فما هو السياق ؟

السياق (لغةً):

لم أجد فيما تتبعت أن معاجم اللغويين قد تطرقت إلى المعنى الذي نبحث عنه، ووجدت أنهم ذكروه تحت مادة (س و ق): و(ساق) إلى إمرأته صداقها، و(السياق) مهر المرأة، قيل له ذلك لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً [١] .

ويقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساقٍ واحد أي بعضهم على إثر بعض ليست بينهم جارية [٢] .

و(السِيّاق): نزع الروح.

وكما نلاحظ أن هذه المعاني حسية أصلها من ساق الماشية سوقاً لكن المعاجم الحديثة استخدمت هذه الكلمة (السياق) في سياق الجملة إذ استعارته من سياق الماشية إلى سياق الكلمات في الجملة، حيث قال في المنجد [٣] .

سياق الكلام: أسلوبه ومجراه، يقال: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي مدرجةً فيه.وعرفه صاحب الصحاح[٤]: سياق (context (E)، contexto (F هو تسلسل المعاني التي ينطوي عليها نص من النصوص ويستعان به في منهج البحث عامة.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).

(٢) ن. م

(٣) المنجد ص٣٦٥، ط

(٤) الصحاح، ص٥٢٠.

السياق (اصطلاحاً):

عرف بأنه ((النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم))[١].

فإن الكلمة تكسب بعدها الدلالي إذا ما ارتبطت مع جارتها ارتباطاً تلازمياً من خلاله يتكون النظم اللفظي إذ يشترك الجميع في إبراز المعنى، وتعتبر نظرية السياق الحجر الأساس في علم المعنى والى ذلك أشار ستيفن: (إن نظرية السياق، إذا طبقت بحكمة تعتبر الحجر الأساس في علم المعنى)[٢] إذ إن عدداً من المفردات قد لا يتضح معناها بدقة في ضوء التفسير المعجمي لها لذا (يظل تحديد معنى الكلام محتاجاً إلى مقاييس وأدوات أخرى غير مجرد النظر إلى القاموس)[٣].

وذلك لأن المعنى المعجمي الذي يدور حول الكلمة المفردة متعدد ومحتمل، وهو قابل للدخول في سياق معين، ولا يحدد هذا المعنى إلا السياق الذي لا يقبل التعدد أو الاحتمال، ففي كل مرة تستعمل فيه اللفظة تكتسب معنى محدداً مؤقتاً، ويفرض السياق قيمة واحدة على الكلمة هي المعنى الذي تدل عليه في سياق معين دون آخر)[٤].

وعلى هذا ممكن أن نلخص عمل السياق في جهتين:

١- الجهة الأولى: كونه (السياق) منتج للدلالة على أفق مفتوح يبرزه الاستعمال الذوقي للمفردة على مر العصور ويتجلى ذلك في براعة صياغة الجملة عند الأدباء وهم يقلبون استخدام المفردة ما بين الحسي والمعنوي والخيالي.

---

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة (٥٤ – ٥٥).

(٢) ن. م ص٥٩.

(٣) د. محمود السعران، علم اللغة ص٢٩٠.

(٤) د. علي زوين، منهج البحث اللغوي، ص٩٤.

٢- الجهة الثانية: إن السياق يفرض معنى واحد للمفردة لا تتعدد فيه الآراء ولا تتلاعب به الأهواء. يرفض من خلاله باقي المعاني المحتملة، وبهذا يتضح لنا مدى الاعتباطية التي يمارسها البعض من محاولة صب جميع معاني المفردة الواردة في المعاجم في سياق لا يستسيغه إلا المعنى السياقي الذي أتت به.

الأدلة على عمل السياق:

أ- أهمية السياق في إنتاج المعاني المعجمة:

عند قراءتنا للمعاجم اللغوية نجد أن أكثر المعاني التي ينتجها النص، تأتي مع سياقاتها فيستشهدون بالآية والحديث والشعر والخطب وغيرها ليستنبطوا المعنى، ثم يأتي مستخدمو اللغة ليملوا المعاني الجاهزة في سياقات غريبة عنها حتى ليبدوا أن هناك تنافراً بين المفردة في سياقها والمعاني الجاهزة المعجمية التي أُنتجت في سياقات مختلفة.

مثال: لو نظرنا إلى المعاجم اللغوية وأخذنا أي مفردة (انتقاء عشوائي) فإننا نجد ما أدعيناه من هذه المفارقات: ولنأخذ مفردة ح ل ل [(١)] :- (حَلّ) العقدة فتحها (فانحلت). و(حل) بالمكان. و(حَلّ) دُهُن السمسم. و(المحلة) منزل القوم، قوله تعالى (حتى يبلغ الهدي محله) وهو الموضع الذي ينحر فيه. و(حل العذاب) أي وجب. و(حلت المرأة) خرجت من عدتها... وهكذا.

نجد اللغويين لا يمكنهم أن يستغنوا عن السياق في إبراز المعنى ففي كل مرة يأتي سياق جديد ليأتي بمعنى جديد.

(١) أخذنا عينة عشوائية من مختار الصحاح مادة (ح ل ل) ص١٥٠، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الرسالة، كويت.

فعندما قال (حَلّ) العقدة فهم منها أنها انفتحت.وعندما قال (حل) بالمكان أي نزل به وهكذا فإن السياق هو الذي ينتج المعنى. أما كيف عرف هذه السياقات ؟ فلابد أنه عرفها من خلال (استعمال) أهل اللغة لها، وليس للغوي إلا دور توثيق المعنى. هذا من جهة عمل اللغوي.

أما من جهة عمل المستفيد من هذا الركام من السياقات فإنه سوف ينتقي لا محالة ما يوافق سياق الجملة التي يود تفسيرها وبالنتيجة فإن كل من اللغوي ومستخدم اللغة لا يستغني عن السياق. فالسياق إذن: هو الذي يؤطر عمل اللغوي في توثيقه للغة وكذلك يؤطر عمل المستخدم للغة إذ لولاه لما انتج المعنى.

ويبقى الاستعمال هو الذي يبرز المعاني قوةً وضعفاً فنجد استخدام المفردة بكثرة على سياق معين يعطيه ثوب الحقيقة وباقي المعاني التي يقل استخدامها يعطيه ثوب المجاز، وربما ينقلب المجاز حقيقة وبالعكس خلال القرون، حسب الاستعمال.

ب- السياق وأثره في علوم البلاغة:

إن علوم البلاغة تحتل موقعاً مهماً من علوم اللغة باعتبارها تهتم باللغة في إطار وظيفتها البيانية، وتحتوي على ثلاثة علوم، علم المعاني، علم البيان، علم البديع.

١- فأما علم المعاني: الذي عرف بأنه: أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، حيث يعنى بدراسة آلية استنباط المعاني والدلالات من الإشارات اللغوية، وهو يعالج وظيفة المستقبِل (المخاطب) ويُقسم (علم المعاني) الكلام إلى خبر وإنشاء، وبعد تناول غرضين للخبر ينتقل ليقول: وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن

سياق الكلام [١] أهمها: الاسترحام، إظهار التحسر، إظهار الضعف، الفخر، المدح، التحذير، والتوبيخ والتذكير بتفاوت المراتب... الخ).

٢- وأما في الإنشاء الطلب: فتخرج كل العناوين عن المعنى الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام: كالإرشاد، والدعاء والالتماس والتمني والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة والإكرام والامتنان والإهانة والدوام والتمني والاعتبار والإذن والتخيير والتأنيب... الخ)[٢]. وهكذا نلاحظ الإحالة المتكررة على السياق والذي يبرز دوره المهم في فهم المعاني، ولكن يركز البلاغيون البحث في هذا العلم إلى قرائن السياق لا السياق نفسه وقد قلنا سابقاً أن السياق هو الذي يصنع القرينة.

كذلك من البحوث التي تطرق إليها (علم المعاني) الإيجاز فعرفوه بأنه حذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تدل على المحذوف، ولابد أن تكون هذه القرينة موجودة في السياق.

٣- وأما علم البيان: الذي يتناول دراسة اللفظ كمجاز وكيفية توظيف المعاني المجازية لتقوم مقام المعاني الحقيقية.

وقالوا عن المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي [٣]. والقرينة اللفظية لابد أن تأتي في سياق الجملة إذ لولا السياق لما عرف المعنى.إذن من خلال استقراءنا لعلم البلاغة نجد أن البلاغيين كثيراً ما يعولون على السياق في فهم المعاني، والأمثلة موجودة في محلها يمكن مراجعتها، بل

---

(١) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص٤٦، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة ص٥٥.

(٢) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص٦٥، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة ص٨٩.

(٣) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ٢٥٣.

إنهم اعترفوا بشكل صريح بأهمية السياق بقولهم (وهناك معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام).

جـ- السياق وأثره في علم النحو:

إن الإعراب من خصائص اللغة العربية، ولقد عبر عنه ابن فارس بقوله ((فأما الإعراب ففيه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين))[١] وقال: (الإعراب هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام...)[٢]. وإن الإعراب يعتمد على المعنى ولهذا سميَّ نحو (سيبويه) نحو المعاني فإلقاء نظرة سريعة في كتب سيبوية توصل إلى أن الهدف من القاعدة النحوية تجلية معنى التركيب)[٣] وتجلية معنى التركيب يعرف من السياق.

ولقد فجر القرآن طاقات اللغة لا سيما في مجال معطيات التركيب اللغوي الذي يشرعن هذه القراءة أو تلك من خلال السياق، لذا يقول صبحي الصالح: (إن ما في القرآن من الألفاظ الصالحة لأن تقرأ رسماً بأكثر من وجه كان السياق فيه غالباً يعين قراءته المثلى، ويفرض وجهه الأفضل)[٤].

---

(١) ابن فارس، الصاجي / ١٦١.

(٢) ابن فارس، الصاجي / ٤٢.

(٣) ظ، عبد الأمير زاهد، مقدمات منهجية في تحليل النص القرآني، مجلة السدير عدد / ٩ سنة / ٢ ص٤٧.

(٤) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص١١٩.

ثم ضرب مثالاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [(١)] فالمعنى نفسه يفرض رفع العلماء فاعلاً ونصب اسم الجلالة مفعولاً. وهكذا في سورة براء من قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [(٢)]فلو لم تكن هذه الآية معربة لأمكن معرفة إعرابها من خلال السياق إذ لا يمكن أن يتبرء الله من رسوله والعياذ بالله، فلابد أن الله ورسوله يتبرؤن من المشركين، لذلك فإن (رسوله) إما أن تأتي منصوبة عطفاً على لفظ الجلالة (في قراءةٍ)، أو تكون مرفوعة باعتبارها جملة مستأنفة، وهذا كثير في القرآن حيث يفهم الإعراب من المعنى الذي يعتمد على السياق.

إذن فالسياق: تلك القوة الخفية التي تقف وراء كثير من الظواهر اللغوية ابتداءً من المعاني المعجمية مروراً بعلوم البلاغة وعلم النحو. وفي كل هذه الحقول يكون السياق سيد الموقف ولهذا اتجهت الأبحاث إلى نظرية السياق، لا سيما نظرية النظم عند الجرجاني (٤٧١ هـ).

نظرية النظم عند الجرجاني وأثرها في السياق:

تأيداً لما أسلفنا فقد أكد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) على أهمية المعاني المستوحاة من النظم على المعاني المستوحاة من حاق اللفظ اعتماداً على الوضع، لقد سعى الجرجاني إلى إثبات بلاغة القرآن من خلال نظرية (النظم) فتحدث طويلاً عن معنى النظم (أي نمط تركيب الجملة والعبارة وأفاض في الوصل والفصل والتقديم والتأخير والحذف والذكر والربط السياقي بين الأفعال والحروف، أو الأسماء والحروف والأدوات لذلك فهو يقول(ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض،

---

(١) فاطر / ٢٨.

(٢) براءة / ٣.

وجعل بعضها بسبب بعض)[١]

لذلك يعد الجرجاني منظراً اعتمده الزمخشري فيما بعد في النزعة البيانية لتفسيره الكشاف، ثم كان الأساس في عشرات الرسائل الجامعية والكتب المهمة في النقد الأدبي التي سعت إلى الكشف عن أهمية السياق.

وقد برهن على نظرية النظم بدأً من اللفظ ومعناه ومروراً بعلم النحو وعلوم البلاغة،فقال أحد الباحثين وهو يخلص نظرية الجرجاني إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى بقوله: (الألفاظ عندهُ رموز للمعاني المفردة التي تدل عليها هذه الرموز، أو مجرد علامات للإشارة إلى شيء ما وليست للدلالة على حقيقته، والإنسان يعرف مدلول اللفظ أولاً ثم يعرف هذا اللفظ الذي يدل عليه ثانياً)[٢] فيقول الجرجاني (فاللفظ تبع للمعنى في النظم وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس)[٣].

فالبدأ إذن من نفس المتكلم، وما تحتوي مخيلته من معاني يريد أن يجود بها، وأحياناً تكون المعاني التي يشعر بها الإنسان سامية وعميقة وقد يضيق عنها فم المتكلم فيتلعثم ويسكت، غير إن الحذاق منهم لا يعجزهم أن يسخروا الألفاظ – وإن كانت في أوضاعها الأولى لا تخدم مرادهم – غير أنهم ببراعة نظمهم يصلون إلى المعاني بصورة غير مباشرة فهم يتوخون (معنى المعنى) ولهذا يقول الجرجاني:

(الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل فيه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدهُ،

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٤٠، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨ م.

(٢) د. حاتم الضامن، نظرية النظم، ص٤٢، الموسوعة الصغيرة (٤٧) منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٩ م.

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص٤٥.

وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعة في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل، كقولك كثير الرماد، طويل النجاد)[١]، فهي اصطلاحات لها دلالات جديدة فها هنا اصطلاحان: المعنى، ومعنى المعنى.(فالمعنى): هو المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة.

(ومعنى المعنى): أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر)[٢]. فهو يريد أن يقول أن وراء المعنى المعجمي (المعنى الموضوع له اللفظ) معنى آخر يظهره الاستعمال، استعمال هذه اللفظة في سياق منتظم. فهذا النظم يعطي معاني سياقية أخرى قد تبدو غريبة عن المعنى الأولي (الموضوع له) ونحن في سياقات القرآن نتوخى هذه المعاني.

وفيما أكده من العلاقة بين علم النحو ونظرية النظم حيث أخضع علم النحو لفكرة النظم، حيث قال: (وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها)[٣] ثم عرض للطرق والوجوه التي يتعلق الكلم بعضها ببعض، فهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرفٍ بهما، ثم فصل هذه الأقسام ليعلم أن النساج الذي ينظم الجمل لابد أن ينظمها على منوال القواعد النحوية.

ثم أن الجرجاني سخر نظرية النظم في علوم البلاغة وما لعلم المعاني من ارتباط وثيق مع علم النحو، وقد ساق أمثلة متعددة لجمال التعبير النحوي بالتقديم والتأخير،

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص٢٠٢.

(٢) ن. م ص٢٠٣.

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص٦٤.

والتعريف والتنكير، والمزاوجة بين كلامين في الشرط والجزاء، ثم يعطي تفصيلات ذلك.

وقد تمشى بنظرية النظم مع علوم البلاغة كلها، ليؤكد أن علوم البلاغة تعتمد على المجاز والاستعارة وكل ذلك يحتاج إلى براعة النظم، حيث تعطي من المعاني الثانوية غير المباشرة أبلغ من المعاني المباشرة.

ومن الواضح أن عبد القاهر، قد اطلع على آراء السابقين في الإعجاز القرآني ففسر فكرة الإعجاز تفسيراً يقوم على النظم، وألف (الرسالة الشافعية) ليثبت حقيقة الإعجاز، وألف (دلائل الإعجاز) ليبين أسراره [١].

وإن حقيقة النظم قائمة على معاني النحو وأحكامه، إذ ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم، وقد أوضح جوانب هذا الإعجاز بقوله (أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها،.. وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها)[٢]. فهو يحصر الإعجاز بالنظم والسياق.

والجرجاني وهو من يحتج برأيه أثبت أهمية السياق الذي ينتج الدلالة نحوياً وبلاغياً، بنظريته المشهورة نظرية النظم، وإنتاج ما يسمى (بمعنى المعنى). فقد أضاف بعداً آخر لعلم الدلالة بعد بعدهِ الأولي الكلاسيكي المعجمي.

---

(١) د. حاتم الضامن، نظرية النظم، ص٩٢.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٣٢.

البرهنة على السياق:

بعد ما عرفنا أهمية السياق في إنتاج الدلالة، وينبغي لنا أن نبرهن على أثر السياق في الجملة.

أولاً: برهان تعدد الوجوه:

إن أية جملة متكونة من عدة إشارات - وهي الكلمات التي تكونها - وإذا ما رصفت في اتجاه معين أعطت دلالة معينة، ثم أن نفس هذه الإشارة إذا ما صيغت بسياق آخر انتجت دلالة أخرى وهكذا تتعدد دلالات الإشارة حسب السياق المنتج لها، ولكن لا يمكن إعطاء جميع الدلالات في آن واحد وسياق واحد للتمانع بل إن كل سياق ينتج دلالة واحدة (أي يثبت وجهاً واحداً) وينفي الوجوه الأخرى المحتملة (السياقات الأخرى)، ولنعطي الآن مثالاً ولنأخذ كلمة (ضرب) ونعدد سياقاتها لتنتج عدة دلالات من خلال عدة سياقات فالسياق يوظف المعاني المتعددة المخزونة في المفردة كل في مسلكها فهو صانع للمعنى، وقرينة على المراد ومانع من الانصراف إلى المعنى الآخر فمثلاً.

* ضرب عمروٌ زيداً: الضرب المعروف

* ضرب أخماسها بأسداسها: دليل تحيره.

* ضرب لنا مثلاً : أي وصف لنا مثلاً.

* ضرب في الأرض: أي طلب الرزق من خلال التجوال والسفر.

* ضرب عنه ذكراً: أعرض عنه.

* ضرب الرقاب: القتل.

* ضرب الدفوف والمزامير: العزف.

* ضرب مع شريكه في السوق: أي شاركه بالمضاربة.

* ضرب الموعد: ألغاه.

* ضرب موعداً: عين وقتاً.

وهكذا نلحظ عشرة وجوه لـ(ضرب) على سبيل المثال ولعل فيها ما يمكن أن يستجد ضرب: الضرب، الحيرة، وصف، طلب الرزق، أعرض عنه، القتل، العزف، المضاربة، ألغى، عين الوقت.

حيث جاءت كلمة (ضرب) في عشرة سياقات مختلفة لنحصل على عشرة وجوه مختلفة، كل سياق منها يرجح وجهاً واحداً ويقلل باقي الوجوه المحتملة، فعمل السياق عملين في آن واحد تقررها سلطته على النص فسلطة السياق هي سلطة إثبات ونفي فهو يظهر وجوهاً ويطمس أخرى.

إذ لكل سياق قرينته الحاكمة على المعنى. ولقد أجمع الأصوليون والبلاغيون أن القرينة هي التي تعين المجاز، حتى إننا نجد أن الحقيقة احتاجت أن تعيينها القرينة أيضاً، إلا إننا لا نشعر ربما بوجودها لكثرة الاستعمال والاعتياد عليها لا سيما مع التسليم بأن التبادر علامة الحقيقة فحقيقة الصلاة الدعاء ولكن لتقادم المعنى الشرعي صار المعنى الحقيقي للفظ هو الذي يحتاج إلى القرينة، وكذا الزكاة والصيام والتيمم.. الخ.

لذلك يصح القول أن المجاز والحقيقة يخلقهما السياق الذي يقوم بمهمة القرينة.

وبعد هذا البرهان يمكن أن نطبق ذلك على كل المفردات: (أكل، أخذ،...)

ثانياً: برهان بتر الكلام:

المقصود بهذا العنوان أننا نشاهد في حوارنا اليومية أن البعض يحاول أن يجيب قبل أن يتم الآخر كلامه وكأنه فهم المراد كاملاً وهناك حالة أخرى يخطئ فيها المقاطع فهم الكلام بسبب أن هذا السياق المبتور مفتوح على ظهورات عدة، ومن هنا يحصل سوء الفهم أحياناً لدى المحاورين كافة ولذلك فإن بتر الكلام يدل على أن الكلمة لا يمكن تحديد معناها حتى تكتمل مكونات السياق وتستوفي الجملة معناها كاملاً وإلا فإن الكلام المبتور يبقى متعدداً في دلالته بشكل محدود في تردده بين الوجوه المحتملة، وهذا التعدد الدلالي يجعل إشارات اللغة كلها ذات وجوه فهي مشتركة.

ولنضرب مثالاً على هذا البرهان:

١-كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لو بترت لأصبحت كلمة كفر (لا إله).

٢-قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)[1] فلو بترنا السياق لصار الكلام (فويل للمصلين) وهذا يغير المعنى بشكل أساسي ولولا سلطة السياق التي لها القدرة على توجيه المعنى وإتمامه لأعطى فهماً آخر.

٣-ما يقوم به المتخاصمون من اجتزاء الكلام ليتصيدوا به المثالب على خصومهم ما هي إلا عملية بتر السياق وهذا مثال وجداني يمارسه الكثيرون لا سيما في الجدال.

---

(١) الماعون/ ٤.

أنواع السياق:

يقسم أحد الباحثين الدلالة السياقية إلى قسمين:[١]

١- الدلالة السياقية اللفظية، ٢- الدلالة السياقية الحالية.

١- الدلالة السياقية اللفظية: نسق الكلام إذ ترتبط الكلمات في السياق بعلاقتها بما قبلها وما بعدها من ألفاظ سواء تقدمت أو تأخرت إذ للوحدات الدلالية المجاورة أثرٌ في تحديد المعنى[٢]، وقد عرف القدماء أثر السياق في المعنى فالشريف المرتضى يصرح: (اللفظ إذا تعقبت حاله ترى أن أكثر الكلام مركب مما إذا فصلنا بعضه عن بعض أفاد ما لا يفيده المركب)[٣].

وكذلك يقول ابن قيم الجوزية في أهمية السياق وضرب مثلاً (ذق إنك أنت العزيز الكريم)[٤] كيف نجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير)[٥].

ويعطي الزركشي دوراً مهماً لدلالة السياق (فإنها ترشد إلى تبين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم)[٦].

---

(١) د. حامد كاظم عباس، الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ص١٦٠ - ١٧٠.

(٢) ظ، ن. م، ص١٦١.

(٣) الذريعة إلى أصول الشريعة: ١ / ٢٤٠.

(٤) الدخان / ٤٩.

(٥) ابن قيم الجوزية، روائع الفوائد: ٤ / ٩ - ١١.

(٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٢٠٠.

وعلى هذا فإن دلالة السياق تخلص اللفظة من اشتراك الدلالات.ولعل هذا ما قام به د. محمود البستاني في تجربته مع منهجه البنائي في التفسير [١] .

ونلحظ هذه السياقات في القرآن الكريم بشكل واضح في كثير من سوره ولعل هذا ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام: (يا جابر إن للآية ظهراً وللظهر ظهراً، ولها بطن وللبطن بطناً، يا جابر إن الآية ليكون أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه)[٢].

يقصد ان الآية في وحداتها السياقية الصغيرة تعطي عدة مفاهيم متنوعة ومتخالفة يربطها السياق الأكبر إذ يقوم بتصريف السياقات الصغيرة لصالحه في وجهٍ واحد.

ويرى أحد الباحثين أن السياق اللفظي يمكن أن تلحظ فيه عدة لحاظات إذ يقسمه إلى (السياق الأضيق والأوسط والأشمل)[٣] وفي ظني أنه يقصد أن النص الأدبي المترابط والمسبوك يمكن ملاحظته بثلاث حيثيات فعلى مستوى المفردة يمكن ملاحظة سياق المفردة في الجملة الصغيرة، وعلى مستوى طول الجملة أو الكتلة المعنوية المكونة من أكثر من جملة يمكن ملاحظة السياق التركيبي لها لتنتج الدلالة المتكاملة، وهذا هو السياق الأوسط، ومراده بالأشمل الدلالة الكلية للنص من مبتدأه إلى منتهاه، وبذلك تتكامل صورة النص دلالياً. وعند ملاحظة السياقات الصغيرة (الضيقة) نجد أنها وحدات دلالية صغيرة يمكن أن تكون متنافرة للوهلة

---

(١) د. محمود البستاني، المنهج البنائي في تفسير القرآن، مجلة قضايا إسلامية / العدد الثاني ١٩٩٥ – ص١٥.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ص٢٢.

(٣) د. عبد الأمير زاهد، مقدمات منهجية في تحليل النص القرآني، مجلة السدير، العدد ٩ السنة الثانية سنة ٢٠٠٥ ص٤٨.

الأولى إلا إنها في السياق الأكبر أو (الأوسط) يمكن ملاحظة الوجه الجامع بين هذه المتخالفات وصولاً إلى السياق الأكبر الذي ينظم تلك السياقات في سلكه كنظام المسجة ليخلص إلى المعنى الكلي وهذا في الأصل ما كانوا يسمونه بعلم المناسبة إذا أجهد المفسرون أنفسهم على ربط الآية بما قبلها وما بعدها، والكتلة المعنوية ذات الموضوع الواحد في ثنايا السورة الواحدة بما قبلها وما بعدها، والسورة القرآنية كاملة بما قبلها وما بعدها وصولاً إلى تعيين المقاصد الموضوعية للنص كله تجد هذا واضحاً في تفاسير المجمع والكشاف ومفاتيح الغيب... الخ.

٢- الدلالة السياقية الحالية: ويراد به الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب صدور النص وتحيط به)[١] كأسباب النزول مثلاً وبيئة النزول (المكي والمدني) وظروف الصدور مثل ظروف صدور الرواية التي تحدد ما إذا كان العمل بها مطلقاً أو ظرفياً فإن المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من أجزاء معنى الكلام من ملابسات وظروف ذات صلة)[٢]. ويسميه البعض السياق المقامي[٣] ولعلنا نطرح سؤالاً يتبادر إلى الأذهان، هل هناك تضارب بين الدلالة اللفظية والدلالة الحالية ؟

ويمكن الإجابة على هذا التساؤل، بأن بين السياق اللفظي والسياق الحالي نوع من التخصيص، والتعميم فإن السياق الحالي يقوم بمهمة التخصيص للمراد اللفظي للنص بلحاظ بظرفه وملابساته إذا كان السياق اللفظي يختزن بعداً دلالياً شاملاً مفاده تعميم المعنى لكل المصاديق المشابه وإذا أخذنا بنظر الاعتبار (السياق الحالي)

---

(١) د. حامد كاظم عباس، الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ص١٧٠.

(٢) د. محمود السعران، علم اللغة ص٢٨٨.

(٣) د. محمد المتقن، في مفهومي القراءة والتأويل، العدد / ٢ المجلد ٣٣ أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٤م ص٣٧.

فإن هذا ما يبرر لنا دخول (أسباب النزول) في التفسير الموضوعي بشترط أن يكون له صلة بموضوع البحث لا أن يكون وارداً كرواية من روايات تفسير هذه الآية. فتكون نسبة مشاركة هذا العلم في التفسير الموضوعي كضيف شرف لا كما أثبته بعض من عرف التفسير الموضوعي كركن منه.

وهناك تقسيم آخر ممكن أن يلحظ للسياق.

(هو السياق المكاني والسياق التناظري).

ونقصد بالسياق المكاني أو (المحلي): بأنه ذلك السياق الواحد المترابط في مكان واحد حيث تؤول إشاراته اللغوية إلى معنى تفسيري معين لا يحتاج فيه إلى سياقات أخرى لتغيره.

بينما السياق التناظري: حيث نتتبع النظائر في سياقاتها ثم نجمعها على أساس التماثل والتناظر ونقارن بينها لتفسر لنا الاشتراك في هذه النظائر. والى هذا أشار الدكتور عبد الأمير زاهد بقوله: (والسياق – عندي – متصل ومنفصل).

فالمتصل: ما سبق الآية وما أعقبها من نص، وما داخلها من وجهة.

والمنفصل: الآيات التي تناولت المضمون ذاته وإن وردت في موضع آخر فبالجمع بينها وبين الآية محل البحث تتضح علاقة العموم بالمخصصات، والإطلاق بالمقيدات، والإجمال بالمفصل، والغامض بالمفسر والمحكم بالمتشابه... الخ) ولعل هذا هو الأصل فيما أطلق عليه العلماء سابقاً بتفسير القرآن بالقرآن)[١] والبعض

---

(١) د. عبد الأمير زاهد، مقدمات منهجية في تحليل النص القرآني، مجلة السدير العدد ٩ / السنة الثانية ص٥٤.

يسميه السياق النصي وعنه يقول اللسانيون: إن المعنى في النص خاضع لعملية التركيب سواء على مستوى الجملة أو مستويات الخطاب، وبموجب هذا يكون فهم اللاحق مستنداً إلى فهم السابق[١] .

ويشخص البعض نوع آخر من السياق وهو (السياق الثقافي) ومفاد هذا الاصطلاح أن تأويل النصوص لا يتم إلا بجعلها تتسق مع سياق ثقافي محدد، فعلى المؤول أن يراعي الخصوصية الثقافية للنص وصاحبه)[٢]. وعلى هذا فلابد إذن من الرجوع إلى الفهم الشرعي للنص القرآني والالتزام بالمصطلحات القرآنية، والارتباط بالثقافة الإسلامية. ولكن كيف نصل إلى السياقات المتناظرة ؟فلابد من استثمار منطق الاستقراء لكي تتكامل ثنائية (السياق والاستقراء).

---

(١) د. محمد المتقن، مفهوم القراءة والتأويل عدد / ٢ مجلد ٣٣ ٢٠٠٤ م ص٣٧.

(٢) ن. م

المطلب الثاني: منطق الاستقراء:

مقدمة في المناهج الفكرية لدى المسلمين:

في عمليات الترجمة الأولى لعلوم اليونان في القرن الثالث الهجري جاء المنطق الأرسطي وكان في مباحثه الأولية مفهوم التصور والتصديق ثم طوره مناطقة الإسلام وأضافوا عليه مباحث قياسات الحمل والقياسات الشرطية وغيرها لكنه واجه حملة نقد علمي كبيرة مفادها أن منطق ارسطوا لا ينتج الأفكار ويبتكرها أو يكتشفها كما توصل إلى ذلك العلماء المسلمون وتابعهم على ذلك فيما بعد المفكرون الأوربيون في عصر النهضة الأوربية إنما يقوم فقط بتنظيم الأفكار مع بعضها لكي تبرهن على صحة مفهومٍ ما، بل هو عبارة عن قوالب توضع فيها المعادلات الفكرية الصحيحة وغيرها لتوثق المعرفة، وقد نقد المنطق الأرسطي كثير من العلماء[١]. مما دفع البعض للتفكير بجدية إلى إيجاد منطق إسلامي[٢] وفق معطيات الدين الإسلامي، حيث يقول المدرسي (إن الأمة الإسلامية في البداية حصرت نفسها على المنطق الإسلامي)، ولكن مع توسع الدولة وضعف العناصر الرسالية فيها، استوردت الفكر والمنطق والنظام من الخارج حيث ترجمت الكتب الفلسفية في بداية القرن الثاني الهجري)[٣].

وهكذا يقول السيد الخوئي وهو ينتقد المنطق الأرسطي: (لا يتوقف الاجتهاد على علم المنطق أصلاً) وهو قطعاً في هذه لا يريد استعباد الآلية المنطقية مطلقاً إنما يفهم منه عدم التمسك بالنمط الأرسطي من المنطق لأن المهم في المنطق إنما هو بيان ماله

---

(١) راجع نقد الآراء المنطقية، الشيخ علي كاشف الغطاء، ود. سامي النشار، المناهج لدى الإسلاميين.

(٢) كمحاولة السيد محمد تقي المدرسي في كتابه (المنطق الإسلامي).

(٣) محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي / ١٣٤.

دخالة في الاستنتاج من الأقيسة والأشكال بوصفه كلية الكبرى، وكون الصغرى موجبة في الشكل الأول مع أن الشروط التي لها دخل في الاستنتاج مما يعرفه كل عاقل حتى الصبيان)[١].

ولأجل ذلك ظهرت في الآونة الأخيرة صيحات تطالب بفرز النصوص السماوية عن المصطلحات المنطقية والفلسفية واسموا منهجهم بالمنهج التفكيكي[٢] وهم بذلك يحاولون فك القيود الدخيلة على المفاهيم الإسلامية ولعل تلك الأفكار لا يراد منها إلغاء المنطق الأرسطي برمته بل يجب أن يتحرر الفكر الإسلامي من الجمود عليه فهناك مناهج أخرى تنتج المعرفة كمنهج الاستقراء والإحصاء اللذان يمكن لهما أن يضفا معلومات دقيقة ونافعة.

فائدة الاستقراء في الحقل الديني:

والسؤال المهم ما الجديد الذي سيضيفهُ منهج الاستقراء ؟

إن استخدام منهج الاستقراء في الحقل الديني له أهميته واعتماد هذا المنهج في الحقل الديني بالذات له خصوصية منتجه فإن النص الإسلامي أصله إلهي وقد أنزل على شكل شرائع وقوانين تمثلت (بالقرآن والسنة المطهرة) بمعناها الأشمل، وكما هو واضح فإن القرآن الكريم ليس كالكتب المؤلفة التي تختص بموضوع أو عدة مواضيع مصنفة ومنظمة إنما جاءت مواده المعرفية منتشرة على طول القرآن هدفها

---

(١) الميرزا علي الغروي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقرير أبحاث السيد الخوئي الاجتهاد والتقليد ص٢٥، مطبعة الآداب، النجف.

(٢) راجع كتاب المدرسة التفكيكية، محمد رضا حكيمي، ترجمة / عبد الحسين سلمان، مراجعة / عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي ط١ ١٤٢١ هـ.

الرشد العلمي والبيان الرباني للقيم العالية التي ترتقي بالإنسان إلى الوضع الأكمل كذلك السنة الشريفة فإنها عبارة عن أحاديث قيلت في زمن ما وحفظت في الصدور والرقاع بشكل غير منظم أيضاً سواء فيما روته المذاهب الأخرى أو الشيعة الإمامية، ولكن السنة الشريفة أخذت طريقها في التبويب والتنظيم على أساس وحدة المتناول الموضوعي ولم يحدث هذا للقرآن سوى. محاولات معرفية غير متسيرة ظهرت في القرنين الماضيين المعاجم المفهرسة للألفاظ القرآنية أو الموضوعات التي تختص بمجال واحد، وعليه فإن الاستقراء لهذه المفردات إذا تم على أساس موضوعي يشكل خطوة متقدمة في عملية الاستنباط الفقهي، وهذا يعتمد على إستقراء الأشباه والنظائر في الجوانب الموضوعية في القرآن والسنة.

على إننا لا نغفل أن هناك خطوة معضدة لفهم النصوص الدينية قام بها علماء العربية وهي تدوين اللغة وصياغة قواعدها من خلال تتبع المفردات واستعمالاتها وكيفية نطقها ويرجع الفضل في ذلك إلى منهج الاستقراء. ليسجل أولى خطواته في الحقل المعرفي.

وقد قام الإمام المفكر السيد محمد باقر الصدر باستثمار منهج الاستقراء في الحقل الديني لاثبات العقيدة من خلال كتابه (الأسس المنطقية للاستقراء) إذ يعد دراسة مبتكرة وفريدة للاستقراء وكانت تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الإنسانية، وللإيمان بالله تبارك وتعالى عن طريق ما يتصف به العالم من مظاهر الحكمة والتدبير، فإن هذا الاستدلال كأي استدلال علمي آخر – استقرائيٌ بطبعه.[١]

---

(١) محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء / آخر صفحة.

الفارق بين المنطق الأرسطي (القياس) ومنطق الاستقراء:

نحاول أن نسلط الضوء على مميزات كل من المنطق الأرسطي والمنطق الاستقرائي من خلال هذه المقارنة لكي تتضح معالم المنهجين:

١-منطق الاستقراء يتجه إلى التجربة على العناصر الخارجية - وهي في بحثنا المفردات القرآنية - بينما منطق القياس يتجه إلى تنظيم العلاقة بين الأفكار.

٢-المنطق الأرسطي يسمى المنطق الاستنباطي فهو مرحلة متأخرة بينما المنطق الاستقرائي يعتمد على الملاحظة والبرهان فهو مرحلة تأسيسية لذلك فإن المنطق الأرسطي ينظم المعلومة بينما المنطق الاستقرائي ينتج المعلومة.

٣-المنطق الأرسطي لا تكبر نتيجة المقدمات التي تكون منها الاستدلال، بينما في الاستقراء النتيجة أكبر من المقدمات، إذ يعتمد على الجزئيات ليعطي الكلية كقانون.

٤-يعتبر السير الفكري في الدليل الاستقرائي معاكساً للسير الفكري للدليل الاستنباطي، فالأول من الخاص إلى العام، والثاني عكسه.

٥-يستند المنطق الأرسطي على مبدأ عدم التناقض بين العلة والمعلول في حين يستند المنطق الاستقرائي على تناسق العلة والمعلول أو البديهة العقلية، أو المماثلة الكاملة بين الجزئيات.

منهج الاستقراء:

الاستقراء (لغة): من القراءة قرأ الشيء قُرءاناً بالضم أي جمعه وضمهُ ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور يضمها [١] .

واستقراء على وزن استفعال وعلى قاعدة زيادة المباني تدل على زيادة المعاني فإن الألف والسين والتاء المزيدة على أصل الفعل تدل على طلب الفعل والحاصل ان الاستقراء يرد بمعنى أمعن في تتبع الأشياء وجمعها وضمها بطريقة مقصودة.

الاستقراء (اصطلاحاً): عُرف عدة تعريفات منها:

في المعجم الوسيط، الاستقراء: تتبع الجزئيات للوصل إلى نتيجة الكلية)[٢].

وذكر الشيخ المجدد المظفر في منطقه هو ((دراسة الذهن لعدة جزئيات ليستنبط منها حكماً عاماً))[٣]. ونرى أن كلا التعريفان لم يبينا أساس المشكلة وهي (الطفرة) من الجزئية إلى الكلية.

وعرفه السيد الصدر أنه ((كل استدلال تجيء النتيجة فيه أكبر من المقدمات التي ساهمت في تكوينه)[٤] وهو تعريف وصفي كما ترى.

وعرفه المدرسي ((بأنه البحث عن علاقة بين الظواهر التي تحدث.... ثم يقول: ذلك لأن الاستقراء هو القيام بتجميع الظواهر إلى بعضها))[٥].

---

(١) المعجم الوسيط، مادة: قرأ.

(٢) المعجم الوسيط، مادة: قرأ.

(٣) محمد رضا المظفر / المنطق: ٢/ ٢٥٦.

(٤) محمد باقر الصدر / الأسس المنطقية للاستقراء / ١٨.

(٥) محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي / ٣٨٠.

وفي مقاربة لهذا التعريف:ان الاستقراء يتكون من مرحلتين:

المرحلة الأولى: (الاستقراء الشكلي): وهو عبارة عن تتبع النماذج المتماثلة وجمعها.

المرحلة الثانية: (الاستقراء الحقيقي): وهو عبارة عن إيجاد العلاقة بين الظواهر المتماثلة (المرحلة الاستنباطية)[١].

لا غبار على المرحلة الأولى كونها خطوة أساسية يقوم بها الباحث إلا إن النقاش وقع في المرحلة الثانية مرحلة تعميم الحكم على كل الجزئيات كما سماها الفيلسوف الإنكليزي دفيد هيم (١٧١١ – ١٧٦٠) [٢] وقد حاول العلماء حل هذا الإشكال كلٌ حسب أطروحته.

أنواع الاستقراء:

أما الشيخ المظفر فقد عرض لشبهة مستعصية مفادها:

إن أكثر قواعدنا العامة ناتجة عن الاستقراء، وإن كل قاعدة غير متناهية الأفراد لا يمكن تحصيل الاستقراء التام فيها فيلزم أن أكثر قواعدنا ظنية ؟ ولحل هذه الشبهة: قسم الاستقراء إلى أربع نقاط:

أن يبنى الاستقراء على صرف المشاهدة فقط، وفي هذا يمكن أن تتخلف بعض الجزئيات، فتكون القاعدة ظنية، وضرب مثلاً عندما استقرء بعض الحيوانات التي تحرك فكها الأسفل عند المضغ، في حين أن هناك حيوانات تحرك فكها الأعلى

---

(١) ظ، ن. م، ص٣٨٠ – ٣٨١.

(٢) الأستاذ يحيى محمد، الدليل الاستقرائي عند المفكر السيد محمد باقر الصدر، مجلة المنهاج عدد / ٢١ السنة السادسة، ربيع ١٤٢٢ – ٢٠٠١، ص٥٩.

كالتمساح فلا يمكن الخلوص إلى قاعدة كلية يقينية.

أن يبنى التعليل على الجزئيات فيلزم أن يكون الحكم أو الوصف منطبق على بعضهما، لوجود علة لا تتخلف عنها معاً، فإننا لأجل العلة مثلاً حكمنا بهذه القاعدة الكلية فيجوز استقراء بعض الجزئيات لا كلها كما لو فحصنا عدة قطع من الحديد بأنها تتمدد بالحرارة فلا نحتاج إلى استقراء كل قطعة حديد.

أن يبنى الاستقراء على بديهة العقل، كحكمنا بأن الكل أعظم من الجزء وأن الواحد نصف الاثنين فإن هذه من الأوليات العقلية.

أن يبنى الاستقراء على المماثلة الكاملة بين الجزئيات كما إذا اختبرنا بعض جزئيات نوع من الثمر فعلمنا بأنه لذيذ الطعم مثلاً فإنا نحكم حكماً قطعياً بأن كل جزئيات هذا النوع لها هذا الوصف.[1]

فتبين أن النقطة الأولى لا يمكن التعويل عليها لأنها ظنية، أما النقاط الباقية وهي ما إذا قام الاستقراء على مبدأ العلة والمعلول أو مبدأ البديهة العقلية، أو مبدأ التماثل فإن الحكم يكون قطعياً.

وفي ما يخص بحثنا القرآني فإن (استقراء التماثل) هو الذي يدخل في موضوعنا ونعنى به استقراء (الأشباه والنظائر)، فإننا نستقرأ الكلمات المتماثلة (المتشابه) (المتناظرة). ولهذا فإننا لسنا بحاجة إلى الدخول في النقاش الدائر بين الحل الذي تقدمه المدرسة الأرسطية – إلى اعتمدت على مبدأ العلية (السببية) في حل هذه الثغرة كون الاستقراء في حقيقيته يعتمد على قاعدة عقلية كلية أولية وهي (الكبرى)

(١) محمد رضا المظفر، المنطق، ٢ / ٢٦٨.

وصغراهُ المفردات (الجزئيات) الملحوظة، وبهذا جعلوا الاستقراء نفسه منطوياً على قياسٍ خفي يبتني على بعض المبادئ العقلية – وبين المدرسة التجريبية التي تعاكس المدرسة العقلية الأرسطية إذ إنها تعتمد في إنتاج المعرفة على الاتجاه من الخاص إلى العام، وليس العكس.

وأما الاتجاه الثالث الذي ذهب إليه السيد الصدر فإنه اقترح بما يسمى (المذهب الذاتي) في حل هذه الطفرة: إذ يتكون الاستقراء من مرحلتين: المرحلة الاستنباطية، المرحلة الذاتية.

ففي المرحلة الأولى: حيث تتراكم القرائن الاحتمالية في الذهن البشري باتجاه محور قضية ما، تحصل للذهن حالة إذعان للتسليم (ذاتياً) بصحة هذه القضية وهو قياس يبدأ من العام إلى الخاص، ثم تأتي مرحلة التراكم للجزئيات المستقرأة فتزداد الاحتمالات (الصدق واليقين)، فتكون العلاقة طردية: كلما تراكمت الاحتمالات كلما زاد اليقين وهكذا.[١]

القرآن يدعو إلى الاستقراء:

الاستقراء مصطلح علمي حادث، عرفنا معناه اللغوي وهو (التتبع) كما عرفنا معناه الاصطلاحي: (وهو تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة الكلية) وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى تتبع هذه الجزئيات لتتراكم بعضها على بعض فتكون لدينا قناعة

---

(١) للمزيد: يراجع كتب الأسس المنطقية للاستقراء، للسيد الصدر، الاستقراء والمنطق الذاتي، يحيى محمد، المذهب الذاتي، السيد كمال الحيدري، والسيد عمار أبو رغيف في الأسس المنطقية للاستقراء في ضوء دراسة د. سروش، ط١ مجمع الفكر الإسلامي ١٤٠٩ هـ، مجلة المنهاج عدد / ٧ السنة الخامسة ربيع ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م، تحت عنوان (نظرية المعرفة في ضوء الأسس المنطقية للاستقراء) ص١٢٥، مجلة المنهاج، عدد / ٢١ السنة السادسة ربيع ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م / ص٥٩.

كبيرة بالنتائج، وهذا ما أكده السيد الصدر في كتابه (الاستقراء) حيث يشير في آخر صفحة منه إلى مفتاح الاستقراء وهي الآية المباركة﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[١] قال الطبرسي (سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم، وأقطار السماء والأرض، من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والبحار والجبال وفي أنفسهم وما فيها من لطائف الصنعة وبدائع الحكمة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أي أن الله الحق[٢].

لقد استثمر السيد الصدر منطق الاستقراء في أصول العقيدة حيث ذكر المحققون أن كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) تعد دراسة جيدة للاستقراء حيث تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله تبارك وتعالى حيث قال في كلمته الأخيرة: إن الأسس المنطقية التي تقوم عليها كل الاستدلالات العلمية المستمدة من الملاحظة والتجربة هي نفس الأسس المنطقية التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المدبر لهذا العالم، عن طريق ما يتصف به العالم من مظاهر الحكمة والتدبير، فإن هذا الاستدلال كأي استدلال علمي آخر – استقرائي بطبيعته.

فالإنسان بين أمرين: فهو إما يرفض الاستدلال العلمي ككل، وإما يقبل الاستدلال العلمي ويعطي للاستدلال الاستقرائي على إثبات الصانع نفس القيمة التي يمنحها للاستدلال العلمي.[٣]

---

(١) فصلت / ٥٣.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان: ٩ / ٢٦ ط دار العلوم.

(٣) محمد باقر الصدر / آخر صفحة من الأسس المنطقية للاستقراء.

ثم ختم المقالة بهذه الآية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، ولكن كيف يتم الاستقراء؟

فالآيات منتشرة من حولنا وتتبعها يحتاج إلى السير في هذه الأرض لكي تتراكم لدى الإنسان صور الآيات وبدائع الخلقة، ومن ثم الاعتبار وأخذ النتيجة من تلك المقدمات (الجزئيات) فقد أشار القرآن الكريم إلى أهم ركيزتين من ركائز الاستقراء وهي ثنائية (السير والنظر) وقد ارتبطت كلمة (سيروا.... فنظروا) في ثلاث عشرة آية.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[١] وهناك ست آيات بنفس المعنى[٢] هي تؤكد على الاعتبار بآثار الأمم الاسبقة.

وآيات أخرى تؤكد على الاعتبار بعاقبة المجرمين والمكذبين قال تعالى:﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣] وآية أخرى تسلط الضوء على بدأ الخليقة ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[٤]وآية تؤكد على أن الأرض مبنية على نظام سنني لا يتغير قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾[٥] ثم في آية أخرى يؤكد على الاعتبار والنظر بواسطة العقول قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[٦] بعد عرض هذه الآيات حاول المفسرون توضيح الأبعاد التي تحتملها هذه الآيات.

---

(١) يوسف / ١٠٩.

(٢) الحج / ٤٦، الروم / ٩، فاطر / ٤٤، غافر / ٢١، غافر / ٨١، محمد / ١٠.

(٣) النحل / ٣٦.

(٤) العنكبوت / ٢٠.

(٥) الحج / ٤٦.

(٦) الحاج سلطان محمد الجنابدي، تفسير بيان السعادة: ٢ / ٣٧٤.

فقد فسر أحدهم الأرض بالمعنى الأعم (أرض العالم الكبير والصغير وأرض القرآن أو أرض أحكام الشريعة أو أرض السيَّر والأخبار الماضية)[١] فيوسع المفسرون هنا مجال البحث ليشمل كافة الأصعدة ومن ضمنها القرآن وتفسير الأرض بالقرآن له سند شرعي كما ورد في الكافي عن الإمام الصادقعليه السلام (سيروا في الأرض) قال: (عني بذلك انظروا في القرآن)[٢].

اما تفسير كلمة (سيروا) فإن السير والتجوال في الأرض لمشاهدة آثار الماضين فالقرآن يدعو إلى سياحة إلهية أخلاقية فيها عبرة لأنفسنا) وهذه السياحة تولد لنا (المعرفة) التي هي وليدة الفكر والحس الواعي لأن العقل يتغذى من الملاحظات الدقيقة التي يلاحظها مما يراه من آثار وتجارب عاشها الآخرون)[٣] وكل ذلك بواسطة الاعتبار ولهذا فسرت كلمة (ينظروا) بالاعتبار والتفكر بالعقل لا النظر الحسي حيث قال أحدهم ينظروا بعين عقلهم[٤] وقال آخر (ينظروا) أي يعلموا[٥]. وبهذا يكتمل ركني الاستقراء (سيروا.... فنظروا) (فالسير) في الأرض بمعناها الأعم هو المرحلة الأولى والذي سماه المدرسي[٦] (الاستقراء الشكلي) وهو الذي يجمع كل المعلومات الممكنة ويعبر عنها بلفظٍ واحد.

---

(١) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي: ١ / ٣٥٥، تفسير المعين: ١ / ١٨٢، كنز الدقائق: ٣ / ٢٢٨، الجوهر الثمين: ١ / ٣٧٥.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل: ١٠ / ٣٢٩.

(٣) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ١٦ / ٩٧.

(٤) الشيخ محمد السبزواري النجفي، التفسير الجديد: ٤ / ٩٧.

(٥) السيد محمد الحسيني الشيرازي، تقريب القرآن: ١٣ / ٦١.

(٦) السيد محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي ص٣٨١.

أما (فنظروا) فقد سماه (الاستقراء الحقيقي) أو التام وهو الانتقال من عدد محصور من القضايا إلى قاعدة عامة، والتي يسميها القرآن (العبرة)، لقد تبنى الإسلام الاعتبار ودعا إليه كمنهج لعملية التفكير حين قال تعالى (واعتبروا يا أولي الأبصار) حيث تبين بأن الاعتبار ممارسة لأولي الفكر والبصر، فالقرآن يرسم لنا حدود الاستقراء من خلال ثنائية (سيروا... فنظروا).

استقراء التماثل:

قلنا بأن الذي يدخل في حيز بحثنا هو واحد من أنواع الاستقراء ألا وهو (استقراء التماثل)، وهو محاولة لتتبع الجزيئات (المفردات) المتماثلة (المتشابهة) في النظام الكوني والنظام القرآني.

فإن الآية التي تطرح أما الفكر، كموضوع خاضع للتحليل، يتعامل معها الفكر باعتبارها بنية إشارية تحتاج إلى الاستكشاف، فهي معطى مجهول يكتنفه الغموض كلياً أو جزئياً، وكل مجهول في القرآن يسمى (متشابهاً)، وللتخلص من هذا (التشابه) نتوسل بالتماثل بين الجزئيات (المفردات) التي يكون أحدها معروفاً والآخر مجهولاً فالتماثل هو المعيار الذي يكال به المجهول والذي يكون في أحد أطراف الميزان والمعلوم المشابه له يكون في الطرف الآخر.

وقانون التماثل قانون مطرد في النظام الكوني وعلى كافة الأصعدة حيث تعرف الأمور بأشباهها ونظائرها ولهذا يقول الإمام علي عليه السلام (إن الأمور إذا اشتبهت أعتبر آخرها بأولها)[1] وهو يؤكد على نظام سنني قائم على التشابه بين عينات تقترن مع بعضها لتقرأ شفراتها بواسطة العبور (الاعتبار) من طرفها المعلوم إلى طرفها المجهول.

---

(١) الإمام علي، نهج البلاغة، قصار الحكم (٧٦).

وهكذا يؤكد الإمام علي(عليه السلام) على هذا المنهج في كلامه الحكيم فيقول: (اعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضاً، وآخرها لاحقٌ بأولها) وقال: (عباد الله إن الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين، آخر أفعاله كأوله متشابهةٌ أموره)[١]، وقال: (استدل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه) وهو بذلك ينظر إلى قانون التماثل الذي يجري في العلوم الإنسانية والطبيعية. أما الإنسانية كالتاريخ والاجتماع فالاعتبار بماضي الدنيا بما بقي منها، (فإن الدنيا ماضية بكم على سنن)[٢].

وفي نفس الخطوات يعول الإنسان في العلوم الطبيعية عليه فيحاكي الطبيعة في صناعتها فصنعت الطائرة بدلالة الطير وصنعت السفينة بدلالة الطيور السابحة وهكذا وتحت نفس القانون يخضع القرآن لقانون التماثل، حيث يقول الله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني...﴾[٣] (أي يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً)[٤]، ويقول الإمام الصادق(عليه السلام): (المتشابه: الذي يشبه بعضه بعضاً)[٥].

إن التناظر والتماثل بين آيات القرآن باعتماد القرآن على التكرار في عباراته وألفاظه الذي عبر عنه بأنه (مثاني) والذي يمكن أن يلحظ بوضوح بتقليب صفحات المعاجم التي استهدفت فهرست ألفاظ القرآن وهذا هو التكرار الذي يؤسس للتماثل القرآني الذي يلفت النظر إلى سؤال مهم: ما جدوى التشابه بين كلمات القرآن ؟ وقد أجيب على هذا السؤال في عدة محاور إلا إن أهمها قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) الإمام علي، نهج البلاغة، خطبة (١٥٧).

(٢) ن. م خطبة رقم (١٩٠).

(٣) الزمر / ٢٣.

(٤) زيد بن علي، غريب القرآن، سورة الزمر / رقم ٢٣، ص٣٥، الطبرسي، مجمع البيان: ٨ / ٣٠٠.

(٥) تفسير العياشي: ١ / ١١.

مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[١] .

ابتغاء تأويله أي تفسيره [٢] وذلك بواسطة رد المتشابه إلى المحكم، فالمحكم هو الطرف المعلوم من المعادلة، والمتشابه هو الطرف المجهول من المعادلة، وبدلالة المعلوم يعرف المجهول، قال الإمام الرضا عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن في القرآن محكماً ومتشابهاً،فمن رد المتشابه إلى المحكم فقد هدي صراط مستقيم...)[٣].

لقد كانت طبيعة التفقه في كتاب الله تعالى في العهود المتقدمة التي راعاها الرسول والأوصياء قائمة على إتباع التماثل، للوصول إلى معرفة متشابه القرآن، فلقد قام عمر بن حنظلة بهذه العملية وعرضها على الصادق عليه السلام: في قوله تعالى﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٤] قال: لما رآني أتبع هذا وأشباهه عن الكتاب، قال حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا في الأئمة عُني به)[٥] إذ قام عمر بن حنظلة بعملية استقراء كلمة (الشهادة) ونظائرها في القرآن الكريم. وهذه هي الخطوة الأولى، ثم أعطاه الإمام الصادق عليه السلام نتيجة استقراءه عندما قال له: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا في الأئمة عني به).

حيث قام عمر بن حنظلة باستقراء الجزئيات المنتشرة في القرآن وهي (الشهادة) فأعطاه الإمام عليه السلام القاعدة الكلية وهذا هو بعينه منهج الاستقراء (قراءة الجزئيات

---

(١) آل عمران / ٧.

(٢) زيد بن علي، غريب القرآن، آل عمران / ٧، الطبرسي، مجمع البيان: ٢ / ١٩٥.

(٣) الأصفهاني، عوالم العلوم: ٢ - ٣ / ٥٢٦.

(٤) الرعد / ٤٣.

(٥) الفيض للكاشاني، مقدمة تفسير الصافي.

للوصول إلى قاعدة كلية).

إن هذا النوع من الاستقراء (استقراء التماثل) ما زال في زاوية الخمول إذ لم يفعل الاستقراء إلا في النوع الذي يعتمد على مبدأ العلة والمعلول ولعلنا في استثمار (استقراء التماثل) في القرآن الكريم نخرجه من الركود الذي عطله.لكن ينبغي لنا أن نحلل ماهية التماثل كما حللنا ما هية الاستقراء.

التمثيل (التماثل):

فالتماثل هو ثالث أنواع الحجة وعرف بأنه (انتقال الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم على الآخر بجهة مشتركة بينهما)[1] فمن واقع التعريف نعلم أن التمثيل يتركب من أربعة أركان:

(الأصل): وهو الجزئي الأول المعلوم ثبوت الحكم له. ← المعلوم (المحكم)

(الفرع): وهو الجزئي الثاني المطلوب إثبات الحكم له. ← المجهول (المتشابه)

(الجامع): وهو جهة الشبهة بين الأصل والفرع.

(الحكم): المعلوم ثبوته في الأصل، والمراد إثباته للفرع.

فإذا توفرت هذه الأركان انعقد التماثل.

حجيته: إن التمثيل المسمى في عرف الفقهاء (القياس) الذي يجعله أهل السنة من أدلة الأحكام الشرعية، والإمامية ينفون حجيته ويعتبرون العمل به محقاً للدين لا يفيد إلا الاحتمال، لأن التشابه في أمر واحد بين الفردين لا يقتضي التشابه في جميع

---

(١) الشيخ محمد رضا المظفر، المنطق: ٢ / ٢٦٠.

الأمور إلا إذا كان (الجامع) أي علة المشابه علة تامة لثبوت الحكم في الأصل وأنى لنا معرفة أن هذا الجامع (علة تامة) ؟

قال المظفر وهو من علماء المنطق والأصول (فليس لنا طريق إليه إلا من ناحية الشارع نفسه)[١] فلو كانت العلة منصوصة من قبل الشارع نفسه حينئذ يمكن ثبوت الحكم في الفرع. ولا خلاف بين الفقهاء جميعاً في الاستدلال بذلك. ولكن كيف نحصل على علم الشارع بهذه المعاني لا سيما في ما يخص القرآن الكريم ؟ لا شك فإن المعرفة تنحصر بالمصدرين الأساسيين (الكتاب والسنة) أما من الكتاب فمن باب القرآن يفسر بعضه بعضاً اعتماداً على السياق كما أسلفنا.

وأما من السنة فيعرف بالنص بعد سلامة السند والدلالة عند ذاك يتوفر لدينا ركن مهم من أركان التمثيل وهو (الأصل) الذي يوصف بأنه معلوم أولاً ومعروف الحكم ثانياً، ثم يأتي الفرع ليقاس عليه. عند ذاك نتجاوز الإشكالية في الجامع.

تطبيق منهج الاستقراء في القرآن:

لقد اعتاد المناطقة الإفادة من منهج الاستقراء في الحقول التجريبية والطبيعية، كما اعتادوا على الاعتماد على مبدأ العلة والمعلول أو مبدأ البديهيات العقلية في محاولة لتعميم نتيجة الاستقراء ولم أجد حسب تتبعي استثماراً للمنهج الاستقرائي اعتماداً على مبدأ التماثل كما لم أجد من استفاد من هذا المنهج في القرآن الكريم ولم أجد من تطرق إليه من الباحثين ما خلا واحد وهو الشيخ توفيق العامر. إذ استفاد من تجربة المدرسي في بحثه للاستقراء فحاول أن يستثمر ذلك قرآنياً.

---

(١) الشيخ محمد رضا المظفر / المنطق ٢/ ٢٦٠.

وعنون الفصل الثالث بـ(الخطوات العملية للاستقراء) غير إنه لم يذكر نوع الاستقراء الذي يستثمره وذكر الخطوات العملية لذلك وهي:

١- قراءة الآيات.

٢- ربط الملاحظات.

٣- مقارنة المفردة بمفردة مشابهة.

٤- دقة الملاحظة.

٥- الكلمات الضد.

أما قراءة الآيات فلتسجيل الملاحظات العامة والخاصة، وأخذ مثالاً كلمة (الرحمن) فسجل هذه الملاحظات عليها، إنها وردت (٥٧) مرة جاءت كلمة الرحمن خمس مرات مع الرحيم و(٧) مرات مع القيامة والشفاعة و(٧) مرات مع إدعاء الولد (٥) مرات في الكفر بالرحمن (٥) مرات مع الإيمان بالله والخشية منه، و(٦) مرات مع القدرة وصدق الوعد فالرحمن كلمةٌ تأتي بمعنى القدرة والعذاب والهيمنة وملك يوم القيامة وخضوع البشر له فهي توحي (بالجبروت والهيمنة والسلطان والاقتدار) وكأنه استنبط المعنى العام الذي سماه (بالجامع المشترك) ثم قال: (فإذا عرفناه فبها، وإذا كان موجوداً ولكن لم نصل إليه فلابد من التسليم بعجزنا وجهلنا، وإما لا أساس للجامع المشترك فلابد من التسليم أيضاً)[١].

ثم إتماماً للفائدة قال وجدنا لكي نفهم مفردة ما، لابد أن نفهم مرادفاتها وأضدادها، فقارن بين الرحمن والرحيم.

(١) توفيق العامر، منهج الاستقراء في القرآن الكريم ص٥٤.

فدقة الملاحظة في الاستقراء أمر حيوي، ولكن المشكلة إن دقة الملاحظة لا منهج لها بحيث يكون كل شخص دقيق الملاحظة)[١] لأنها تعتمد على الذكاء وسعة الإطلاع والخبرة. ثم سجل ملاحظة بالنسبة إلى المشتقات قائلاً: إن المشتقات تأتي بإحدى صورتين:

الصورة الأولى: ما يوافق المشتق المعنى الأساسي مهما تعددت مشتقات اللفظة،

والصورة الثانية: إن لكل مشتقٍ معنى مستقلاً، كما في العدل والعدول.

هذا بشكل مختصر كل ما عرضه وهي محاولة لا بأس بها لكننا نسجل عليه هذه الملاحظات:

ظل في حيز الملاحظات المأخوذة نتيجة المسح الاستقرائي.

حاول تعداد الآيات ثم لم يستثمرها.

لم يتطرق إلى السياق وأثره في إنتاج الدلالة.

لم يذكر في منهج الاستقراء على أي نوع استند وكيف يحل مشكلة التعميم.

منهج الاستقراء التمثيلي:

الطريقة التي نقترحها والخطوات التي نقوم بها هي:

١-اختيار الموضوع:

فإن الموضوع الذي يراد بحثه هو الموضوع (المجهول) أو المتشابه الذي يراد

(١) توفيق العامر، منهج الاستقراء في القرآن الكريم ص٥٧.

أحكامه، أو الذي يراد تفصيله.

٢-إجراء التتبع: والذي أسميناه (الاستقراء الشكلي):

والذي هو عملية قراءة الآيات ذات الموضوع الواحد قراءة تجميعية تراكمية، حيث نستقرء المفردة ومشتقاتها. وكذلك مرادفاتها إذا احتجنا إليها كما ونحاول رصد أضدادها لما فيها من فائدة لنستفاد من مفهوم النص، لأن المفهوم يوافق المفردة الضد في منطوقها.

٣-مرحلة الاستنباط:

وهي عملية ربط الملاحظات التي حصلنا عليها (لأن النظائر) ترتبط ببعضها برابط تفسيري في ظله يفسر القرآن بعضه بعضاً ويشهد بعضه على بعض) من خلال المقارنة بين السياقات المنفصلة أو المتصلة، وهي المرحلة الثانية للاستقراء والتي تسمى الاستقراء الحقيقي وهو (استقراء التماثل) حيث يقاس الجزء المشكوك بالجزء المعلوم لوجود جامع مشترك بينهما ثم يأتي دور الحكم بعد قياس الفرع على الأصل وهي: مرحلة الاستنطاق التي تفك الرموز والإشارات لتوضح دلالة المفردات.

٤- مرحلة الترجمة:

(ذلك القرآن فاستنطقوه ولا ينطق بلسان ولابد له من ترجمان)[1] فعملية الترجمة هي عملية التفسير النهائية التي توضح المعنى وتطبيق ذلك سنعرفه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

لكنني أسجل ملاحظة مهمة في نهاية هذا البحث أن رواد التفسير الموضوعي لمن نظر أو دون تفسيراً على هذا المنهج لم يذكروا أن من أركان التفسير الموضوعي منهج الاستقراء ! فضلاً عن معالجتهم له.

(١) الإمام علي، نهج البلاغة خطبة ().

المبحث الثالث

المنهج التحليلي للأشباه والنظائر

تنظيراً، وتطبيقاً

❋ المطلب الأول: المنهج التحليلي للأشباه والنظائر (تنظيراً):

❋ مقدمة في المنهج التحليلي للنص.

❋ القواعد الممهدة لتحليل النص القرآني.

❋ الاستعمال القرآني حجة.

❋ اكتشاف العلاقة بين الدال والمدلول.

❋ نجوم القرآن.

❋ الترجمة.

المطلب الثاني: المنهج التحليلي للأشباه والنظائر (تطبيقاً):

❊ كتاب (الأشباه والنظائر) لمقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ) وجوه الهدى في القرآن، واستدراكاتها.

❊ كتاب (الوجوه والنظائر) لهارون بن موسى القارئ (١٧٠ هـ) وجوه البر في القرآن واستدراكاتها.

❊ كتاب (الوجوه) لإسماعيل بن أحمد الحيري (٤٣١ هـ)، وجوه الطيب في القرآن، واستدراكاتها.

❊ الوجوه والنظائر عند أهل البيت عليهم السلام (من البعثة – ٢٥٥ هـ)

❊ وجوه الفتنة في القرآن واستدراكاتها

المطلب الأول: المنهج التحليلي للأشباه والنظائر (تنظيراً):

مقدمة في المنهج التحليلي:

ونعنى بمنهج التحليل: منهج يعنى بعزل جزئيات النص، ورصف معطياته ومعرفة أسراره، ثم أنه يعنى بالعلاقة القائمة بين النص والمعاني المترابطة فيه للوصول إلى تشخيص أكبر قدر من المعاني على أصغر نص في الحجم، فهو يعنى بالدلالة وبشكل أعمق بإنتاج الدلالة، وفي المدارس النقدية العالمية ظهرت عدة نظريات متقاربة أحياناً ومتعاكسة أحياناً أخرى ومتوسطة كذلك، كل ذلك ضمن المنهج التحليلي للنص.

ثمة مناهج مستوردة يحاول البعض إسقاطها على النصوص المقدسة كالمنهج البنيوي، والمنهج التفكيكي، وهما منهجان متقابلان متعاكسان.

فالنظرية البنيوية: ألغت المؤلف منطلقة من إيمان عميق (بأن النص بيئة مغلقة مكتفية بذاتها ترفض الإحالة إلى أي مرجع أو سياق خارجي)[١]، وقد يقال هذا هو تفسير القرآن بالقرآن بعينه، ربما يكون كذلك إلا إنه ليس الباب الوحيد للتفسير.

أما النظرية التفكيكية: التي تؤمن بأن (النص لا قيمة له من دون قارئ) نابع هذا الرأي من إن النص غير متضمن لمعنى مطلق ونهائي متحقق بذاته، بل إنه نص مفتوح على ثقافة القارئ فالنظرية البنيوية ألغت المؤلف، والنظرية التفكيكية ألغت النص لتبعث الحياة إلى العنصر المنسي في الخطاب النقدي وهو القارئ[٢]. وهذا بعينه

---

(١) فاضل ثامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، بيروت ط١، الدار البيضاء ط١/ ١٩٩٤، ص١٣١.

(٢) ظ، د. محمد المتقن، في مفهومي القراءة والتأويل ص١١، مجلة عالم الفكر العدد ٢، مجلد / ٣٣ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٤م.

التفسير بالرأي.

لقد تجاذب النقاد العرب مع هذه النظريات، وحذر آخرون من الوقوع في شباك النظريات الغربية وقياس ما فيها على النصوص العربية، فضلاً عن القرآن الكريم.

وهناك المدرسة التفكيكية [١]: وإن كانت تشبه الاصطلاح المتقدم لكنها مختلفة عنه في المعنى إذ نادت بإنقاذ النص الديني من كل ما علق به من نظريات فلسفية وأطروحات بشرية مقتصرة على ما ورد من الشارع من أدوات ومفاهيم.

إن القرآن الكريم كنص سماوي له أدواته الخاصة وله خصائصه التي تفرض نفسها على من يريد فهم القرآن، فمن خصائصه المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، الظاهر والباطن، هذه المصطلحات لم تطرحها أية نظريات ألسنية على تشعباتها وممارساتها الطويلة ولقد طرح رواد القرآن الأوائل كما علمهم رسول الله ﷺ آليات التعامل مع النص القرآني، (القرآن يفسر بعضه بعضاً)، (رد المتشابه إلى المحكم) (الربط الدلالي بين ظاهر النص وباطنه)، (ارتباط النص ببيئة نزوله كأسباب النزول) مع مسايرة النص للزمان (كقاعدة الجري) وغيرها من أدوات هي بمثابة مصنع دلالات.

أما على المستوى النقدي العربي فإن علماء التراث الإسلامي قدموا نظريات نقدية نابعة من بيئة القرآن كنظرية النظم للجرجاني أو نظرية السيد الطباطبائي في ما يخص الظاهر والباطن حيث قال: إن للقرآن مراتب مختلفة من المعنى، مترتبة طولاً من غير أن يكون الجميع في عرضٍ واحد فيلزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد)[٢]

(١) الشيخ محمد رضا حكيمي، المدرسة التفكيكية.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٤ – ٦٥.

وفي أيدينا من كنوز التراث الإسلامي ما يسمى (الأشباه والنظائر) الذي هو منجم للدلالات القرآنية ما يبهر العقول ويبهج النفوس غير إنه لم يتيسر له – فيما احسب – دراسة تحليلية لاستخراج الدلالات القرآنية المتولدة من السياقات التي توجد فيها، حيث إنهم ينقلون ما ورد في كتب من سبقوهم، مع إضافات إما متصيدة من هنا وهناك، أو مستنبطة وفق المنهج العلمي لإنتاج الدلالة إلا إنه لم يكتب في كيفية الاستنباط ولم يذكروا الآلية المتبعة فيها.

ونأمل أن نكون موفقين في تحليل هذا العلم وفق المعطيات التي توصلنا إليها في المبحث الأول والثاني من هذا الفصل.

القواعد الممهدة لتحليل النص القرآني:

لقد مهدنا في المبحث الأول عن العلاقة بين ظاهرتين مترادفتين هما (الأشباه)، (الاشتراك) وبناءً على أن لكل علم مصطلحاته الخاصة به فإننا وصلنا إلى أن المصطلحين يعطيان نفس المعنى، ثم عرضنا أن الظروف والملابسات التي انتجت الاشتراك اللفظي هي نفسها التي أنتجت الاشتراك المعنوي (الترادف) وتحت نفس التأثير برزت عندنا ظاهرة التضاد.

وبما أن القرآن لسانه عربي فقد جاء بأساليب اللغة العربية مفجراً لطاقاتها مبرمجاً لاستعمالاتها. فما نجده من ظواهر في النصوص الأدبية نجده في النصوص القرآنية وعلى هذا فإن كلا النوعين من النصوص يخضع إلى القوانين ذاتها وهذه القوانين هي التي تنتج الدلالة في هذه الحدود.

وقد يتشوق رواد العلم لمعرفة مساهمات الأوائل في هذا المجال لذا: فإن موضوع (الأشباه والنظائر) هو المشروع المعرفي الذي يبرز معالم القرآن ومعانيه إلا إن المؤلفات

فيه قليلة[١] واعتمد الذين ألفوا فيه على (مقاتل بن سليمان) حتى قال الشافعي الناس عيال على مقاتل في التفسير، ولم يحاولوا معرفة السر الكامن في هذا العلم ولم يحاولوا تحليل النماذج التي أتى بها فإذا قمنا بتحليل هذا العلم سوف نحصل على فتح علمي جدير بالاهتمام، وما سنقوم به هو خطوة على هذا الطريق عسى أن نوفق لذلك.

فإذا كانت قناعات أهل العربية باستعمال أهل القبائل للغة كبيرة فلابد أن، تكون قناعاتهم بالاستعمالات القرآنية أكبر إن القرآن الكريم قد فجَّر بحق طاقات اللغة الكامنة فيها لكنها لم تستثمر بعد، فقد نجد به الاشتراك والترادف والتضاد والحقيقية، والمجاز، والعام والخاص..... الخ).

بيد إننا نطمح أن نكتشف سر إنتاج الدلالة، وأظن إننا نظرنا لها في المبحث الثاني الذي عنوناه بـ(الآلية المستخدمة في الأشباه والنظائر) والتي تتكون من آليتين مهمتين هما:

(سلطة السياق واستقراء التماثل):

وعرفنا أهمية السياق في علوم اللغة كافة كالنحو والبلاغة ولا سيما أهمية السياق في إنتاج المعاني المعجمية. وقد تتبع اللغويون السياق في النصوص الأدبية والمأثورات العربية وحريٌ بنا أن نتتبع السياقات القرآنية.

ويكون هذا التتبع بواسطة استقراء التماثل، إذ باستقرائنا للمفردة القرآنية عن طريق اتباع التماثل في جذر الكلمة متتبعين لسياقاتها لنستنبط معانيها وبالتالي فقد

(١) ذكر د. نجف عرشي في مقدمة (وجوه القرآن) لإسماعيل الحيري: إن ثلاث وعشرين مصنفاً ألف في الأشباه والنظائر من عصر ابن عباس إلى السيوطي ٩١١ هـ كتاب (وجوه القرآن)، إسماعيل الحيري ص٣٥ – ٣٩.

حصلنا على الآلية المنتجة للدلالة والدلالة نفسها.

ولابد أن نقوم ما نظن أن له مدخليه في فهم ما نقوم به وهو أشبه بالمبادئ والأسس التي يستند عليه عملنا فمنها: لابد أن نقرر أن الاستعمال القرآني حجة، ولابد أن نكتشف سر العلاقة بين الدال والمدلول منطقياً وبلاغياً ولابد من معرفة الأدلة (العلامات) (النجوم) الموصلة لفهم الدلالات ومعرفة المعنى المركزي والمدارات التي تدور عليه، لرد شبهة التعسف الدلالي الذي أتهم به أصحاب الأشباه والنظائر.

١ - الاستعمال القرآني حجة:

قد عرفنا سابقاً كيفية تكوين (المشترك اللفظي) وأكثره يعود إلى الاستعمال من قبل قبيلتين أو أكثر للفظة الواحدة فتتعدد مدلولاتها بتعدد استعمالاتها.

وكل هذا يستند إلى استعمال أهل اللغة لهذه المفردات التي نقلت إلينا عن طريق الشعر أو النثر فكانت استعمالاتهم حجة ولهذا دونها أصحاب المعاجم في كتبهم نتيجة استقرائهم للغة فتراهم يسجلون المفردة واستعمالاتها وأخذ ابن عباس يتتبع الشواهد الشعرية واللهجات العربية بغية اكتشاف معاني القرآن، فاستفاد من الاستعمال البشري المحدود للغة ليستنبط المعاني القرآنية وعلى هذا سار اللغويون في معاجمهم فأخذوا يستنبطون المعاني من السياقات الخارجية شعرية كانت أم نثرية، وأغفلوا السياقات القرآنية المنتجة لمعاني الألفاظ بأوسع أفق وأكثر دقة، لأنه كلام الله تعالى المعصوم من الخطأ والحكيم في إرادته والمعجز في بلاغته وفي معرض الموازنة بين الاستعمال البشري للغة أو الاستعمال الإلهي.

لا أظن أن الأول يرجح على الثاني كما ونقطع بأن السياقات القرآنية أكمل دقة من السياقات الشعرية والنثرية، أو ليس القرآن حجة بإجماع المسلمين كافة كما أثبتت

ذلك في محله في حين نوقش في حجية قول اللغوي في كونه أمين في نقل اللفظ ومعناه أم لا، وقد ناقش الأصوليون ذلك على تفصيل.[١]

ومع إن الأمة الإسلامية اهتمت بكتابها إلا إنها لم تستثمر السياقات القرآنية في فهم معاني الألفاظ الواردة في القرآن الكريم الذي يعتبر منجم للدلالات والمعاني العميقة غير المتخيلة والتي تفرض على الباحثين إقامة مشروع حضاري كبير هو (المعجم اللغوي القرآني) لاستخراج المعاني من نفس القرآن، فالقرآن يولد المعجم اللغوي وبهذا تكون المعاني أوثق وأدق، وفي ظني أن الجيل الأول من المفسرين عبدوا لنا الطريق إلا إنه أهمل في الأجيال التالية ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو الدليل على الدلالة ؟ وكيف تكتشف الدلالة القرآنية ؟

٢- نجوم القرآن:

من القواعد التي نرتكز عليها هي (نجوم القرآن) وهي أشبه بالعلامات الموصلة إلى السياقات القرآنية التي نحتاجها أو قل إلى المفردات المعينة داخل السياق القرآني إذ إننا أحياناً نحصل على المعنى من خلال سياق واحد، وأحياناً نحصل على المعنى من خلال اقتران سياقين متماثلين في كلمة واحدة أو أكثر، مما يرسم لنا حدوداً لتداول هذه المفردة في هذه السياقات المعينة، ولكن السؤال المهم الذي يطرح نفسه، ما هو المسوغ لانتقاء هذا السياق دون غيره ؟

هل هناك كواشف دالة على اللفظ المراد فهمه كما هو الحال في العلوم الكيميائية والبايولوجية هذه الكواشف إذا ما وضعت على المادة المراد فحصها فإنها تشع كما هو الحال في الفسفور المشع الدال على الغدة الدرقية أو الكواشف الكيميائية الدالة

---

(١) الشيخ مرتضى الأنصاري، الرسائل ج١ ص١٧٣.

على وجود العناصر المعنية، فإذا كان النظام الكوني له كواشف تدل عليه فهل للقرآن كواشف دالة عليه ؟

والجواب على هذا السؤال يحتاج إلى عرض مقدمة:

فالسياق المتصل ليس فيه مزيد عناء لأننا نلحظ المعنى في مكان واحد وما على المفسر سوى الانتباه إلى هذا السياق بإمعان ليحصل على الترادف في مثل قوله تعالى (ضيقاً حرجاً)[١] أو سنحصل على التعريف الذي يتصدر بـ(هو) ومشتقاتها أو أسماء الإشارة (ذلك وأخواتها) (هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم...)[٢] فالله هو الحي القيوم وأحياناً نكتشف ذلك من خلال الصفة كقوله تعالى (نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)[٣] فوصف المنافقين بالفاسقين وكل ذلك يكتشف في سياق واحد.

أما السياق المنفصل فإننا نكتشف السياقات المشابه له والمفسرة له من خلال التناظر (التماثل) في كلمة أو أكثر لعلها تدلنا على المعنى وأما كيفية الوصول إلى ذلك فعبر هذه الآلية وهي: إن القرآن متكون من كلمات هذه الكلمات هي رموز وإشارات وعلامات دالة بها يستدل اللغوي على المعاني بناءً على أن اللغة عبارة عن نظام إشاري لا نظام مرآتي[٤] وإن هذه الإشارات هي التي تدل على ما تواضع عليه الإنسان من

---

(١) الأنعام / ١٢٥.

(٢) البقرة / ٢٥٥.

(٣) التوبة / ٦٧.

(٤) وقع بحث بين الأصوليين: هل إن الكلمة تدل على المعنى بشكل مرآتي ينطبق المعنى انطباقاً كلياً على اللفظ كالصورة في المرآة أم إن الكلمات هي إشارات إلى المعاني.

معاني ودلالات كالدال والمدلول وإن العلاقة بين الدال والمدلول منطقياً[١] وبلاغياً[٢] هي المبررات لفهم المتلازمات بين المعاني المستنبطة.

وهذا الاستعمال العقلي والذوقي في اللغة موجود وظاهر، والقرآن أولى به ففيه من البلاغة ما فيه.

وكما قلنا بأن الكلمات عبارة عن علامات وإشارات، ويسميها القرآن نجوماً، إذ يعتمد اكتشاف السياق النظير على التماثل في هذه الإشارات (الرموز) أو (النجوم) وهذه النجوم هي التي نهتدي بها في سماء القرآن، وقد ورد في التراث إن القرآن نزل نجوماً وقد استخدم القرآن كلمة النجوم لدلالة على نجوم القرآن في أحد معانيه قال تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم)[٣] قال ابن عباس ومجاهد: أي القرآن لأنه نزل نجوماً [٤].

وقال تعالى (والنجم إذا هوى)[٥] قال الطوسي: يعني إذا هوى يعني نزول القرآن إذا نزل به جبرئيل[٦]. وقال صاحب بيان السعادة: والنجم، أقسم بالنجم المراد به القرآن فإنه نزل نجوماً أي نزل متفرقاً في طول ثلاث وعشرين سنة وقال الطبرسي: فيه أقوال (أحدها) أن الله أقسم بالقرآن إذا أنزل نجوماً متفرقة على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، عن الضحاك ومجاهد والكلبي، فسمي القرآن نجوماً لتفرقه في

---

(١) محمد رضا المظفر / المنطق ١ / مبحث الدلالات.

(٢) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص٢٥٤ – ٢٥٧.

(٣) الواقعة / ٧٥.

(٤) الطوسي، التبيان ٩ / ٥٠٨، الطبرسي، مجمع البيان ٥ / ٢٢٤.

(٥) النجم / ٥٣.

(٦) الطوسي، التبيان: ٩ / ٤٢٠.

النزول، والعرب تسمي التفريق تنجيماً والمفرق منجماً)[١]

وقال تعالى﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٢] يقول مقاتل أي يعرفون[٣] الطرق فالنجوم هي علامات يهتدي بها المسافرون في الليل، وكذلك النجوم هي كلمات القرآن يهتدي بها المفسرون في سماء القرآن وقد استخدم الرسول الأكرمﷺ هذا المصطلح للقرآن فعن الصادقعليه السلام عن آبائه قال: قال رسول اللهﷺ: إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن.... له نجوم وعلى نجومه نجوم..)[٤] فالنجوم هي كلمات القرآن، (وعلى نجومه نجوم وعلى هذه الكلمات علامات وإشارات دالة عليها، كل كلمة تهدي إلى أختها وكل علامة تشير إلى نظائرها، فجعل الله نجوم القرآن هادية كما إن نجوم السماء هادية في حلك الليل البهيم.

وثمة استخدام آخر للنجوم في كلمات الرسول الأعظمﷺ إذ وصف أصحابه بالنجوم قائلاً (أصحابي[٥] كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فجعل أصحابه بمنزلة النجوم يهتدى بها في ظلمة الطريق وقال الإمام عليعليه السلام: ألا إن مثل آل محمدﷺ كمثل نجوم السماء إذا هوى نجمٌ طلع نجم)[٦] وهوى بمعنى غاب.

فنرى أن مفردة (النجم) تعطي معنى الهداية لأنها كالعلامة فاما نجوم السماء فهي علامات لطرق الأرض، وأما نجوم الأصحاب (أهل البيت) فهم علامات

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان: ٥ / ١٧٢.

(٢) النحل / ١٦.

(٣) مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر الوجه الخامس من الهدى.

(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٦ / ١٧١ باب استحباب التفكر في معاني القرآن ج٧ ص٧٦٥.

(٥) فسر أمير المؤمنين عليه السلام الأصحاب بأهل البيت قائلًا (نحن الأصحاب ونحن الشعار ونحن الدثار) نهج البلاغة.

(٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم (١٠٠) في رسول الله وأهل بيته.

على طريق الهدى، وأما نجوم القرآن (كلماته) فهي علامات لأحكام القرآن، وهكذا تكون دلالة النجوم دلالة العلامة الهادية في كل معانيها الحسية منها والمعنوية وهو الكاشف الذي نريده. ونحن سوف نضع علامة (۞) على الكلمة القرآنية الدالة على النظير المرافق في السياق الآخر.

المثال الأول / سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿وَلا يُؤْخَذُ۞ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[1] ما معنى العدل ؟ قال ﷺ:الفدية.

وهذه الإجابة قائمة على رد الآية المتشابه إلى الآية المناظرة وهي قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ۞ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] فالعلامة (النجمة في كلا الآيتين هي نجمة واحدة وهي (لا يؤخذ) فنضع عليها علامة النجمة، فصارت كما قال الله تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فوجدنا السياق النظير لها فكان سياقاً منفصلاً، فالسياق الأول جاء في سورة البقرة والسياق الثاني جاء في سورة الحديد وما أدرانا بوجه التناظر لولا هذه النجوم القرآنية الدالة على نظائرها في سماء القرآن وبهذا يهتدي المهتدون.

المثال الثاني / سئل الإمام الرضا [3] عليه السلام: عن قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) قال عليه السلام: (الختم) هو (الطبع) على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم.

---

(١) البقرة / ٤٨.

(٢) الحديد / ١٥.

(٣) السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ١ / ٥٨.

تحليل المثال / ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [١] السياق الأول.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا﴾ [٢] السياق الثاني.

فالنجم الذي هدنا هو (قلوبهم = قلوبنا) فانحل الرمز ختم = طبع وهكذا.

المثال الثالث: فلو أخذنا الآية الأولى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [٣]

فنحن نريد أن نحل الاشتراك اللفظي في كلمة الهدى، وبعبارة أخرى نريد أن نحكم التشابه في كلمة الهدى. فنضع عليها علامة استفهام فهي المسؤول عنها، ثم نتبع النجم الذي يهدينا إلى المعنى فنستطيع أن نتبع النجم الأول (أولئك)، أو النجم الثاني (من ربهم) ونلاحظ السياقات التي جاءت بها هذه النجوم عندها نستطيع حل الرمز لكلمة (الهدى)، فعند تتبعنا لكلمة (من ربهم) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن حصلنا على هذه الآية ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ [٤] فالنجمة هي نفسها في كلا الآيتين فتحصل (من ربي،من ربهم) على هدى = على بينة، فالهدى هو البيان.

(أولئك على هدىً من ربيهم) ⟵اقتران تناظري⟶ (.... أرأيتم إن كنت على بينة من ربي)

وحسب القاعدة الرياضية: إذا كان س =ص، س = ج

∴ ص = ج كذلك في هذا المثال (هدى من ربهم) = (بينة من ربهم)

؟

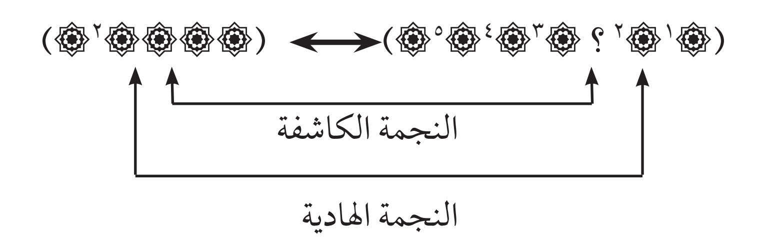
(١) البقرة / ٧.

(٢) النساء / ١٥٥.

(٣) البقرة / ٥.

(٤) هود / ٢٨.

فإننا عندما نسئل عن معنى لفظة من القرآن نضع عليها علامة استفهام (؟) فهي مبهمة الدلالة عندنا، ولكي نستدل على معناها نفحص السياق الذي أتت به لنجد هناك عدة نجوم تحوطها (۞١ ۞٢؟ ۞٣ ۞٤ ۞٥ ۞) نختار واحدة من هذه النجوم التي نظن أنها مترابطة معها في أكثر من سياق – وأكثر الأحيان تكون النجمة الأقرب للسؤال هي الأكثر دلالة – ففرضا اخترنا نجمة رقم (٢) لنراها في سياقٍ آخر جاءت هكذا (۞٢ ۞۞۞۞۞) فعندما نقارن بين السياقين المتناظرين سوف تحل واحدة من هذه النجوم شفرة اللفظة المراد فهمها.



٣- اكتشاف العلاقة بين الدال والمدلول:

لقد عرفنا بأن الدال هو (اللفظ)، والمدلول هو (المعنى)، ولكن كيف ينتقل الذهن من الدال إلى المدلول ؟

هذا السؤال قد حيَّر فقهاء اللغة وأصحاب علم الدلالة.

فهل المعاني الجاهزة الموجودة في بطون المعاجم اللغوية هي المدلول الأوحد أم لا ؟ وما هي الملازمة بين الدال والمدلول على المستوى المنطقي والبلاغي ؟

إن العرف السائد في الوسط العلمي الرجوع إلى المعاجم اللغوية لمعرفة دلالة اللفظ أو دلالات اللفظ والاقتصار عليها وكل ما عدا ذلك يُعُد غريباً، فهل المعاجم اللغوية لها من الحصانة العلمية ما يعطيها حد العصمة أم لا ؟ لكن الرجوع إلى تاريخها وكيفية جمعها يعيد حساباتنا اتجاه هذه المعاجم التي لا بديل عنها.

يذكر الدكتور أنيس إبراهيم وهو ينتقد تاريخ المعاجم اللغوية قائلاً: ((عمد جامعوا الألفاظ العربية في بادئ الأمر إلى النصوص التي وردت لهم من جاهلية أو إسلامية واستخرجوا منها الألفاظ ثم شرحوها وفسروها في ذيل النص، لكنهم واجهوا بحراً ضخماً من الألفاظ يحتاج إلى تنظيم وترتيب فقنعوا بحصرها بشواهد قليلة حتى يتمكنوا من استيعابها، ثم بعد ذلك اكتفوا بالألفاظ دون الشواهد.

ونقل أصحاب المعاجم بعضهم عن بعض، وتأثر بعضهم ببعض ولم يكن لديهم من الوسائل ما ييسر عملية الإحصاء والحصر، كما قصرت همم المتأخرين عن ذلك رغم تطور الأدوات، والحق إن الكثير من الألفاظ المعجمية قد أهمل شرحها أو كانت عامة أو غامضة أو مبتورة)[1]

فكانت الدعوى إلى معجم تتوفر فيه كل المقاييس وأشهر من دعا إلى ذلك المستشرق البروفسور (فيشر) حيث ذكر في تقرير قدمه إلى المجمع اللغوي يبين فيه عيوب المعاجم القديمة قائلاً: ((إن المعاجم القديمة اضطربت في شرح مدلولات الألفاظ واتصفت بعدم الدقة في هذا الشرح، كما اختلف أصحاب تلك المعاجم في مدلولات كثيرة من الألفاظ مما أدى إلى سوء فهم لكثير من النصوص، كما إنها خلت من البحث في تاريخ الكلمة وتطور الدلالة فيها، وتسجيل أول استعمال لها، وآخر

(١) ظ، د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص٢٤٤.

من استعملها من الشعراء والكتاب حتى أواخر القرن الثالث الهجري))[١].

(ثم إن القدماء أبدوا ضعفاً واضحاً في علاج (الحقيقة والمجاز) إذ وجهوا كل عنايتهم إلى نقطة البدء في الدلالة وركزوا نظرهم نحو نشأتها فتصوروا ما سموه بالواضع الأول وتحدثوا عن الوضع الأصلي ولم يدروا أن حديثهم هذا حديث عن نشأة الدلالات والواضع الأول التي أصبحت من مباحث ما وراء الطبيعة التي أعرض عنها اللغويون والمحدثون).

وقد ذكرنا في بحوث سابقة أن الحقيقة والمجاز مسألة نسبية يتحكم فيها الاستعمال فلربما ينقلب المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً.

ولهذا ينظر د. إبراهيم أنيس إلى الحقيقة والمجاز على إنها (مظهر للتطور الدلالي في كل لغة من اللغات)[٢]. ثم ذكر عوامل تطور الدلالة. على مر الزمان والظروف التي تحيط بها.

بعد كل هذه المؤاخذات على المعاجم اللغوية لا زالت تتحكم في فهم النصوص واستنباط الاحكام في أخطر حقل من حقول المعرفة التي يتحكم في عقيدة المجتمع وعبادته !

فإذا كانت دلالة الألفاظ تستخرج من سياقاتها التي جاءت بها شعرية كانت أم نثرية على ما فيها من عدم الدقة والاضطراب فالأحرى بنا أن نستخرج دلالة الألفاظ من السياقات القرآنية وبنفس الكيفية بأعلى دقة، لأننا أمام نصٍ إلهي شهدت عليه الأدباء بحسن النظم وروعة البلاغة كما شهدت عليه الأمة بالعصمة، فالسياقات

(١) نقلًا عن د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص٢٤٥.
(٢) ن. م ص١٢٤.

القرآنية حجة.

ولكي نعرف مداليل الدلالة علينا أن نكتشف الملازمة بين الدال والمدلول، لأن الملازمة هي التي تسوغ لنا المعنى بأي اتجاه كانت وقد بحثت الملازمات في علمي المنطق والبلاغة.

وقد قسم المناطقة الملازمة إلى ثلاثة أنواع: (المطابقية، التضمينية، الالتزامية)[١]

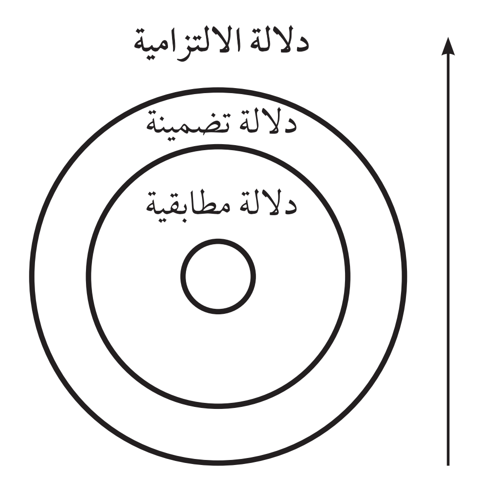
وقد عرفوا المطابقية بأنها: (دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له) وقد عرفا صعوبة الواضع الأول والوضع الأول لتبدل دلالة الألفاظ على طول الزمان ولا يغيرنا اكتشاف تطور دلالة بعض الألفاظ (كالصلاة، الاجتهاد) فهذه شواهد لنا على كثير من الألفاظ غير المكتشفة وعرفوا الدلالة التضمنية بأنها: (دلالة اللفظ على جزء معناه الذي وضع له) وهي فرع من الدلالة المطابقية، لكنها توسع لنا دائرة المعنى على نحو تسمية الشيء باسم جزئه كما في بحث المجاز بلاغياً، وبهذا نخرج من قيد المطابقية الذي يحصر لنا اللفظ في زاوية واحدة.

وعرفوا الدلالة الالتزامية بأنها: (دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له، لازم له) كدلالة لفظ الدواة على القلم، فإن مدلول القلم غير مدلول الدواة لكن لشدة العلقة بينهما يصح إطلاق أحدهما على الآخر والمتحكم في هذا الإطلاق هو الاستعمال. وقد ذكروا أن الدلالة الالتزامية هي فرع من الدلالة المطابقية أيضاً.

---

(١) الشيخ محمد رضا المظفر: ١ / ٣٣.

وعلى هذا فإن الدائرة تتسع أكثر بضم الدلالة الالتزامية لتستوعب معاني متكاثرة على مر الزمن. وبذلك تتسع دائرة المعاني كلما ابتعدنا عن نقطة المركز.



((شكل يبين اتساع دائرة المعاني كلما ابتعدنا عن نقطة المركز))

وقد ذكر البلاغيون في مبحث المجاز[1] أكثر من ثلاثين نوع من أنواع التلازمات بين اللفظ والمعنى، فإن جهات التجوز هي التي تحدد علاقات استعمال الكلمة في غير ما وضع له على رأي المدرسة الكلاسيكية أو هي قوانين تطور معاني الألفاظ على رأي المدرسة الدلالية الحديثة فلابد من فهم الملازمة وسنذكر بعضها:

(١) د. محمد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي ص٦٨، دار الجامعات المصرية ١٩٧٥، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص٢٥٤.

١- تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه قال تعالى: (إني أراني أعصر خمراً).

٢- تسمية الشيء باسم فرعه نحو (الرطب تمراً).

٣- تسمية الشيء باسم أصله نحو (وآتوا اليتامى أموالهم).

٤- تسمية الشيء باعتبار دواعيه (كتسمية الاعتقاد قولاً).

٥- تسمية الشيء باسم مجاوره (جرى النهر والميزاب) والجريان للماء.

٦- تسمية الشيء باسم جزئه (تحرير رقبة).

٧- تسمية الشيء باسم ضده كقولهم للأسود والأبيض (جون).

٨- تسمية الشيء، باسم مكانه كقولهم (للمطر سماء) مطرت السماء.

٩- تسمية الشيء باسم كله (ويجعلون أصابعهم في آذانهم).

١٠-الإطلاق والتقييد: كون الشيء مقيداً بقيد أو أكثر نحو (مشفر زيد مقطوع) والمشفر لغةٍ: شفة البعير، فأُريد هنا مطلق الشفة فكان هذا منقولاً عن المطلق إلى المقيد، وكان المجاز مرسلاً علاقته التقييد.

١١- البدلية (فإذا قضيتم الصلاة فأذكروا الله).

١٢- المبدلية (أكلت دماً) أي ديةً.

١٣- الحالية (ففي رحمة الله هم فيها خالدون)

١٤- المحلية (فليدع ناديه).

١٥- اللازمية: إطلاق الشمس وإرادة الضوء.

١٦- الملزومية: إطلاق الضوء وإرادة الشمس.

١٧- السببية: وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً (لفلان عليَّ يدٌ) أي نعمة.

١٨- المسببية: هي كون الشيء أثراً لشيء آخر (وينزل من السماء رزقاً).

١٩- التعلق الاشتقاقي: وهو إقامة صيغة مقام أخرى.

أ- كإطلاق المصدر على اسم المفعول (صُنعَ الله الذي أتقن كل شيء) أي مصنوعه.

ب- إطلاق اسم الفاعل على المصدر (ليس لوقعتها كاذبة).

ج- إطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول (لا عاصم اليوم) أي لا معصوم.

د- إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل (حجاباً مستوراً) أي ساتراً.

٢٠- العموم: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) الناس آل محمد.

٢١- الخصوص (فكذبوه فعقروها) الذي عقر هو واحد ولكن نسب الفعل لهم جميعاً.

٢٢- النقصان الذي لا يبطل التفهيم وهما نوعان:

أ- حذف الموصوف وإقامة الصفة: (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً) أي شخصاً بريئاً.

ب- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه (وأسأل القرية) أهل القرية.

وغيرها من العلاقات التي توسع دائرة الدلالة، وإن كل ما سنكشفه من دلالات الأشباه والنظائر ترجع إلى هذه العلاقات الالتزامية بل هذا هو تفسيرها العلمي الذي ينفي تهمة التعسف الدلالي لما قام به أصحاب الأشباه والنظائر. إذا كانت نظرة النقاد نظرة كلاسيكية (المعنى الحقيقي والمجازي) بينما يسميه علماء القرآن (تعدد الوجوه) ويسميه المحدثون (التطور الدلالي) أو (الاستعمال الدلالي).

ومهما بعدت دائرتها فهي لا زالت مرتبطة بالمركز. يسميها البعض (الدلالة المركزية)(١): وهي القدر المشترك (الجامع المشترك)(٢) الذي يسجله اللغوي في معجمة، وهي تشبه تلك الدوائر التي تحدث عقب إلقاء حجر في الماء فما يتكون منها أولاً يعد بمثابة الدلالة المركزية للألفاظ. ثم تتسع في أذهان قلة من الناس وقد تضمنت ظلالاً من المعاني.

وهذا كله يبرر لنا عمل أصحاب الأشباه والنظائر ويبرر أيضاً ما سنقوم به من استدراكات للأشباه والنظائر على مستوى الدلالات أو المصاديق. وكل هذا يحتاج إلى براعة الترجمة لكلمة ومعناها. فالدلالة المطابقية هي المعنى المركزي، والدلالة التضمنية هي تسمية الشيء باسم جزئه، والدلالة الالتزامية هي باقي الوجوه المتكشفة بين الدال والمدلول، إضافة إلى ترجمة المفهوم بمصداقه الخارجي.

٤- الترجمة:

ورد هذا اللفظ في استعمالاته الأولى بمعنى فهم مراد النص وإفهامه للناس.

وهو كمصطلح تراثي ظهر في عصر النص، وقد أطلق على حملة القرآن كوسام

(١) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص١٠٢.

(٢) توفيق العامر، منهج الاستقراء في القرآن الكريم، ٥٢.

شرفٍ بأنهم تراجمة القرآن، ولم أجد في كتب اللغة هذا المعنى سوى المعنى الأولى له وهو الترجمان: (هو المفسر للسان، وفي حديث قال لترجمانه:...)[١].

وهكذا في كل كتب اللغة أوردوا هذا المعنى فقط حتى في كتب الاصطلاح كالقاموس الفقهي: (الترجمان): هو من يعبر عن لغة بلغةٍ أخرى)[٢].

والترجمان بفتح التاء وضمها وقيل هو من المعرب وكان يطلق على الذي يفسر لسان بلسان آخر (ترجمان) كالترجمان الذي بعثه الرسول صلى الله عليه وآله إلى هرقل، وكما في قصة عبد المطلب وملك الحبشة وكعادة المعاجم اللغوية فإنها أغفلت باقي معاني هذه المفردة ولم تذكرها مع إن إطلاقات هذا الاصطلاح بعد الإسلام وفي عصر النص دشنت في من يفسر القرآن فاشتهر بأن ابن عباس ترجمان القرآن[٣] وأطلق بشكل مستفيض على أهل البيت عليهم السلام وبذلك يتحول مصطلح الترجمان كمصطلح قرآني خاص بأهل البيت عليهم السلام، كما ورد في أصول الكافي بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:قلت له: جعلت فداك، ما أنتم ؟ قال: (نحن خزان علم الله ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض)[٤] ويؤكد المازندراني شارح أصول الكافي على هذا المعنى بقوله (ونحن تراجمة وحي الله) لأنهم يفسرون نطق الحق ولسان القرآن بلسان الإنسان، يقال: قد يترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان، والجمع التراجم ولك أن تضم التاء وتفتحها)[٥] وكذلك يؤكد

(١) ابن منظور، لسان العرب: ١٢ / ٦٦ – مادة ترجم.
(٢) د. سعيد أبو حبيب / ٤٩.
(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ١١ / ٦٧.
(٤) الكليني، أصول الكافي: ١ / ١٩٢ باب أن الأئمة ولاة الأمر وخزان العلم.
(٥) المازندراني، شرح أصول الكافي: ٥ / ٧١.

المجلسي وهو يشرح هذا الحديث بأن (الترجمة) بكسر الجيم جمع (الترجمان) بالضم والفتح وهو الذي يفسر الكلام بلسان آخر والمراد هنا، مفسر القرآن وسائر ما أوحي إلى نبينا وساير الأنبياء عليهم السلام[١] فيؤكد العلمان (المازندراني والمجلسي) على أن هذا المصطلح شرعي ومتشرعي وهو منقول عن المعنى الأصلي وهو تفسر لسان بلسان. لسان الرحمن بلسان الإنسان (الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان)[٢] وذكرنا أن البيان هو معنى التفسير وأن الله تعالى علم الإنسان هذا البيان بوحي منه.

وفي حدود تتبعي لاستعمالات هذا المصطلح عند الرسول وأهل بيته وجدت أنهم استعملوه كمصطلح قرآني أولاً، وكمصطلح إسلامي عام ثانياً: أما الأول فقد ورد في احتجاج الإمام علي عليه السلام مع الخوارج قائلاً: (إنا لم نحَّكم الرجال، وإنما حكمَّنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولابد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال)[٣].

فالترجمان كمصطلح قرآني: هو الذي يفسر القرآن.

وفي استعمالاته مصطلح إسلامي عام كما ورد في غرر الحكم:

(الكتاب ترجمان النيه، اللسان ترجمان الجنان، اللسان ترجمان العقل)[٤] فإن الكتاب يعبر عن صاحبه واللسان يعبر عن العقل والجنان إذ إنه يترجم الأفكار والتصورات وعواطف الإنسان إذن الترجمان هو مطلق التفسير، فالترجمان هو تفسير القرآن من

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ٩٩ / ١٣٨.
(٢) الرحمن / ١ – ٢.
(٣) نهج البلاغة:
(٤) غرر الحكم رقم الحديث ٢٨٢، ٤٠١٨، ٤٠١٩.

لسان الوحي إلى لسان الإنسان ضمن الضوابط الشرعية، فالمفسر (والمترجم) يفسر السياقات القرآنية المتصلة والمنفصلة إما من نفس السياق وإما من السنة. فلنأخذ مثالاً أورده الإمام علي عليه السلام ولنحلل كيفية ترجمته للقرآن: قال الإمام علي عليه السلام: الوحي في كتاب الله إلى ثمان وجوه[١]:

١، ٢ وحي النبوة ووحي الرسالة: فهو قوله تعالى﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[٢] إذ استنبط الموضوع من خلال الآية وهو (الوحي) وسمى هذا الوحي بوحي النبوة كما هو واضح في الآية إنه مختص بالأنبياء والمرسلين، وهذا استنباط سياقي متصل مباشر.

٣- وأما وحي الإلهام: فقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٣]

ومثله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[٤]. كذلك فإن الموضوع استنبطه من نفس الآية وهو (الوحي) والمحمول استنبطه من معني الآيتين فسماه (الإلهام) وهذا يحتاج إلى ثقافة وسعة ودراية فهذا استنباط سياقي متصل غير مباشر.

٤- وأما وحي الإشارة: فقوله عز وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[٥] أي أشار إليهم قوله تعالى ﴿ألا تكلم الناس ثلاثة

---

(١) الشريف الرضي، الآيات الناسخة والمنسوخة.

(٢) النساء / ١٦٣.

(٣) النحل / ٦٨.

(٤) القصص / ٧.

(٥) مريم / ١١.

ليال إلا رمزاً﴾[١] فمن خلال ربط آيتين استطاع أن يستنبط معنى الإشارة، عندما علم أن الكلام عليه حرام، والإيحاء والإشارة من أهم أنواع التعبير الخفية عند الإنسان وكذلك هي لغة الخرسان فهذا استنباط سياقي منفصل غير مباشر.

٥- وحي التقدير: قوله تعالى:﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾[٣] فقال عليه السلام وحي التقدير وكما هو واضح استنبط المعنى من نفس الآية: وهذا استنباط سياقي منفصل مباشر.

٦- وأما وحي الأمر: فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[٤] فاستنبط أنه وحي الأمر من صيغة الأمر (آمنوا) وهذا استنباط سياقي متصل مباشر.

٧- وحي الكذب: قوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾[٥] من خلال زخرف القول استنبط أنه وحي الكذب، وهو استنباط سياقي متصل مباشر.

٨- وأما وحي الخبر: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[٦] فقد أخبر الله تعالى عن هؤلاء الأئمة فسمى هذا الوحي وحي الخبر وهو استنباط سياقي متصل مباشر. ويمكن أن نسميه وحي الأمر لوجود كلمة (بأمرنا) وهكذا

(١) آل عمران / ٤١.
(٢) فصلت / ١٢.
(٣) فصلت / ١٠.
(٤) المائدة / ١١١.
(٥) الأنعام / ١١٢.
(٦) الانبياء / ٧٣.

نجد إن الترجمة تأتي أما من نفس الآية أو من فهم الآية أو من قرائن أخرى محفوفة بالآية حالية أو مقالية والحالية تعرف من سبب النزول والمقالية تعرف من حاق اللفظ.

خلاصة الخطوات:

لكي نكتشف الدلالات القرآنية علينا أن نجمل خطواتنا بقواعد ملموسة.

١-يجب التسليم بأن الاستعمال القرآني حجة وبالتالي يجب علينا أن نسلم بما ينتجه من دلالات.

٢-عندما يراد منا معرفة موضوع ما علينا أن نستثمر قانون الاستقراء عبر ثنائية (استقراء التماثل)، ولكي نكتشف التشابه بين المفردات لابد من كواشف وهي النجوم القرآنية الكاشفة للنظائر في سماء القرآن.

٣- وبمعونة السياق القرآني تنفك رموز الدلالة (منطقياً وبلاغياً) حيث تكون هي المبررات لفهم التلازمات بين المعاني المستنبطة. فالدلالة المطابقية هي المعنى المركزي (الجامع المشترك) والدلالة التضمنية هي تسمية الشيء بجزئه، والدلالة الالتزامية هي باقي الوجوه المتكشفة بين الدال والمدلول إضافة إلى تفسير المفهوم بمصداقه الخارجي. وإن كل ما نكتشفه من دلالات للأشباه والنظائر راجع إلى هذه العلاقات.

٤-بعد ان نكتشف هذه التلازمات عبر اقتران السياقات التناظرية (المنفصلة أو المتصلة) تأتي مرحلة الترجمة وهي النتيجة التفسيرية المستوحاة من نفس الآية أو قرائن حالية أو مقالية والحالية تعرف من أسباب النزول والمقالية تعرف من حاق اللفظ أو من اقتران سياقات متناظرة. هذه هي الخطوات التي سوف نطبقها عملياً في المبحث القادم.

المطلب الثاني: المنهج التحليلي للأشباه والنظائر (تطبيقاً):

النماذج التي نحللها:

سوف نختار أكثر الكتب شهرة في علم الأشباه والنظائر وهو كتاب (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠ هـ) تحقيق د. حسن شحاته.

وكذلك كتاب (الوجوه في القرآن) لإسماعيل الحيري (٤٣١ هـ) تحقيق د. نجف عرشي، وكتاب (وجوه القرآن) لهارون بن موسى (١٧٠ هـ) تحقيق د. حاتم الضامن كما إننا سوف نأخذ نماذج من تراث أهل البيت عليهم السلام ثم نحاول وفق ما توصلنا إليه أن نستدرك على ما قدموه من معاني جديدة أخرى لنبرهن إطراد هذه القواعد وقدرتها على الإنتاج المستمر ثم نقوم بعمل مشجر لغوي لكل مفردة لتتشابك الأغصان وتورق الأشجار وتجنى الثمار. ونحن لأجل توثيق المعاني التي استنبطها أصحاب هذه الكتب سوف نستشهد لكل معنى من كتب التفسير المعروفة.

ولكي نبرر هذه المعاني سوف نبين نوع الملازمة التي انتجتها ثم نقوم بحسب الإمكان إيجاد (الجامع المشترك) لـدلالات هذه المفردة. أو ما يسمى بـ (الدلالة المركزية).

أولاً : كتاب الأشباه والنظائر: لمقاتل بن سليمان:

هو مقاتل بن سليمان بن بشر البلخي مولى الأزد، كنيته أبو الحسن، ولد مقاتل بمدينة بلخ من إقليم خراسان ونشأ بها ثم تحول إلى مرو، وكانت له منزلة في خراسان حتى كان يتوسط في الصلح بين أمراء خراسان والخارجين عليهم ولهذا ذكر الشيخ من ألقابه (الخراساني)[١]، ثم تحول إلى العراق فنزل البصرة وكان بالبصرة خطة بني أسد وهم بنو أسد بن مالك، وكان مقاتل من مواليهم بالبصرة ودخل مقاتل بغداد فحدَّث بها ثم عاد بالبصرة وتوفي فيها سنة (١٥٠ هـ) ترجمه علماء السنة وذكروا هذه الملاحظات بأنه مفسر عظيم له مؤلفات في تفسير القرآن وعلوم القرآن حتى قال عنه الشافعي: من أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان ولكنهم طعنوا عليه في الحديث وقالوا عنه إنه كذاب، وعرف عن عقيدته بأنه مجسم.[٢]

وقال عنه مترجمو الشيعة بأنه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام وفي العقيدة بأنه بتري كما عن الشيخ الطوسي والكشي، وقال البرقي بأنه عامي[٣] وذكر له صاحب البلد الأمين دعاء عرف باسمه ينقله مباشرة عن الإمام علي بن الحسين عليهم السلام وهو بذلك أخذ عن ثلاثة من أئمة أهل البيت وأخرجه الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان [٤].

(١) الشيخ الطوسي،

(٢) راجع في ترجمته: ابن الأثير في الكامل: ٥ / ٣٥٤، الرازي: ٤ / ٣٥٥، النووي، تهذيب الأسماء: ٢ / ١١١، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٦٥، الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ١٩٦، الزركلي، الأعلام: ٨ / ٣٠٦، معجم المؤلفين: ١٢ / ٣١٧، وفيات الأعيان: ٥ / ٣٤١، تهذيب التهذيب: ١ / ٣٨٤.

(٣) المامقاني، منتهى المقال:٦ / ٣٢٣ رقم ٣٠٣٣، الشيخ محمد تقي التستري، قاموس الرجال: ١٠ / ٢٢٣، رقم ٧٧٠٥.

(٤) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان / دعاء التوسل لمقاتل بن سليمان المروي عن الإمام زين العابدين.

وأما ما ذكره علماء السنة فقد أنصفوا الرجل في مجال القرآن وهذا يكفينا لكنهم رموه بالكذب في الحديث، وأكبر الظن لأنه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام فهذا ديدن علماء الجرح والتعديل يرمون كل من روى عن أهل البيت بأنه كذاب وضاع أما كونه مجسم فكانت العقيدة الغالبة آنذاك، ومع ذلك ربما هي تهمة له حيث قد سئل عن ذلك فأجاب إنما أقول ﴿قل هو الله أحد...﴾.

أما ما قاله رجال الشيعة في عقيدته ما بين بتري وعامي، فإن الفترة التي عاش فيها مقاتل لم تكن فيها العقيدة واضحة في خضم التيارات الكثيرة فإن الكثير من أتباع أهل البيت عليهم السلام لم تكتمل لديهم المنظومة الإسلامية كاملة فيصعب عليهم تحديد الموقف من العقيدة ولذلك كان أكثرهم يعرض معتقداته عليهم وبالتالي يصعب على المؤرخ نفسه أن يميز ذلك أيضاً. أما كونه عامي فلعله لكثرة مخالطته العامة ممن أخذ منهم وأخذوا عنه فجاءت هذه السمة إليه.

القيمة العلمية لمؤلفات مقاتل بن سليمان:

ذكروا لمقاتل بن سليمان في مجال القرآن خمسة مؤلفات:

١-التفسير الكبير، وهو تفسير كامل للقرآن، وقد حققه د. حسن شحاته كما ذكر في مقدمة الأشباه والنظائر.

٢- نوادر التفسير.

٣- الناسخ والمنسوخ.

٤- الرد على القدرية.

٥- الوجوه والنظائر في القرآن.

٦- تفسير خمسمائة آية من القرآن.

٧- الأقسام واللغات.

٨- الآيات المتشابهات.

أما من ناحية تفسيره، فقد تميز بأنه السهل الممتنع، والإحاطة التامة بمعاني الآيات القرآنية ونظائرها وما يتعلق بها في السنة، وكان يحاول أن يستنبط كليات القرآن فقد قال عنه حسن شحاتة أنه قد أحصى ٣٢ من هذه الكليات على حرف الألف [(١)].

وكان مقاتل بارعاً في جمع الآيات ذات الموضوع الواحد جمعاً عقلياً سليماً حيث ذكر خلق آدم من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ومن طين لازب ومن صلصال كالفخار فاستدل على تدرج الخلقة وفي كلمة جامعة قال محقق الكتاب: حقاً إن مقاتلاً فسر القرآن بالقرآن على أوسع معنى لذلك بدأ بما يشمل كليات القرآن، والتوفيق بين المتشابه وتخريج ما يوهم التضاد، وترتيب آيات الحياة والموت حسب تدرجها وتسلسلها كما اختلط العقل بالنقل، فمن جهة النقل يعتمد مقاتل في تفسيره على جمع الآيات المتصلة بموضوع واحد، ويورد الأحاديث المتعلقة بالآية بعد أن يحذف أسانيدها لذلك اختلط الصحيح بالعليل في تفسيره ومع ذلك فإن تفسير مقاتل هو أول تفسير وصل إلينا كاملاً كما إنه من الأوائل الذين كتبوا في علوم القرآن فله كتاب الوجوه والنظائر، والناسخ والمنسوخ، والآيات المتشابهات، ولكنها لم تصل إلينا، سوى كتاب (الأشباه والنظائر) الذي عد مصدراً لمن جاء بعده حتى أنهم ذكروا نفس الوجوه بنفس الترتيب ونقل منه الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان وحاول أيضاً أن يثبت كليات القرآن فيقول: كل شيء في القرآن (بخس) يعني

---

(١) د. حسن شحاتة، مقدمة التحقيق لكتاب مقاتل بن سليمان (الأشباه والنظائر).

نقصاً غير واحد في يوسف (وشروه بثمن بخس) يعني حراماً وهكذا يعدد بعض الكليات، لقد اعتمد مقاتل في كتابه الأشباه والنظائر على حديث مرفوع إلى النبي ﷺ اعتبره الأساس الذي بنى عليه هذا العلم ألا وهو (لا يكون الرجل فقهياً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة) وقام السيوطي بتخريج هذا الحديث(١) وقد فسره البعض بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد معاني متعددة فيحمله عليها، وهذا ما قام به مقاتل فقد أورد ما يقارب (١٨٥) مفردة إلا إنه لم يرتبها على الحروف الهجائية، وكل استنباطاته معتمدة على الاستقراء وسلطة السياق، وهو بهذا أول معجم دلالي (خاص ومحدود) وصل إلينا (٢).

أول مفردة تتبعها مقاتل هي كلمة (الهدى) فقال:

تفسير الهدى على سبعة عشر وجهاً:

فالوجه الأول: الهدى(*)

يعني البيان، فذلك قوله عز وجل في البقرة: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾(٣) يعني على بينة من ربهم، وكقوله في لقمان﴿أولئك على هدى من ربهم﴾(٤) يعني بيان من ربهم، تصديق ذلك في حم السجدة ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾(٥) يعني بينا لهم، وقال في هل أتى

(١) السيوطي، الإتقان. النوع التاسع والعشرين (الأشباه والنظائر) ٢/ ١٠٣-١١٦.

(٢) د. أحمد نصيف الجنابي، ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة ص٣٧٧، مجلة المجمع العلمي العراقي ج / ٤ مجلد ٣٥ تشرين الثاني ١٩٨٥.

(*) نهج البيان : ١ / ٩٠ ، على هدى أي على رشد وبيان . الصافي : ١ / ٨٠ ، شبر : ١ / ٢ .

(٣) البقرة / ٥.

(٤) لقمان / ٥.

(٥) فصلت / ١٧.

على الإنسان ﴿إنا هديناه السبيل﴾[١] ويعني بينا له كقوله في طه ﴿أولم يهد لهم﴾[٢] يعني ألم يبين لهم، نظيرها في السجدة حيث يقول ﴿أولم يهد لهم﴾[٣] يعني أولم يبين لهم.

وهنا يقرر أن الهدى بمعنى البيان في ستة سياقات من القرآن نتيجة الاستقراء وإن كل آية تعضد الأخرى في المصادقة على نفس النتيجة والتساؤل ما السر الذي دعا مقاتلاً أن يفسر الهدى بالبيان ؟

ولتتبع الآيات بغية المصادقة على النتيجة ومن القرآن أيضاً ؟ والجواب أن الأمر يتبين من هذه الآية التي تحتوي على المفردتين معاً واللتين جاءتا في سياق واحد.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٤]

فالبيان مقدمة للهدى فهذا من باب تسمية الشي بما سيؤول إليه.

الوجه الثاني للهدى: يعني دين الإسلام [*]

فذلك قوله تعالى في الحج ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾[٥] يعني دين مستقيم وهو الإسلام، نظيرها في البقرة﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ [٦] يعني دين الإسلام هو الدين، كقوله في الأنعام﴿إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾[٧] يعني دين الإسلام هو الدين.

---

(١) الإنسان / ٣.

(٢) طه / ١٢٨.

(٣) السجدة / ٢٦.

(٤) آل عمران / ١٠٣.

(*) الطبرسي ، جوامع الجامع : ١ / ٧٥ ، الهدى يعني الإسلام .

(٥) الحج / ٦٧.

(٦) البقرة / ١٢٠.

(٧) الأنعام / ٧١.

جاء الهدى هنا في هذه الآيات بمعنى الدين ولو برهنا على واحدةٍ منها لصدق على الجميع، ولنتبع نفس الخطوات.

﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ ⟵⟶ ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[١]

الهدى = دين الإسلام وللمصادقة عليه جاء الدين والهدى في سياق واحد في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾[٢]

فالإسلام مقدمة للهداية أيضاً من باب تسمية الشيء بما سيؤول إليه.

الوجه الثالث للهدى : الإيمان [*]

قال تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾[٣] يعني يزيدهم إيماناً كقوله في الكهف ﴿وزدناهم هدى﴾[٤]، وكقوله في سبأ ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾[٥] يعني عن الإيمان، وكقوله في الزخرف ﴿أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾[٦] أي مؤمنون.

---

(١) آل عمران / ١٩.

(٢) التوبة / ٣٣.

(*) مير سيد علي الحائري ، مقتنيات الدرر : ٧ / ٥٥ ، القمي : ٢ / ٥٢ ، الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : ٧ / ١٤٥ ، الإيمان بالناسخ والمنسوخ .

(٣) مريم / ١٩.

(٤) الكهف / ١٣.

(٥) سبأ / ٣٢.

(٦) الزخرف / ٤٩.

﴿وزدناهم هدى﴾ ⟵⟶ ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾[١]

(الهدى) الإيمان، فهذا من باب تسمية الشيء بلازمه فالإيمان ملازم للهدى.

الوجه الرابع للهدى: يعني داعياً [*]

فذاك قوله في الرعد: (إنما أنت منذر) يعني النبي، (ولكل قوم هادٍ)[٢] يعني داعياً يدعوهم، وكقوله في عسق (أي في سورة الأعراف):﴿قوم موسى أمة يهدون بالحق﴾ [٣] أي يدعون، وكقوله في تنزيل (أي سورة السجدة) ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[٤]، وكقوله في بني إسرائيل ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[٥] يعني يدعو، وكقوله في الأحقاف ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾[٦] يعني يدعو إلى الحق، وكقوله في قل أوحي (أي سورة الجن)،﴿يهدي إلى الرشد﴾[٧] يعني يدعو، وكقوله في الصافات ﴿فأهدهم إلى صراط الجحيم﴾ يعني أدعوهم ونحوه كثير.

---

(١) الأنفال / ٨.

(*) الصافي : ٣ / ١٨٠ ، في الكافي عن الصادق أي يدعو البرهان : ٣ / ٤٠٩ .

(٢) الرعد / ٧.

(٣) الأعراف / ١٥٩.

(٤) السجدة / ٢٤.

(٥) الأسراء / ٩.

(٦) الأحقاف / ١٠.

(٧) الجن / ٢.

التحليل / قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(١)، ﴿قوم موسى أئمة يهدون بالحق﴾(٢) ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾(٣)

المصادقة / قال تعالى ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾(٤)

حيث جاءت الدعوة والهدى في سياق واحد. والدعوى مقدمة للهدى فهذا من باب تسمية الشيء بما سيؤول إليه.

الوجه الخامس: هدى يعني (معرفة) (*)

فذلك قوله تعالى ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ يعني يعرفون الطرق، نظهرها في الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٥) يعني يعرفون الطرق، وكقوله تعالى في طه ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾(٦) يعني عرف الهدى الذي ذكر ثواباً وكقوله في النمل﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾(٧) ونحوه كثير.

---

(١) الرعد / ٧.

(٢) غافر / ٤١.

(٣) الكهف / ١٨.

(٤) النمل / ١٦.

(*) الطبرسي، جوامع الجامع : ٣/ ١٩١ ، الصافي : ٤ / ٦٨ ، محمد رضا القمي ، كنز الدقائق : ٩ / ٥٧١ .

(٥) الأنبياء / ٣١.

(٦) طه / ٨٢.

(٧) النمل / ٤١.

تحليل/ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[١] ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾[٢] فهنا نجمتان دلتا على المعنى وليست واحدة والمعرفة نتيجة للهداية فهذا من باب تسمية الشيء بملزومه.

الوجه السادس: هدى يعني (كتاباً ورسلاً)[*]

فذلك قوله تعالى:﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾[٣] يعني رسلاً وكتباً، نظيرها في طه حيث يقول ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾[٤].

تحليل / قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾[٥] هدى ⟷ رسل.

وقال تعالى:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾[٦] هدى ⟷ كتاب

هذا من باب المصاديق

الوجه السابع: هدى يعني (الرشاد)[*]

قال تعالى في القصص﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٧]يعني رشدني.

---

(١) الأنبياء / ٣١ .

(٢) يوسف / ٦٢.

(*)أحمد رضا القمي، كنز الدقائق: ٨ / ٣٦٧، هدى بمعنى كتاب ورسول، جوامع الجوامع: ٢ / ٤٤٠، الصافي: ٣ / ٣٢٥.

(٣) البقرة / ١٨.

(٤) طه / ١٢٣.

(٥)الاعراف / ٣٥.

(٦)مريم / ٣٠.

(*) الشيرازي، تقريب القرآن: ٢٠ / ٥٠، الطوسي، التبيان: ٨ / ١٤١، يرشدني، يدلني.

وكقوله﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾(١) يعني يرشدني وكقوله﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ يعني أرشدنا ونحوه كثير كما في تفسير التبيان: ٨ / ٥٥١.

التحليل / قال تعالى ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾ (٢)

﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ (٣) هدى = ولياً مرشداً

المصادقة / قال تعالى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٤)

الوجه الثامن : الهدى يعني أمر محمد(*) : فذلك قوله في البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾(٥) يعني أمر محمد إنه نبي رسول، وكقوله في الذين كفروا ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ (٦) يعني أمر محمد إنه نبي ورسول وكقوله ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ (٧) يعني أمر محمد إنه نبي ورسول وهو أحد مصاديق الهدى.

---

(١) القصص / ٢٢.

(٢) طه / ١٠.

(٣) طه / ١٠.

(٤)الإسراء : ٩٧.

(٥) غافر / ٢٩.

(٦) البقرة / ١٥٩

(*) التبيان: ٩/ ٣٠٧ أمر النبي، مقتنيات الدرر: ١٠ / ١٥٥ صدق محمد.

(٧) محمد / ٢٥.

(٧) محمد / ٣٢.

الوجه التاسع: الهدى يعني (القرآن)

فذلك قوله في النجم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [١]يعني القرآن، وكقوله في بني إسرائيل ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ [٢] يعني القرآن فيه بيان كل شيء إلى أن قالوا ﴿أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾[٣]، وكقوله في الكهف ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ [٤]يعني القرآن فيه بيان كل شيء.

تحليل / ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ﴾ [٥]

الهدى ←———→ كتاب الله وهو القرآن لأنه مصدق لما معهم من كتابهم.

المصادقة / قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٦]وهو القرآن وهو أحد مصاديق الهدى.

الوجه العاشر: الهدى يعني (التوراة)

فذلك في قوله تعالى في حم المؤمن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾[٧]يعني التوراة وذلك قوله في تنزيل السجدة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً﴾ [٨] يعني التوراة.

---

(١) النجم / ٢٣.

(٢) الإسراء / ٩٤.

(٣) الإسراء / ٩٤.

(٤) الكهف / ٥٥.

(٥) البقرة / ١٠١.

(٦) البقرة / ٢.

(٧) غافر / ٥٣، التبيان: ١ / ٨٦، التوراة، مجمع البيان: ٤ / ٥٢٧.

(٨) السجدة / ٢٣.

التحليل / هنا جاء المعنى في سياق واحد إذ وصف الله الكتاب الذي جاء به موسى وهو (التوراة) بأنه هدى. فالهدى = التوراة.

ولو أخذنا سياق آخر منفصل كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...وَجَعَلْنَاهُ هُدىً﴾، قال تعالى ﴿قُلْ فَأْتُوا ۞ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾[١] الهدى = التوراة، وهو أحد مصاديق الهدى.

الوجه الحادي عشر: الهدى يعني يهدي إلى الاسترجاع[٢]

فذلك قوله في البقرة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٣] يعني إلى الاسترجاع، نظيرها في التغابن (ومن يؤمن بالله) بالمصيبة إنها من الله (يهد قلبه)[٤] إلى الاسترجاع.

التحليل / من خلال السياق المتصل نفسه ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٥]

فالمهتدون هم المسترجعون وهذا من باب تسمية الشيء باسم دواعيه.

---

(١) آل‌عمران: ٩٣

(٢) تفسير شبر: ١ / ٢٤ الاسترجاع، مواهب الرحمن: ٢ / ٢١٢، جوامع الجامع: ١ / ٩١.

(٣) البقرة ١٥٦ – ١٥٧.

(٤)التغابن / ١١.

(٥) البقرة ١٥٦ – ١٥٧.

الوجه الثاني عشر: لا يهدي[١]

يعني لا يهدي إلى الحجة، ولا يهدي من الضلالة إلى دينه فذلك قوله في البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ... وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى الهدى، نظيرها في براءة حيث يقول﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ... وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢] إلى الحجة، وقال في الجمعة ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

التحليل / من خلال السياق نفسه استنبط معنى المحاججة وإقامة البرهان والحجة وهي الهدى. وهو من باب تسمية الشيء باسم سببه.

الوجه الثالث عشر: الهدى يعني (التوحيد)[٣].

وهو من باب تسمية الشيء بمصداقه.

فذلك قوله في القصص ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[٤] يعني التوحيد ودين الحق، كقوله في الصف ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ ۞ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾[٥]

التحليل / ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ ۞رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا ۞ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٦] الهدى ⟵⟶ التوحيد

(١) راجع مجمع البيان: ١ / ٣٦٦، الوجيز: ١ / ٢٠٦.
(٢) التوبة / ١٩.
(٣) التبيان: ٩ / ٥٩٥، الهدى التوحيد، الصافي: ٥ / ١٧٠، البرهان: ٥ / ٣٢٩.
(٤) الجمعة / ٥.
(٥) القصص / ٥٧.
(٦) الصف / ٩.

الوجه الرابع عشر: الهدى يعني(السنة) .فذلك قوله في الزخرف:﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[١] يعني مستنون بسنتهم في الكفر، كقوله في الإنعام للنبي ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٢] يعني فبسنتهم بالتوحيد اقتده.

تحليل / ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه﴾ ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ سنة الله⟵⟶هدى الله وهي تسمية الشيء بمصداقه.

الوجه الخامس عشر: لا يهدي يعني (لا يصلح). فذلك قوله: ﴿أَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ يعني لا يصلح[٣] عمل الزناة

تحليل / ﴿أَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[٤] ﴿إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

لا يهدي ⟵⟶ لا يصلح وهذا من باب تسمية الشيء بسببه فإن الصلاح سببه الهداية.

الوجه السادس عشر: الهدى يعني (إلهام)[٥].فذلك قوله في طه ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٦] يعني من الدواب، خلقه: يعني صورته التي تصلح له (ثم هدى) يعني ثم ألهمه كيف يأتي معيشته ومرعاهُ، كقوله في سبح اسم ربك الأعلى

---

(١) الزخرف / ٢٢.

(٢) الأنعام / ٩٠.

(٣)(*) جوامع الجامع: ٢ / ١٩٥، الصافي: ٣ / ٢٦، لا ينفذه، ولا يسدده وهو معنى لا يصلحه.

(٤) يوسف / ٥٢.

(٥)(*) بيان السعادة: ٣ / ٢٤، الميزان: ١٤ / ١٧٩، تقريب القرآن: ١٦ / ١٠٦.

(٦) طه / ٥٠.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يعني قدر خلق الذكر والأنثى.

تحليل / ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[١] فسواها أي فخلقها، وهنا حصل الترادف، فبعد التسوية (الخلق) تأتي الهداية. هدى ⟵⟶ الإلهام وهو من باب تسمية الشيء باسم سببه.

الوجه السابع عشر: هدنا إليك يعني (تبنا إليك).

فذلك قوله في الأعراف (وهدنا إليك)[٢] يعني تبنا إليك.

تحليل / هدنا إليك ⟵⟶ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾هدنا ⟵⟶ توبوا، وهو من باب تسمية الشيء باسم مسببه.

وفي النتيجة استنبط مقاتل بن سليمان سبعة عشر وجهاً للهدى من خلال السياق المكاني (المتصل) أو من خلال السياق الاقتراني (المنفصل) وترجم للمعاني إما من نفس الكلمة القرآنية أو عبر عنها بما يوافقها فنتج لنا هذا المشجر لكلمة (الهدى).

(الهدى): البيان، دين الإسلام، الإيمان، داعياً المعرفة، كتاباً ورسلاً، الرشاد، أمر محمد، القرآن، التوراة، الاسترجاع، لا يهدى إلى حجة، التوحيد، السنة، لا يصلح، إلهام، التوبة.

وهذه المفردة (الهدى) هي أكثر المفردات وجوهاً في كتاب مقاتل ولعل القارئ يظن أن هذه الوجوه هي كل الوجوه للهدى في القرآن والواقع إننا لو اتبعنا نفس المنهجية مع مفردة الهدى لحصلنا على معاني (وجوه) إضافية ونستدرك ما فاته من

---

(١) الشمس / ٨.

(٢) التبيان: ٤ / ٥٥٧، مجمع البيان: ٢ / ٤٨٥.

وجوه. وهذا ما سنقوم به لنبرهن على إطراد هذه القاعدة.

مستدرك (الهدى) في القرآن:

أولاً: السياق المكاني (السياق المتصل)

١- قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] قد وصف الموعظة بأنها هدى ورحمة وهذا من الترادف الخفي لكن القرآن استعمله(هدى . موعظة . رحمة) فالموعظة هي سبب الهداية والرحمة هي مسببة للهدى.

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾[٢] وصف في هذه الآية الكتاب بأنه هدى ورحمة فالكتاب من مصاديق الهداية (هدى . الكتاب . رحمة) فالكتاب هو الهدى والهداية هي الرحمة ونظيره ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً﴾[٣]

٣- قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ، هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الآيات وصفها بأنها هدى.

---

(١) يونس / ٥٧

(٢) النحل / ٦٤.

(٣) الإسراء / ٢.

٤- قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ﴾[١] (هدى . بصائر . رحمة)، البصيرة من ملازمات الهدى فهي من باب تسمية الشيء باسم ملازمه.

٥- وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

(الهدى . بيان.موعظة)، فالبيان هو الموعظة وهو الهدى، البيان يؤول إلى الهدى، تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه.

٦- وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣] (بيت . بكة مكة . هدى . مباركاً) الهدى ، البيت، مكة، مبارك، وبيت الله في مكة يهدي الناس إلى قبلتهم، فهو من مصاديق الهدى.

٧- قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ﴾[٤] (الهدى) شهر رمضان تسمية الشيء باسم لازمه. فتحصل من السياق المكاني (السياق المتصل) تناظرٌ بين هذه الأشباه فالهدى تأتي بمعنى: موعظة، رحمة، كتاب، آيات، بصائر، بيان، البيت، مكة، مبارك، شهر رمضان.

ثانياً: نكتشف من خلال السياق القرآني ما يقابل الهدى، وقد وجدنا أن ما يقابل الهدى هو الضلال وذلك في أكثر من آية.

قال تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ

---

(١) الجاثية / ٢٠.

(٢) آل عمران / ١٣٨.

(٣) آل عمران / ٩٦.

(٤) البقرة / ١٨٥.

(٥) الأنعام / ١٤٠.

يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١]، وقال ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢] ونفسها في سورة القلم[٣] . في كل هذه الآيات يأتي الهدى في قبال الضلال.

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٤] الخسران ضد الهداية.

وقال تعالى:﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥] جاء الهدى في قبال الفسق،

وقال تعالى:﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٦] العمى قبال الهدى.

ومثله قوله تعالى:﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾[٧] ومثله في النمل[٨] .

فتحصل أن الهدى في قبال الضلال، وفي قبال العمى، وفي قبال الخسران والواقع أن العمى والخسران من ملازمات الضلال لذلك جاء لتقابل الهدى في هذه الآيات.

---

(١) الأنعام / ١١٧.
(٢) النحل / ١٢٥.
(٣) القلم / ٧.
(٤) يونس / ٤٥.
(٥) الحديد / ٢٦.
(٦) فصلت / ١٧.
(٧) الروم / ٥٣.
(٨) النمل / ٨١.

ثالثاً: السياق التناظري (السياق المنفصل)

وهنا نتبع الأشباه والنظائر عن طريق استقراء النظير والنظير المشابه متبعين في ذلك نجوم الهداية وهي الكلمات التي تجيء ضمن سياق المفردة المتشابه. وسوف نستدرك ما فات مقاتل بن سليمان في مفردة (الهدى).

١- قال تعالى ﴿تبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾[١] ⟵⟶ ﴿تبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[٢]
وهو تسمية الشيء باسم لازمه الهدى(الحق).

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾[٣]﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الهدى . العلم تسمية الشيء باسم مسببه.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾[٤]﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾[٥] الهدى . منذر، المنذر من مصاديق الهدى.

٤- قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[٦]﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[٧] الهدى . الوحي، الوحي من مصاديق الهدى.

---

(١) محمد / ٢٥، محمد / ٣٢.
(٢) البقرة / ٠٩.
(٣) الإسراء / ٩٤.
(٤) آل عمران / ١٩.
(٥) ق / ٢.
(٦) القصص / ٥٧.
(٧) الأنعام / ١٠٦.

٥- قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾[١]وقال تعالى ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢]

هدى . صراط، الصراط من مصاديق الهوى.

٦- قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾[٣] قال تعالى ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾[٤] هدى . رضوان الله، تسمية الشيء بما سيكون.

٧- قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ قال تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[٥]

هدى . ملة إبراهيم، ملة إبراهيم من مصاديق الهدى.

وفي آية أخرى ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[٦]

٨- قال تعالى : ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الهدى . سبيل الله، سبيل الله من مصاديق الهدى.

---

(١) الحج / ٦٧.

(٢) يس / ٤.

(٣) طه / ١٢٣.

(٤) آل عمران / ١٦٢.

(٥) النساء / ١٢٥.

(٦) يوسف / ٣٨.

جدول معاني كلمة الهدى في القرآن

الهدى في كتاب مقاتل بن سليمان	مستدرك الهدى
١ - البيان	١- موعظة
٢- دين الاسلام	٢- رحمة
٣- الايمان	٣-الكتاب
٤- داعياً	٤-الآيات
٥-المعرفة	٥-بصائر
٦-كتاباً ورسلاً	٦-بيان وموعظة
٧-الرشاد	٧-البيت
٨-امر محمد	٨-مكة
٩-القرآن	٩-شهر رمضان
١٠-التوراة	١٠-الحق
١١-الاسترجاع(اعادة النظر الدائمة)	١١-العلم
١٢-لايهدي الا حجة	١٢-منذر
١٣-التوحيد	١٣-الوحي
١٤-السنة	١٤-سراط
١٥-لايصلح	١٥-رضوان الله
١٦-الهام	١٦-ملة ابراهيم
١٧-التوبة	١٧-ملة ابراهيم واسحاق ويعقوب
	١٨-سبيل الله

جدول الاضداد كلمة الهدى في القرآن

الهدى x الضلال	الهدى x العمى
الهدى x الخسران	

ونستطيع أن نصنف هذه الوجوه إلى مجاميع ليسهل دراستها والفائدة المرجوة من هذا العمل: إننا لو كان الموضوع القرآني هو (الهدى) فإن هذه القيم سوف تدخل برمتها إلى البحث ثم نقسم البحث إلى فصول وأبواب الخ. هذا من جهة ومن جهة أخرى لو كان لدينا بحث عن كلمة (البيان) فإننا سوف ندخل مفردة (الهدى) في حيز بحثنا أيضاً لأنها مترادفة على نحوٍ ما وبهذا يتسع عندنا البحث لنكتشف حقائق معرفية أكثر عمقاً.

والآن يمكن أن نصنف وجوه الهدى إلى مجاميع:

المجموعة الأولى: مصاديق الهدى: دين الإسلام، الكتب، الرسل، أمر محمد، القرآن، التوراة، التوحيد، مكة، البيت، الصراط، ملة إبراهيم، السبيل.

المجموعة الثانية: الهدى عن طريق الدين (الدين، الكتاب، الرسل، القرآن، التوراة، أمر محمد، السنة، شهر رمضان، الوحي).

المجموعة الثالثة: الهدى عن طريق العقل (البيان، المعرفة، الإلهام، الرشاد، بصائر، الحق، العلم).

فالجامع المشترك (الدلالة المركزية) للهدى هي الرشاد الاستنارة الدلالة)[1] . وكل المعاني الأخرى من مصاديق ومفاهيم تدور في فلكها، وهذه الدوائر مرتبطة بالمركز بعلاقات تلازمية.

هارون بن موسى (ت ١٧٠ هـ):

هو أبو عبد الله هارون بن موسى العتكي الأزدي القارئ النحوي الأعور كان من أهل البصرة، وكان عالماً بالنحو والقراءات، قدِم بغداد وحدَّث بها ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم أبان بن تغلب، الخليل بن أحمد الفراهيدي طاووس اليماني عاصم الجحدري، عاصم بن أبي النجود، عبد الله بن كثير أبو عمرو بن العلاء والذين أخذوا منه كثيرون منهم أحمد بن محمد العتبي شعبة بن الحجاج وشعيب ابن إسحق وغيرهم.

---

(١) راجع مختار الصحاح وغيره مادة (هدى).

وكان هارون ثقة مأموناً بشهادة العلماء، قال يحيى بن معين المتوفي سنة (٢٣٣ هـ): (هارون صاحب قراءة ثقة) [١]، وقال أبو حاتم السجستاني المتوفي سنة (٢٥٥ هـ) سألت الأصمعي عن هارون بن موسى النحوي: فقال: كان ثقة مأموناً وقال أبو حاتم: كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسنادِهِ هارون بن موسى الأعور [٢] وسُئل عنه أبو داود صاحب السنن (ت ٢٧٥ هـ) فقال: ثقة[٣] وقال القفطي[٤] : كان هارون صدوقاً حافظاً وقال ابن الجزري:[٥] صدوق نبيل له قراءة معروفة وقال عنه مترجمو الشيعة (هارون بن موسى الأعور) البصري القارئ، عدهُ الشيخ في رجاله في أصحاب الصادق عليه السلام [٦] واستظهر التستري عاميتهُ لعنوان ابن حجر له وعدم نسبة التشيع إليه.وهذا الاستظهار حدسي لا يؤخذ به، كما هو معروف في علم الرجال وفي زمانه كان الأمر مختلط ولم تتمايز المدارس بعد.

كتاب الوجوه لهارون بن موسى:

قال عنه محققه: (د. حاتم صالح الضامن) روى هذا الكتاب أبو نصر مطروح بن محمد بن شاكر القضاعي المصري المتوفي بالأسكندرية (ت ٢٧١ هـ) عن عبد الله بن هارون وهو ابن المؤلف وأبو نصر هذا ثقة [٧] .

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤/ ٥.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤/ ٥.
(٣) الخطيب البغدادي، غاية النهاية ٢/ ٣٤٨.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤/ ٥.
(٥) الخطيب البغدادي، أنباه الرواة ٣/ ٣٦١.
(٦) الشيخ محمد تقي التستري، قاموس الرجال ١٠/ ٤٧٨ رقم (٨١٤٩).
(٧) ميزان الأعتدال ٤/ ١٢٦، لسان الميزان ٦/ ٤٩.

يضم هذا الكتاب مئتين وثمانية أبواب أولها لفظ (الهدى) وآخرها لفظا (الحرب)، ليس للكتاب منهج واضح إذ لم يُرتب على الحروف الهجائية لكنه يتفق تماماً مع منهج مقاتل بن سليمان ولا يزيد عليه إلا بأربعٍ وعشرين لفظة، وكان للكتاب أثر كبير في المؤلفات التي جاءت بعده ككتاب التصاريف ليحيى بن سلام، وتحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي.

وسوف نختار من كتاب الوجوه والنظائر لموسى بن هارون كلمة (البر)[١]

تفسير (البر) على ثلاثة وجوه:

فوجه منها: الصلة: فذلك قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾[٢] يعني لئلا تصلوا القرابة وقال ﴿لَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾[٣] يعني تصلوهم فهذا من باب تسمية الشيء بمصداقه لأن من وجوه البر التي أمر الله بها (الصلة) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[٤].

الوجه الثاني: البر: التقوى: فذلك قوله تعالى:﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥] وقال (ليس البر) يعني التقوى ﴿لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾[٦]

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[٧].

(١) موسى بن هارون، الوجوه والنظائر، ص٣٤٨.
(٢) البقرة / ٢٢٤.
(٣) الممتحنة / ٨.
(٤) الرعد / ٢١.
(٥) آل عمران / ٩١.
(٦) البقرة / ١٧٧.
(٧) البقرة / ٤٤.

التحليل:

﴿لَنْ تَنَالُوا * الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ⟷ ﴿لَنْ يَنَالَ * اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ * التَّقْوَى﴾[١] البر = التقوى

فالنجمة التي دلت على السياق التناظري في آية الحج أحكمت التشابه في البر وهو من باب تسمية الشيء بإسم لازمِه.

الوجه الثالث: من البر: يعني الطاعة: فذلك قوله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢] يعني ترك المعصية وقال:﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ﴾ [٣]

يعني ترك المعصية قوله تعالى: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾.فجاء البر هنا ضد العصيان، وبما أنه قال براً . لم يكن عصياً يعني مطيعاً وهكذا استنبط أن من وجوه البر الطاعة.فمن مصاديق البر الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر وللوالدين.

إستدراكات وجوه البر:

أولاً: السياق المكاني:

١- الوجه الأول: البر: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وإيتاء المال: قال تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ

---

(١) الحج / ٣٧.

(٢) المائدة / ٢.

(٣) مريم / ١٤.

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[١] فهذه كلها من مصاديق البر ففي آية واحدة حصلنا على البر . الإيمان بالعقيدة، الإنفاق، الصلاة، الزكاة، الوفاء بالعهد، الصبر) قال تعالى:﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ البر: من مصاديقه الدخول من الأبواب التي أمر بها الله.

ثانياً: السياق التناظري:

يكفي أن نأخذ آية واحدة تفتح أمامنا الخير كله قال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾[٢] فمن خلال كلمة (أمر) نعلم أن كل أوامر الله تعالى هي من وجوه البر فهي النجمة الهادية لنا قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٣] قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[٤] وهكذا نستطيع أن نعمل على مشجر قرآني لنجد أن كل كلمة متصلة بجذرها من جهة ومرتبطة بفروع شجرة أخرى من جهة لوجود التشابه والتناظر وبالتالي فإن معظم الكلمات تكتنز على معاني أخرى حسب النظام العبوري الإشاري بين الألفاظ.

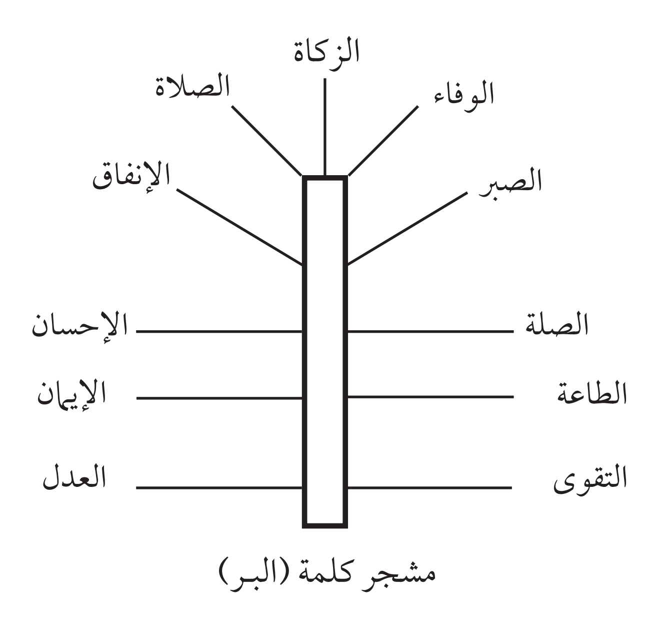
---

(١) البقرة / ١٧٧.

(٢) البقرة / ٤٤.

(٣) الاعراف / ٢٩.

(٤) النحل / ٩٠.



مشجر كلمة (البر)

وهكذا كل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم نستطيع أن نعمل لها مشجر قرآني وسوف نرى أن بعض أوراق هذه الأشجار تتقاطع مع أوراق الأشجار الأخرى فنحصل على أن الألفاظ القرآنية تأخذ برقبة بعضها البعض وهذا هو سر (القرآن يفسر بعضهُ بعضاً) ومعاني البر التي حصلنا عليها أكثرها من المصاديق أو من الملازمات لها كالتقوى.

ثالثاً : كتاب الوجوه لإسماعيل الحيري[1] (ت ٣٦١ هـ - ٤٣١ هـ):

إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الحيري النيسابوري ويكنى أبا عبد الرحمن، وقد ذكر سبطهُ أبو البركات مسعود بن عبد الرحيم أن أجدادهُ كانوا من حيرة الكوفة وجاءوا

(١) كتاب الوجوه لإسماعيل الحيري، من مميزاته أنه مرتب على الأبجدية وكل حرف قسم الى عدة أبواب وكل باب فيه عدة.

إلى نيسابور فاستوطنوها، ولد الحيري في رجب سنة (٣٦١ هـ-٩٧٢ م) كما ذكره تلميذهُ الخطيب البغدادي[١].

ألف هذا العالم مؤلفات عديدة في علوم القرآن والقراءات لينم عن تخصصهِ منها: كتاب الوقوف، كتاب عنوان التفسير أو (عيون التفسير) كتاب التنزيل، كتاب وجوه القرآن ذكره السيوطي في كتب غريب القرآن ولم يذكره في كتب الأشباه والنظائر.

قال عنه تلميذه الخطيب البغدادي: كتبنا عنه، ونعم الشيخ كان فضلاً وعلماً ومعروفةً وأمانةً وصدقاً وديانةً وخلقاً [٢] وهكذا أثنوا عليه علماء الرجال إلا إني لم أجد له ترجمة في كتب الشيعة.

أخرج كتابه لأول مرة د. نجف عرشي.

ذكر محقق الكتاب (وجوه القرآن) عدة مواصفات نذكرها رتب كتابه على حروف التهجي ولم يسبقه أحد إلى ذلك. وجعل لكل حرفٍ كتاباً فكانت ٢٨ كتاباً ثم قسم كل كتاب إلى أبواب وجعل كل كلمة باباً إلا أنه لم يرجع الكلمات إلى جذرها الأصلي، فكانت عدد الأبواب (٦١٣)، ومن المصادر التي اعتمد عليها الحيري ابن عباس والكلبي ومقاتل سواء في هذا الفن أو فن التفسير وعندما رجع المحقق إليهما وجد صحة هذا المدعى حتى وجد نقلاً حرفياً، ومن الكتب التي رجع إليها كتاب مشكل القرآن لعبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٦/ ٣١٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٦/ ٣١٣.

لنأخذ مثالاً باب الطيب [١] وهو كما قال: على ستة وجوه: وسوف نحللها أحدها: **الطيب**: الحلال: كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً﴾[٢]

استنبط معنى الطيب بأنه الحلال وذلك حسب السياق المتصل حيث وصف الحلال بأنه طيب وفي التفاسير [٣][*] طاهر من الشبهات وهو تسمية الشيء بإسم لازمه.

الثاني: النظيف: كقوله ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ [٤]

وقد ترجم الطيب بالنظيف إما لرواية وإما من فهمهِ اللغوي[٥] [*] وفي التفاسير ظاهراً النظيف.

الثالث: [٦] **الغنيمة**: كقوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً﴾ [٧][٨]

أيضاً استنبط هذا المعنى من خلال سياق الآية المتصل. (وهو تسمية الشيء بإسم ملزومه)

الرابع: الكلام الحسن: كقوله ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[٩] .

كذلك من خلال السياق المكاني (المتصل) وصف القول (الكلام) بأنه طيب

---

(١)

(٢) البقرة / ١٦٧.

(٣) (*) الطوسي، التبيان ٢/ ٧٠، مجمع البيان ١/ ٢٥١.

(٤) النساء / ٤٣، المائدة / ٦.

(٥) الشيخ محمد السبزواري النجفي، الحديد ٢/ ٢٩٢/ ٢/ ٤٢٧.[الطيب: النظيف].

(٦) الأنفال / ٦٩.

(٧) الحج / ٢٤.

(٨) الطبرسي، مجمع البيان: ٢/ ٥٥٨. [الطيب: الغنيمة].

(٩) البقرة / ١٧٧.

وذكرت التفاسير هذا المعنى الإجمالي وأعطت بعض المصاديق له ككلمة التوحيد والتحميد والإخلاص وهذا من باب تسمية الشيء إسم مصادقه.

الخامس: الطاهر من الرجال والنساء: كقوله: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [1]. وهو واضح من خلال الترجمة إذ أعطى المعنى من نفس الآية إذ جاءت بصيغة جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم، وبذلك أجمعت التفاسير.

السادس: شهادة[*] أن لا إله إلا الله: كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ[2] الطَّيِّبُ﴾[3] .

قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ [4][*] الله هِيَ الْعُلْيَا﴾[5] وهي كلمة لا إله إلا الله الطيب = (لا إله إلا الله) وفي التفاسير هي كلمة التوحيد وهو من باب تسمية الشيء بأسم مصداقِهِ.

---

(١) النور / ٢٦.

(٢) (*) جوامع الجامع ٣/ ٣٦٧.

(٣) فاطر / ١٠.

(٤) (*) مجمع البيان، ٤/ ٤٠٢.

(٥) التوبة / ٤٠.

إستدراكات (وجوه الطيب):

أولاً – السياق المكاني:

١–قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[١] وصف البلد بأنه طيب. وهو تسمية الشيء بأسم مصداقهِ.

٢–قال تعالى: ﴿هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٢]. الطيب = القول = الصراط. أيضاً هذه مصاديق الطيب.

٣–قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[٣] ، الطيب = الكلام، ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[٤].

٤–قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[٥]، طيبة = ذرية.

٥–قال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[٦] ، طيبة = مساكن الجنة.

٦–قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[٧] ، طيبة = الريح.

---

(١) الأعراف / ٥٨.

(٢) الحج / ٢٤.

(٣) فاطر / ١٠.

(٤) إبراهيم / ٢٤.

(٥) آل عمران / ٣٨.

(٦) التوبة / ٧٢.

(٧) يونس / ٢٢.

٧-قال تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[١] ، طيبة = الشجرة.

٨-قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٢] ، طيبة = العمل الصالح.

٩-قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[٣] ، الطيبة = التحية.

١٠-قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[٤] ، طيبة = البلدة.

١١-قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٥]، الطيبات = رزق.

١٢-قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[٦] ، الطيبات = كسب، وهذه كلها من مصاديق الطيب.

---

(١) إبراهيم / ٢٤.

(٢) النحل / ٩٧.

(٣) النور / ٦١.

(٤) سبأ / ١٥.

(٥) البقرة / ١٧٢.

(٦) البقرة / ٢٦٧.

ثانياً – السياق المنفصل (السياق التناظري):

قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾[١] ، نتبع كلمة (ويحل) ومشتقاتها فتخرج عدة مصاديق للطيبات، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ [٤] لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ = النكاح.

وقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ [٥](*) لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ [٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ [٧](*) اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾[٨] .

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ [٩](*) لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾[١٠] ، الطيب = النكاح.

الطيبات هي: (طعام الذين أوتوا الكتاب، صيد البحر، الأنعام، البيع، النساء) وهذه أيضاً من المصاديق.

---

(١) الأعراف / ١٥٧.

(٢) المائدة / ٥.

(٣) المائدة / ٩٦.

(٤) (*) البرهان، ٤/ ٣٥٨.

(٥) (*) البرهان، ٤/ ٣٥٨.

(٦) الحج / ٣٠.

(٧) (*) البرهان، ٤/ ٣٥٨.

(٨) البقرة / ٢٧٥.

(٩) (*) البرهان، ٤/ ٣٥٨.

(١٠) النساء / ٢٤.

ثالثاً: عكس الطيب الخبيث كما جاء في القرآن.

قال تعالى:﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[1]، الطيب x الخبيث.

(جدول معاني كلمة الطيب في القرآن)

الطيب في كتاب الوجوه لأسماعيل الحيري	مستدرك وجوه (الطيب)
١- الحلال.	١- البلد.
٢- النظيف.	٢- القول.
٣- الغنيمة.	٣- الصراط.
٤- الكلام الحسن.	٤- التحية.
٥- الطاهر من الرجال والنساء.	٥- الرزق.
٦- شهادة أن لا إله إلا الله.	٦- الكسب.
	٧- طعام أهل الكتاب.
	٨- صيد البحر.
	٩- الأنعام.
	١٠- البيع.
	١١- النساء.
	١٢- الرفث (النكاح)

ويأتي الطيب في قبال الخبيث.

(١) إبراهيم / ٢٤-٢٦.

الوجوه والنظائر عند أهل البيت عليهم السلام (من البعثة – ٢٥٥ هـ):

أهل البيت عليهم السلام هم ذرية نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، لهم مرتبة من القداسة عند جميع المسلمين بوجه عام وعند أتباعهم (الشيعة الإمامية الإثنا عشرية) بوجه خاص.

ومدى ارتباطهم بالقرآن واضح لا يحتاج إلى استدلال بنص حديث الثقلين ومساهماتهم القرآنية أخذت مساحة واسعة من تراث الأمة الإسلامية. وقد ذكرناهم جميعاً هنا لكونهم مدرسة واحدة، وذكرنا بعض النماذج في الفصل الأول فيما يخص هذا العلم بالذات (الأشباه والنظائر).

الوجوه والنظائر عند أهل البيت عليهم السلام:-

في رسالة الإمام علي عليه السلام (الآيات الناسخة والمنسوخة) [١] التي نقلها النعماني والمرتضى، يذكر فيها أكثر من ستين علماً من علوم القرآن من ضمنها تصريف المتشابه إلى وجوه ولنأخذ كلمة (فتنة) [٢] حيث صرفها الإمام إلى أربعة وجوه:

فتنة: الكفر [٣*]: وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورُ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾[٤] وهذا من باب تسمية الشيء بما سيؤول إليه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأَسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٥]، غير الاسلام هو الكفر. وهذا من خلال السياق المنفصل.

---

(١) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة تحقيق علي جهاد الحساني.

(٢) ن. م، ص٧٣-٧٤.

(٣) (*) مجمع البيان ٣/ ٣٤ الفتنة: الشرك.

(٤) التوبة / ٤٨.

(٥) آل عمران / ٨٥.

فتنة العذاب[1](*): قال تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[2]، قال تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[3]، فتنة = العذاب من خلال السياق المنفصل وهذا من باب تسمية الشيء بأسم لازمه.

[4](*) فتنة المحبة للمال والولد: قال تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[5]، حسب السياق المكاني المتصل فإنها فتنة الأموال والأولاد وهذا من باب تسمية الشيء بمصاديقهِ.

فتنة المرض [6](*): وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[7] أي يمرضون، جاءت هذه الآية في سياقٍ متصل قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[8] فسمى الفتنة مرضاً.

تسمية الشيء بما سيكون:

إستدراك وجوه الفتنة:

---

(١) (*) تفسير القمي ٢/ ٣٢٩، الطوسي، التبيان ٩/ ٣٨٢، الطبرسي، جوامع الجامع ٤/ ٦٠١.

(٢) الذاريات / ١٤.

(٣) النساء / ٥٦.

(٤) (*) البرهان، ٤/ ٣٥٨.

(٥) الأنفال / ٢٨.

(٦) (*) البرهان، ٤/ ٣٥٨.

(٧) التوبة / ١٢٦.

(٨) التوبة / ١٢٥-١٢٦.

أولاً – السياق المكاني:

قال تعالى:﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[١]، جاءت الفتنة هنا بمعنى القتل. وهو تسمية الشيء بأسم لازمهِ.

الزوجة أو النساء، قال تعالى:﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[٢]. وهذا من المصاديق.

الرؤية المنامية، قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[٣]، تسمية الشيء بما سيكون.

قال تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[٤]، فتنة = الشيطان وهو تسمية الشيء بمصداقهِ.

قال تعالى:﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٥]، فتنة = الخير، الشر فقد سمى الخير والشر فتنة وهذا من الأضداد.

قال تعالى:﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾[٦]، سمى الله شجرة الزقوم فتنة وهذا من المصاديق.

قال تعالى:﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ...﴾[٧] فسمّى النعمة فتنة تسمية الشيء بما سيؤول.

---

(١) التوبة / ١٢٦.

(٢) التوبة / ١٢٥ – ١٢٦.

(٣) طه / ٤٠.

(٤) الأعراف / ٢٧.

(٥) الأنبياء / ٣٥.

(٦) الصافات / ٦٢-٦٣.

(٧) الزمر / ٤٩.

ثانياً – السياق المنفصل:-

قال تعالى:﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا...**﴾[١]، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا...﴾[٢]، فتنوا = ظلموا، تسمية الشيء بأسم سببه.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[٣]، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]، فتنة = مصيبة (تسمية الشيء بأسم مسببه).

جدول معاني كلمة (فتنة) في القرآن

وجوه (الفتنة) عند الإمام علي عليه السلام	الوجوه الأخرى للفتنة
١- الكفر.	١- القتل.
٢- العذاب.	٢- النساء.
٣- فتنة محبة الأموال والأولاد.	٣- الرؤية المنامية.
٤- فتنة المرض.	٤- الشيطان.
	٥- الخير.
	٦- الشر.
	٧- النعمة.
	٨- الظلم.
	٩- المصيبة.

(١) النحل / ١١٠.

(٢) النمل / ٤١.

(٣) النور / ٦٣.

(٤) القصص / ٤٧.

أما مرادف الفتنة فهو البلاء وذلك قولِه تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١]، حسب السياق المكاني (المتصل) فإن البلاء هو الفتنة. وهو من الأضداد.

(١) الأنبياء / ٣٥.




الفَصۡلُ ٱلثَّالِثُ

(التفاعل بين الأشباه والنظائر)




المبحث الأول:- إيجاد النسبة بين الأشباه والنظائر.

العام والخاص.

المطلق والمقيد.

المجمل والمفصل.

المبهم والمبين.

المبحث الثاني:- القواعد المساعدة وقواعد التأليف.

المطلب الأول:- بعضُ القواعد المساعدة للتفسير الموضوعي.

قاعدة المنقطع والمعطوف (الوصل والفصل).

قاعدة الجري.

قاعدة الابدال (التعويض).

المطلب الثاني:- قواعد النظم والتأليف الموضوعي.

إختيار الموضوع.

الحد والمطلع.

تتبع النظائر بهدف التفسير.

مركزية الموضوع المبحوث عنه.

آيه المطلع ومفردات السياق.

الكواشف الإرشادية.

المبحث الثالث:- نماذج تطبيقية.

المطلب الأول:- نماذج تراثية.

مدة الحمل.

حرمة الخمرة.

إطاعة ولاة الأمر القائمين بدين الله.

المطلب الثاني:- (النموذج المقترح) سنة الاصطفاء في القرآن.

أنواع التشكل (إيجاد النسبة)

بين الأشباه والنظائر

مقدمة:-

أنواع التشكل أو (إيجاد النسبة) بين الأشباه والنظائر يعتبر ركناً مهماً في التفسير الموضوعي، حسب ما إستنتجناهُ في التعريف المقترح وكما ذكره الخولي في تعريفه وقد تبين من خلال البحث أن الركن الثاني هو الإستقراء وسلطة السياق، ولعل ما ورد في مؤلفات الأشباه والنظائر كنماذج شاهدة على إمكانية النص القرآني على التوليد الذاتي للمعاني. وسبق القول أن العلاقة اللغوية العامة التي تفسر هذه الظاهرة هي (الإشتراك) على نحو الإجمال. وقد عالجنا الموضوع وفق المنهج التحليلي لعلم الأشباه والنظائر ويبقى البحث محتاجاً إلى أنواع العلاقات التي تحكم هذه النظائر، أو النسبة بين هذه النظائر. وهذا ما يتكفل به المنهج التركيبي.[1]

إن أنماط التشكلات المختلفة بين الأشباه والنظائر ترسم لنا العلاقة التفسيرية بين الأنواع وهذه العلاقات هي: العام والخاص، المطلق والمقيد، المبهم والمبين،

(١) المنهج التركيبي.

المجمل والمفصل وقد ظهرت هذه المصطلحات في عصور مبكرة مع ظهور علوم القرآن ولذلك نجدها من أساسيات تلك المباحث، ولأن هذه الأنواع لها أدوات لغوية خاصة بها لذلك نجدها في مباحث علم اللغة فقد بحث أصحاب المدونات في علم اللغة أدوات العموم والخصوص، وأدوات المطلق والمقيد... الخ ولأنها تمثل المفاتيح في الإستنباط الفقهي لذلك كانت من مفردات مباحث الألفاظ في علم الأصول، ومع هذا البحث المتنوع والإختصاصات المتنوعة لم أجد في حدود تتبعي من تطرق إلى وجود علاقة تفسيرية موضوعية بين كل هذه النماذج. إذ الثمرة أنه لابد أن يرتبط العام والخاص بمجال معرفي يربطهُ رابط موضوعي يعني لا يمكن أن يكون العام في موضوع الصلاة مثلاً والمخصص لهُ في موضوع الإرث، ولا يمكن أن يكون المطلق في موضوع الزكاة مثلاً والمقيد له في موضوع الحج وهكذا، فإن النسبة بين كل (مجال معرفي) منها يربطهُ رابط موضوعي ولذا فإن هذه المباحث تدخل في التفسير الموضوعي وإن رصد هذه النسب بين هذه الأشباه وفق أنماطها وتشكلاتها المختلفة ترسم لنا العلاقة التفسيرية بين الأنواع، كل مرة بشكل مختلف حسب نوع الموضوع المبحوث عنه، مما يضاعف لنا إنتاج المعلومة بشكل أوسع، ويعطي حركية واسعة وشاملة للمعاني والمعارف القرآنية وفي كل المجالات لنبرهن المقولة الخالدة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيتهِ من أن القرآن يفسر بعضهُ بعضاً وهذا ما يفسر لنا عطاء القرآن غير المحدود لأنه صادر من اللامحدود.

إن عملية مضاعفة المعلومة ناتج من عملية التزاوج المستمر بين الأشباه والنظائر، فإن ظاهرة تعدد الوجوه للكلمة الواحدة ناتجٌ من عملية تلاقح هذه النظائر لدرجة الوصول إلى سبعة عشر وجهاً وأكثر وهكذا كل مفردات القرآن

لنصل إلى مديات مفتوحة لا نهائية. ويمكن على سبيل المثال أن نرصد ظواهر كونية مشابهة إنطلاقاً من مفردات أقل.

فالأرقام الرياضية (صفر – ٩) هي أرقام محدودة من حيث الأساس لكنها لو اقترنت مع بعضها لأعطت أرقاماً لا حصر لها، كل رقمٍ يختلف عن سابقهِ ولاحقهِ، ثم إن هذه الأرقام لو زاوجنا بينها بالعمليات الرياضية المعروفة (+،−،×،÷) و(الجذور بأنواعها) لأعطت ما لا يتصورهُ العقل من نتائج.

وكذلك العناصر الكيميائية: أكثر من تسعين عنصراً مكتشف لحد الآن لكنها بتفاعلها وتشكلها مع بعضها أعطت كل هذه الماديات الموجودة في الكون بما فيها الإنسان.

وفي العلوم الحياتية: فإن التكاثر يبدأ بزوج واحد من كل عالم إلا أنه تكاثر بشكلٍ غطى الكرة الأرضية ولا زال يثمر.

وفي المجال اللغوي فحروف اللغة المحدودة هي التي أنتجت الكلمات وهي غير محدودة وكل كلمة تكتنز دلالات مفتوحة. وهكذا نجد أن القرآن الكريم معين لا ينضب من تضاعف المفردات ودلالاتها. فهو غير خارج عن هذه الرؤية الكونية.

المبحث الأول: إيجاد النسبة بين الأشباه والنظائر:

من أركان البحث المهمة (إيجاد النسبة) بين الألفاظ القرآنية لاسيما (الأشباه والنظائر) إذ عليها مدار الإستنباط ؛ إن هذه النسب عبارة عن علاقات بين النصوص القرآنية تكشف عن مكنونها، وهي من أدوات الفقيه والأصولي كما أنها من أدوات المفسر لكنها لم تستثمر بشكل واسع. ولهذا سنقوم ببحثها ونستفيد من خبرات اللغويين والأصوليين والمفسرين ؛ إلا إنني وجدتُ هذه

البحوث متداخلة ولعلنا نرتبها حسب الإختصاص لغوياً وقرآنيا وأصولياً.

وهذه النسب هي (العام والخاص، المطلق والمقيد، المجمل والمفصل، والمبهم والمبين).

أولاً: العام والخاص:-

العام (لغةً): شمل، جماعة، وعم المطرُ الأرضَ أي شملها والعام خلاف الخاص.[١]

والعام، لفظٌ يستغرق الصالح لهُ من غير حصر.[٢]

والعام (اصطلاحاً): اللفظ الذي يأتي على جملة أفراد لا يغادر منها شيئاً.[٣]

وعرفهُ آخرون: كون اللفظ بحيث يشمل مفهومهُ لجميع ما يصلح أن ينطبق عليه مفهوم الواحد، فلفظة العلماء عام لكونها شاملة لجميع ما يصلح أن ينطبق عليه مفهوم الواحد أعني (العالم).[٤]

وقد استظهر الزاهد تطابق المعنى اللغوي والاصطلاحي فالشمول في اللغة نقل إلى إستغراق اللفظ العام لجميع أفراده في الإصطلاح.[٥]

والخاص (إصطلاحاً): قصر العام على بعض مسمياته بدليل وعرفهُ آخرون (صرف العام عن عمومهِ وبيان إرادة بعض ما ينطوي تحت أفرادهِ).[٦]

---

(١) المنجد، مادة عمَّ.

(٢) السيوطي، الإتقان النوع الخامس والأربعون العام والخاص ٣/ ٣٨.

(٣) الرازي، المحصول ج١ ق٢ ص٥١١، الآمدي، الإحكام ٢/ ٤٨٥.

(٤) السبحاني، الوسيط في علم الأصول ١/ ١٩٣.

(٥) د. عبد الأمير زاهد، قضايا لغوية قرآنية ص١١٢.

(٦) محمد اديب صالح: تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، ص٦٣٤.

أولاً: بحث (العام والخاص) عند أهل اللغة:

إنصب بحث اللغويين لاسيما النحاة منهم على أدوات العام وأدوات الخاص، وهم بذلك يسهلون عملية البحث في النصوص الكتاب والسنة لمن أراد أن يستقرأ العموم والخصوص في النصوص وقد رصد النحاةُ أدوات العموم والخصوص حسب الفهم العرفي لها وهي كما يلي:

أدوات العموم:

ألفاظ (كل، جميع، كافة، قاطبة):

وميّزوا بين (كل) إذ تستعمل للعموم الإستغراقي أي تدخل على كل فردٍ فردٍ، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[١].

وبين (جميع) حيث تستعمل للعموم المجموعي وهو الحكم الثابت للمجموع فيكون المجموع موضوعاً واحداً ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[٢].

ويمكن التفريق بين العموم الإستغراقي والعموم المجموعي أن الأول يضاف إلى إسم الجنس والمفرد والمثنى والجمع النكرة منه والمعرفة بينما العموم المجموعي لا يضاف إلا إلى الجمع. (وزاد الأصوليون العموم البدلي وهو ما كان الحكم فيه متعلقاً بواحد من أفراد العام دون تعيين) [٣]. وهو قريب من مصطلح المطلق.

---

(١) آل عمران / ١٨٥.

(٢) البقرة / ٢٨٥.

(٣) د. عبد الأمير زاهد، قضايا لغوية قرآنية، ص١١٤.

ألفاظ الجمع: المعرف بـأل الإستغراقي مثال قوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

الجمع المعرف بالإضافة: قال تعالى:﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٢] فجاء لفظ الأولاد جمع مضاف إلى ضمير الخطاب الجمعي. وقوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[٣] فأمهات جمع معرف بالإضافة إلى ضمير الخطاب فدلت على العموم.

٤- اللفظ المفرد بأل الإستغراقية، والمعرف بالإضافة.

اللفظ المعرف بأل الإستغراقية لقوله تعالى:﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾[٤] فألفاظ البيع والربا دلّتا على عموم معناهما.

اللفظ المفرد المعرف بالإضافة: كقول الرسول ﷺ: (مطلُ الغني ظلمٌ)[٥] إذ أفاد عموم مماطلة الغني ظلم ويصح أن يرد على هذا العموم تخصيص مثل (إلا المضطر).

٥- اللفظ المفرد المنكر في سياق النفي والنهي والشرط والوصف:

أ- إذا وقعت النكرة في سياق النفي سواء باشرها النفي كقولنا (لا إله إلا الله) فقد دلت على العموم لأنها نفت جميع الآلهة إلا الله، أم باشرها عامل النفي

---

(١) المؤمنون / ١.

(٢) النساء / ١١.

(٣) النساء / ٢٣.

(٤) البقرة / ٢٨٥.

(٥) الوسائل ١٣/ ٩٠.

مثل ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾[١].

ب- النكرة في سياق النهي: كقوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾[٢].

إذا وقعت النكرة في سياق الشرط: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾[٣] فأيما فاسق جاء بخبر فيلزم المؤمنين الفحص والتبيين.

إذا وقعت النكرة موصوفة بوصف عام: قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً﴾[٤] فلفظ (قول) أفاد العموم لأنه نكرة موصوفة بوصف عام (معروف).

٦- أسماء الشرط: وهي (من، ما، أينما، أنى، متى).

يقول الزاهد ربما يرجع إفادتها للعموم كونها لا دلالة محصورة لها [٥] ويقول الرازي إذا وقعت هذه الأدوات مفيدة للشرط كونها تقبل الإستثناء مثال قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٦] فلفظ من الشرطية عام في الآية، ومن إستعمالات (أينما) قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[٧].

---

(١) الانعام / ٩١.

(٢) التوبة / ٨٤.

(٣) الحجرات / ٦.

(٤) البقرة / ٢٦٣.

(٥) عبد الأمير زاهد، قضايا لغوية قرآنية، ص١١٩.

(٦) البقرة / ١٨٥.

(٧) النساء / ٧٨.

٧- الأسماء الموصولة: فهي من أدوات العموم سواء كانت على هيئة الأفراد أو التثنية أو الجمع سواء منها للعاقل وغير العاقل أو لكليهما وقال ابن السمعاني: (جميع الأسماء المبهمة تقضي العموم) [١].

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٣] فلفظ (أي) تدل على العموم.

٨- أسماء الإستفهام:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[٤].

وكما ذكر النحاةُ أدوات العموم فإنهم شخصوا أدوات الخصوص وهي:-

أدوات الخصوص:

ذكر الدارسون أن الدليل المخصص منه ما هو ليس لغوياً كدليل الحس والعقل ومنه ما هو لغوي ورد في السياق ذاته أو في سياقٍ آخر.

الإستثناء المتصل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلا الذين آمنوا..)) [٥] فالألف واللام الإستغراقي الداخل على الإنسان أفاد العموم والإستثناء خرج الذين آمنوا من جنس الإنسان وهذا الذي ورد في سياقٍ واحد وهو خفيف المؤونة وهناك إستثناء غير متصل ورد في سياقٍ آخر، يحتاج إلى مزيد عناية.

---

(١) الشوكاني، إرشاد الفحول، ص١٢١.

(٢) فصلت / ٤٦.

(٣) الملك / ٢.

(٤) البقرة / ٢٤٥.

(٥) العصر / . الطبرسي، مجمع البيان: أراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلالة أنه أستثنى منه الذين أمنوا.

الشرط: في آية الإرث: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ...﴾(١) لولا وجود الشرط لأفاد النص إستحقاق الزوج النصف في جميع الحالات.

الصفة: فإن الصفة مخصصة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٢).

فصفة الركوع خصصت الذين آمنوا.

الغاية: وهي نهاية الشيء المقتضي لثبوت الحكم، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾(٣) وهذا تخصيص بالغاية.

الحال: كقول القائل (أكرم من جاءك راكباً).

بالظرف والجار والمجرور: (أكرم زيداً اليوم)، (أكرم زيداً في المدرسة).

بدل بعض من كل: كقوله تعالى: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(٤).

ثانياً: بحث العام والخاص لدى الأصوليين:

لدى مراجعتي لكتب الأصول عند المذاهب الإسلامية وجدتهم يتفقون في عناوين هذا البحث على إختلاف مختاراتهم فيها، وقد رصدت بعض هذه العناوين سوف نذكرها على شكل قواعد بعد الأعتماد على أساطين هذا الفن

(١) النساء / ١٢.

(٢) المائدة / ٥٥.

(٣) المائدة / ٦.

(٤) آل عمران / ٩٧.

كالآمدي في الإحكام [١] والأنصاري في مطارح الأنظار [٢] والمقالات للعراقي [٣] وأجود التقريرات للسيد الخوئي [٤] والوسيط للسبحاني [٥]، ومباحث الدليل اللفظي للسيد محمود الهاشمي (تقريرات السيد الشهيد محمد باقر الصدر [٦])، وكفاية الأصول للآخوند [٧]، وهداية الأبرار للكركي [٨] وعلينا أن نستثمر هذه القواعد في حقل التفسير كما استثمرت في حقل الفقه.

القاعدة الأولى: تخصيص العام على نوعين متصل يأتي بنفس السياق ومنفصل يأتي في سياق آخر وكلاهما حُجة إلا أن العام في المخصص المنفصل له ظهور بينما المخصص المتصل لا ينعقد للعام ظهور [٩].

القاعدة الثانية: إذا شككنا في ورود التخصيص على العام فمقتضى الأصل هو حجية العام.

القاعدة الثالثة: إذا تعقب العام ضميرٌ يرجع إلى بعض ما يتناولهُ ففيه خلاف فمنهم من أجاز ومنهم من منع ومنهم من توقف. وضربوا له مثلاً قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ

---

(١) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ص.

(٢) الميرزا أبو القاسم كلانتري، تقريرات الشيخ الأنصاري، مطارح الأنظار ٢/ ١٣١.

(٣) الشيخ أغا ضياء الدين العراقي، المقالات ص٤٣٧-٤٨٠.

(٤) السيد الخوئي، تقريرات الميرزا حسين النائيني، أجود التقريرات.

(٥) الشيخ جعفر السبحاني، الوسيط في علم الأصول ص١٩٣-٢٢٧.

(٦) السيد محمود الهاشمي، تقريرات السيد الشهيد محمد باقر الصدر، ص٢١٧.

(٧) الاخوند، محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول، ص٢٥٢-٢٨٠ ج/ ٣.

(٨) الشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي، هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار، ص٢٨٠-٢٨٧.

(٩) الاخوند الخراساني، الكفاية ط٢.

أَرَادُوا إِصْلاحاً﴾[١].

فقد دل الدليل أنه ليس كل بعل يحق له إسترجاع مطلقته إلا إذا كان الطلاق رجعياً، فلو حُمل العام على عمومهِ لزم مخالفة الضمير لمرجعهِ فهل يخصص به، بأن يخص المطلقات الرجعيات لذلك أم لا؟ [٢].

قال الشافعي يخص واختارهُ العلامة في النهاية ومنعه الشيخ الطوسي وابن الحاجب والآمدي وقال المرتضى والمحقق وإمام الحرمين بالوقف.

القاعدة الرابعة: لا كلام في تخصيص العام بمفهوم الموافقة الراجح إلى دلالة اللفظ بحكم العقل عل ثبوت الحكم في الأشد بطريق أولى، وأما دلالة اللفظ على مساواة المدلول لغيرهِ وهو المعبر عنه بلحن الخطاب فهو على تقدير القول به لا ينبغي الكلام في التخصيص [٣].

القاعدة الخامسة: يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب وبالخبر المتواتر كما يجوز تخصيصهُ بهما بلا خلاف معتدٍ به، والأقرب تخصيص الكتاب بالخبر الواحد). وهذا يفيدنا في تخصيص الكتاب بأسباب النزول مثلاً [٤].

القاعدة السادسة: الحق إمكان تحول الخطاب للمعدومين على وجه الحقيقة مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ...﴾، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾فهو لكل من ينطبق عليه هذا الوصف وجد ساعة الخطاب أو لم يوجد [٥].

القاعدة السابعة: الأقرب أن الخاص المخالف لحكم العام إنما هو بيان له

---

(١) البقرة / ٢٢٨.

(٢) الشيخ ضياء الدين العراقي، مقالات الأصول ١/ ٤٦٨.

(٣) ن – م ص ٤٧٢، الآمدي الإحكام ص ٥٢٩.

(٤) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ٥٢٠ –٥٢٣.

(٥) العراقي، مقالات الأصول ص ٤٥٩، الاخوند الخراساني ص ٢٣١.

تارة، وناسخ له أُخرى وفاقاً لجل المحققين بل كلهم [١].

لا سيما إذا عُلم تقدم العام على الخاص فعلى تقدير ورود الخاص يعد ظهور وقت العمل بالعام فلابد من حمله على النسخ.

وهذا يدعم النظرية القديمة أن العام والخاص من الناسخ والمنسوخ.

القاعدة الثامنة: إذا خُصص العام بأمرٍ معلوم (مفهوماً ومصداقاً) فلا ينبغي الإشكال في حُجية العام في الباقي (الذي لم يتناولها المخصص).

ثالثاً: بحث العام والخاص عند المفسرين

قسم السيوطي [٢] العام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الباقي على عمومهِ: وقال الزركشي أنه كثير في القرآن وأورد منه ﴿وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾[٤]، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٥].

الثاني: العام المراد به الخصوص:

ومثالهُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[٦] والقائل واحد هو نعيم بن مسعود الأشجعي، ومنها ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[٧] أي رسول الله ﷺ وفي روايات أهل البيت عليهم السلام مثلهُ. كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا

---

(١) العراقي، مقالات الأصول ٣٨٢.

(٢) السيوطي، الإتقان ٣/ ٣٩.

(٣) المائدة / ٩٧.

(٤) يونس / ٤٤.

(٥) غافر / ٦٤؟

(٦) آل عمران / ١٧٣.

(٧) النساء / ٥٤.

مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾قيل إبراهيم وفي روايات الشيعة هم أهل البيت عليهم السلام.

الثالث: العام المخصوص: وهو على نوعين متصلٌ ومنفصل وقد مرت أدواته في المبحث اللغوي، من خلال تقسيم السيوطي وكأني أشم منها أنها مستوحات من تقسيم الإمام علي عليه السلام الوارد في رسالته في المحكم والمتشابه ولننقلها فعليها المعول:

قال الإمام الصادق عليه السلام: وسألوهُ (صلوات الله عليه) عن الخاص والعام في كتاب الله تعالى فقال: إن من كتاب الله تعالى آياتٌ لفظها الخصوص والعموم: ومنه آيات لفظها الخاص ومعناهُ عام، ومن ذلك لفظ عام يريد به الله تعالى العموم، وكذلك الخاص أيضاً[1] يمكن أن نرتبها بهذا الترتيب:

خاص يراد به العموم.

عام يراد به العموم.

عام يراد به الخصوص.

خاص يراد به الخصوص.

١ – أما ما لفظهُ عام ومعناه خاص.

قال تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وهذه الآية نزلت في أبي لبابة بن المنذر وإنما هو رجل

(١) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، ص٨٦، تحقيق: علي جهاد حساني.

(٢) البقرة / ١٩٩.

(٣) الأنفال / ٢٧.

واحد[١] وهو بذلك يشير إلى علم أسباب النزول.

ومن الجدير بالذكر أن هذا العام المراد به الخاص والذي يصب أكثره في علم أسباب النزول في وجهه الأول.

وأما في الوجه الثاني فإن خصوص الوارد لا يخصص المورد فتكون الآية عامة الإنطباق على كل من فعل فعلهم وهي قاعدة الجري الآتية:

٢- ما لفظهُ خاص ومعناه عام:

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[٢].

فنزل لفظ الآية خصوصاً في بني إسرائيل وهو جارٍ على جميع الخلق عاماً لكل العباد من بني إسرائيل وغيرهم من الأمم ومثل ذلك كثيرٌ في القرآن [٣].

٣- ما لفظهُ العموم لا يراد به غيره: (يراد به عموم)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[٤]

فاللفظ عام لوجود (أل) الاستغراقية ويراد به العموم فالحكم عام [٥]، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[٦] واستثنى جماعة منهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ* لا

---

(١) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، ص٨٧.

(٢) المائدة / ٣٢.

(٣) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة ص٩١.

(٤) الحج / ١.

(٥) الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة، ص٦١.

(٦) مريم / ٧١.

يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[١].

فالآية الأولى دلت على العموم والآية الثاني أخرجت أهل الحُسنى.

٤- وأما الخاص الذي يراد به الخصوص:

فقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[٣].

تطبيقات قرآنية على العام والخاص:

يقسم مبحث العام والخاص إلى خمسة فروع:

العام الباقي على عمومه.

العام المخصص وهو على نوعين المخصص بـ متصل والمخصص بـ منفصل.

العام والمراد منه خاص.

الخاص الباقي على خصوصه.

الخاص والمراد منه عام.

وسوف نضرب لكلٍ مثالاً إذ فتح لنا الإمام علي (عليه السلام) هذه الأبواب واذا استطعنا أن نجد أمثلة كثيرة على ذلك فإن هذا يدل على إطراد القاعدة من جهة وقدرة الإستنباط من جهة إذ أن هذه الأدوات هي أدواتُ الفقيه. إضافة إلى ذلك سنقوم بالتركيز على أهم الملاحظات المغيبة في هذه البحوث وهي الجامع المشترك (وحدة الموضوع) بين العام والخاص.

---

(١) الأنبياء / ١٠١-١٠٢.

(٢) المسد / ١.

(٣) القصص / ٨.

١- العام الباقي على عمومه:

نستفيد في هذا النوع من البحث اللغوي لاسيما أدوات العموم وهي: كل وجميع وأخواتها، والألف واللام، وأكثرها المتصدر بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ...﴾،)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾فهذا عامٌ باقي على عمومِه مثالهُ:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ...﴾[١].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...﴾[٢].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾[٣].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...﴾[٤].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ...﴾[٥].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾[٦].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً...﴾[٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾[٨].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[٩].

---

(١) البقرة / ١٥٣.

(٢) البقرة / ١٧٨.

(٣) البقرة / ١٨٣.

(٤) البقرة / ٢٦٤.

(٥) آل عمران / ١٠٢.

(٦) البقرة / ١٧٢.

(٧) البقرة / ١٦٨.

(٨) البقرة / ٢٤٣.

(٩) آل عمران / ٩٠.

قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾[٥].

قال تعالى: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٦]. وهذا كثير في القرآن.

٢- العام المخصص: وهو على نوعين المخصص بـ(متصل) والمخصص بـ(منفصل):

فالمتصل: نجدهُ في نفس الآية (السياق) ويكثر التخصيص بأداة الاستثناء.

قال تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾[٧].

قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ........ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٨].

قال تعالى:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[٩].

قال تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ

---

(١) آل عمران / ٣٨.

(٢) النساء / ١.

(٣) النساء / ١٧٤.

(٤) الزخرف / ٧٤.

(٥) الفرقان / ١٩.

(٦) التوبة / ٨٠.

(٧) العصر / ١-٢.

(٨) المجادلة /

(٩) يوسف / ٥٣.

فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[١]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وأما المخصص المنفصل: فيرد العام في موضع ويرد الخاص في موضع آخر، وفي آية أخرى أو سورةٍ أخرى أو نفسها، والسر في الإهتداء إلى الخاص هو الأشباه والنظائر فالبحث عن النظير هو الذي يوصلنا للخاص الذي يشابهُ في الموضوع. ولولاهُ لما إستطعنا العثور على المخصص البتة، فهنا يجب علينا أن نتوخى الموضوع.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ

---

(١) البقرة / ١٧٣.

(٢) البقرة / ١٨٣-١٨٤.

(٣) النساء / ٩٨.

(٤) النساء / ١٤٥-١٤٦.

فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾[١] فالآية نفت البيع والخلة والشفاعة فهذه الآية عامة وقد خصصت نفي الخلة بقوله تعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٢] حيث فهمنا أن لا خلة يوم القيامة إلا خلةُ المتقين ﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

وأما تخصيص لعموم نفي الشفاعة في قوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[٣] حيث استثنى شفاعة من أذن له الرحمن ورضي قوله).

وأما تخصيص نفي عموم البيع فلا بيع يوم القيامة إلا من باع نفسهُ لله قال تعالى:﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤].

نرى أن الآية الأولى نفت عموم البيع والخلة والشفاعة، وقد توصلنا أن هذا العام مخصص في آيات متفرقة على طول القرآن ما كنا لنهتدي إليها لو لا أن هدانا الله بالنجوم القرآنية (النظائر) حيث تتبعنا لفظة (البيع، الشفاعة، الخلة) فوجدنا موضوعها بالذات.

مثال آخر قال تعالى:﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[٥] فدلت هذه الآية

---

(١) البقرة / ٢٥٤.

(٢) الزخرف / ٤٣.

(٣) طه / ١٠٩.

(٤) التوبة / ١١١.

(٥) الأعراف / ٣١.

بعمومها على حلية كل طعام وشراب، لكنه لا يجوز الإفتاء بالعام ما لم نجد المخصص وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾[١] فاللحم والميتة من جنس ما يؤكل، والدم من جنس ما يُشرب. وهكذا.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[٢] واستثنى منهم أهل الحرج والفاقة ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً، لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾[٣] فوجوب القتال عام مخصص بأهل الحرج الأعمى والمريض.

٣- العام والمراد منه خاص:

وهذا وجه من وجوه تفسير الآية، إذ لفظها عام يراد به الخصوص ونجد هذا النوع في بعض روايات أسباب النزول إذ تخصص اللفظ العام في المصداق الأول للآية فتكون الآية عامة إلا أن معناها خاص.

- قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٤].

فأولي الأمر عام وقد ورد المخصص له في الروايات المعتبرة أنهم أئمة أهل البيت عليهم السلام[٥].

---

(١) البقرة / ١٧٣، المائدة / ٣.

(٢) البقرة / ٢١٦.

(٣) الفتح / ١٦-١٧.

(٤) النساء / ٥٩.

(٥) الطبرسي، مجمع البيان ٣/ ٩٦.